المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤١) المجلد (٥٩) العام [٦٣] صفر ١٤١٨ هـ / يونيه ١٩٩٧ م

معايير الابداع في كتابة الرواية والقصة

تكامل الفكر الاسلامي

اوراق زوجية

على لسان ام عمرو

امرأة تبحث في كلمات المذيع والمذيعة عما يؤنس وحدتها التى غالباً ما تكون ناتجة عن المعيشة مع تمثال اسمه الزوج

نحو فقه ميسرّ

الاقليمية في النقد

قصص من التاريخ السعودي

موت الدماغ

سلاماً ملاك الموت

قراءة جديدة لنص قديم

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





بمناسبة تقرير افتتاح الكُلّيتين:

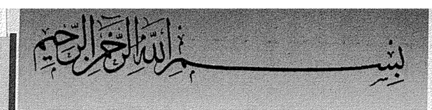
الجامعة السعودية

ستكون «الجامعة السعودية» اذا أنشئت - وهي في طريق الانشاء إن شاء الله ستكون علم اليقظة الخفاق، وجسر الحياة الواعية، وسلم النهضة الشامخة، وعنوان المجد الطريف، يضاف الى سفر المجد التليد، ومنهل الاصلاح الفياض، وأمل المستقبل الزاهر الوضاء.

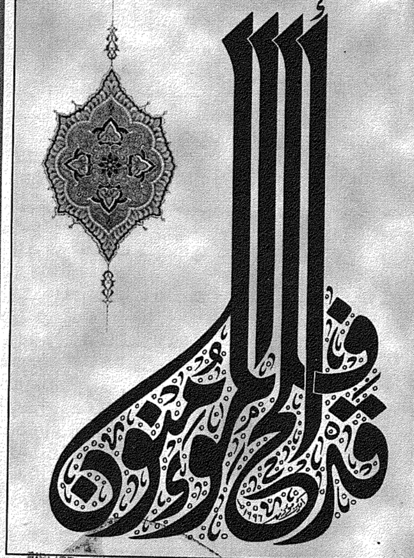
كانت هذه البلاد ، مصدراً لنور الاسلام، ونور الاسلام هو نور الحضارة الحقة في أكمل صيغها، وأزهى الوانها؛ وأبهى حللها وأشكالها، وقد حمل ابناء هذه البلاد «مشعل» الحضارة الى أصقاع المعمورة، مُخْلصين، مُخَلصين، فاستضاء العالم، بعد حلوك ورسمت للحياة خطط قويمية جديدة، سداها ولحمتها النظر والفكر والعلم والعمل، والتضامن البشري العام، لا فرق بين عربي وعجمي الا بالتقوى، فاستراحت البشرية المنهوكة من اغلالها، ونهضت باعبائها على خير منوال.. وقد أراد الله الخير لهذه البلاد حين اذن بالعهد السعودي السعيد ان يسفر صبحه، فانتعشت الآمال، وتفتحت النفوس واذا بالجسم المنهوك الهامد يتحرك، واذا بالروح الخامدة تهب وتنشط.. وها هو الانبعاث الفكري يخطو خطوة جديدة موفقة، ويتقدم لانشاء «نواة الجامعة السعودية.. بازماع افتتاح كليتي الشريعة واللغة العربية في «أم القرى» في مستهل العام القادم.. وما إنشاء الجامعة المرتقبة - إن شاء الله - ببعيد.. وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ/ ابريل ١٩٤٩م



لقطة الشهر



اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



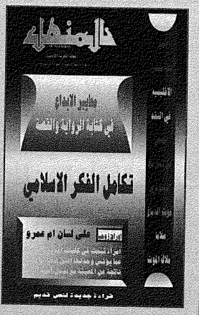
صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد



العدد: (٥٤١)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهل يات

هل لنا من الأمر شيء؟!

هكذا،
جاء سؤال الشيخ، فطرياً وطبيعياً..
جاء السؤال بعد حديث طويل عن الارسال الفضائي، والانترنت..
جمع من الشباب جمعتهم ديوانية جدهم..
دهش الجدّ.. بل ذهل..
مسميات من اللهو والعبث، بل، الخلاعة.. خرقت جدار أذنيه..
أتشاهدون كل هذا؟!
سؤال دار في داخله بكل إلحاح..
أين مساحة الجدّ إذن..؟!
ترى من سنكون غداً؟!
لا نحن.. ولا الآخر!!
الآخر، صادق مع نفسه..
حتى في لهوه وعبثه ومجونه.
هذه حياته.. وهذا واقع حياته.
وهذه مُثُله.
أما نحن، فكاذبون كلَّ الكذب مع أنفسنا، ما تبعنا خطاهم..
وسرنا على نهجهم..
ذلك، لأنَّا نملك غير ما يملكون، من المُثُل والقيم والسلوك.
وفي هذا الحال، نصبح لا نحن، نحن.. ولا نحن هم.
إذن، نحن والحال هذه، مسخ مشوه..
ومن يرضى لنفسه أن يكون «مسخاً مشوها»..؟!!
القوم ملكوا ناصية العلم..
لهم من العلم ما خرقوا به حجب السماء.
ولهم من العلم ما صنعوا به الراجمات..
وما اخافوا به العالم واسترهبوه..
ولهم من العلم ما استنسخوا به البشر.
كلّ هذا،
ونحن لا يشدّنا من أمرهم إلا السواقط..
أو دندنات مشوَّهة ظلّنَا عاكفين عليها..
ولم يعدْ لنا من الأمر شيء!!!

«نبيه الانصارى»



الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٢٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

فهرس العدد ـ ٥٤١ ـ المجلد: ٥٩ ـ العام: ٦٣

في هذا العدد



- الدكتور عمارة يُدْحِضُ أباطيل الدكتور نصر أبو زيد ـ ص ٠٢٠
- الفقه الميسَّر ـ ص ٠٢٦
- تكامل الفكر الاسلامي ـ ص ٠٣٨
- مسألة المصطلح بين الامس واليوم ص ٠٥٨
- الاقليمية في النقد والدرس ـ ص ٠٦٦
- موت الدماغ ـ ص ٠٧٠
- الرواية والقصة ٠٠ تطلعات وآفاق ـ ص ٠٨٢
- الحكمة وينابيعها ـ ص ٠١١٨
- النخلة ٠٠ ثمرها غذاء ودواء ص ٠١٤٠

أقلام:

د٠ يوسف القرضاوي
د٠ محمد عمارة
أ٠ أنور الجندي
د٠ ابراهيم السامرائي٠
محمد المنصور الشقحاء
د٠ محمد على البار٠
د٠ عمر بن قينة
أ٠ محمد العربي الخطابي٠
د٠ محمد رجب البيومي٠
د٠ عبده بدوي٠

الفهرس

أول الغيث

الانطلاقة المباركة من قصر المربع

الثقافة والفنون في العام الجديد:

** الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، على مدى ربع قرن من الزمان اكتسبت من الخبرة ما جعلها أدق أداءً، وأوفر عطاءً.

باشراف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، وبدعم سخيٍّ من أجهزة الدولة، المختصة استطاعت هذه الجمعية الوقوف قمة شامخة في ميدان بلورة الحركة الثقافية والتراثية في المملكة العربية السعودية.. ووصولا للأفضل والأجود فقد وضعت خطتها لتنشيط الحركة الثقافية والفكرية والفنية، لهذا العام ١٤١٨هـ، وتشمل مجموعة من الندوات والمحاضرات والأمسيات والمسابقات الثقافية، إلى جانب النشاط المسرحي.



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد

هذا إلى جانب تنظيم الاجتماع الأول للملتقى الثقافي العام ومجموعة من المعارض الفنية والثقافية في داخل المملكة وفي مجموعة من الدول العربية والغربية.

وفكرة المعارض هذه تأتي كجانب تنويري، بغرض ايقاف الآخرين على ما وصلت إليه المملكة العربية السعودية من تقدم ونموٍّ وازدهار في كل مجالات التنمية من ثقافية وفكرية وعمرانية وبشرية.. وغيرها.

قبل قرن من الزمان، كانت الانطلاقة المباركة من هنا، من قصر المربع.. من هذا القصر كان تأسيس كيان (المملكة العربية السعودية)، وقيام أمة كاد الجهل والتخلف في ذلك الزمان يقضي على أركانها.

على هدى من كتاب الله سبحانه وسنَّة رسوله [صلى الله عليه وسلم]، وتراث السلف الصالح، جاءت نهضة هذا الكيان الكبير، والمسأله ليست انشاء دولة فحسب، بل المسألة نفض الغبار عن عطاء حضاري ضخم كان المركز الأساسي لسلف هذه الأمة.. من قصر المربع كانت البداية المباركة على يد الملك عبد العزيز بن سعود ـ طيب الله ثراه ـ

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في افتتاح مشروع تطوير قصر المربع

ووفاء لهذا التراث الخالد، وابقاء لقراءة دائمة عبر الأجيال فى ذاكرة التاريخ لهذه الأمة قام صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ـ رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ـ بالاشراف على بدء تنفيذ مشروع تطوير منطقة قصر المربع.

والمشروع اضافة الى قيمته التاريخية في ذاكرة الاجيال فانه يمثل مركز علم وثقافة، ومرفقاً مهماً للدراسة والبحث العلمي فى الآثار والتاريخ الحضاري لهذه الامة.

فى هذا المربع سوف ينشأ المتحف الوطني للمملكة العربية السعودية، ودارة الملك عبد العزيز، ومبنى الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف، ومبنى العروض التقنية. إلى جانب المباني المساعدة الأخرى.. وهذا المشروع يوافق الانتهاء منه مرور مئة عام على قيام المملكة العربية السعودية.

الأسبوع الثقافي السعودي في المغرب

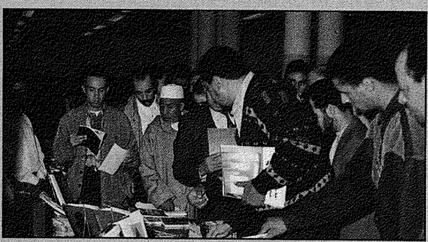
خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار ـ الرباط ـ

احتضنت مدينة الدار البيضاء في الفترة المتراوحة ما بين ٢٧ مارس و٢ أبريل حدثا ثقافيا مهما تمثل في فعاليات الأسبوع الثقافي السعودي الذي جاء تنظيمه في إطار علاقات التبادل والتعاون القائمة بين المؤسستين الشقيقتين: مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ـ الدار البيضاء وفقا للتوجيهات الكريمة لراعيهما صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

الأسبوع الثقافي عرف تنظيم معرض للمطبوعات العلمية السعودية وسلسلة من المحاضرات ألقاها نخبة من أبرز الأساتذة السعوديين. . وكان فرصة لجمهور الطلبة والباحثين والمتخصصين في مجال النشر والتوزيع للتعرف على جديد النهضة العلمية والثقافية المزدهرة التى تعيشها المملكة العربي السعودية.

حضر حفل افتتاح هذه التظاهرة معالي وكيل الحرس الوطني وعضو مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية الأستاذ «عبد الرحمن أبو حيمد» ومعالي وزير الإتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية والاستاذ ادريس العلوي


المشاركون فى احدى ندوات الأسبوع الثقافي


مجموعة من الزائرين لمعرض الكتاب السعودي

المدغري، ومعالي وزير الشؤون الثقافية المغربي عبد الله أزماني وشخصيات أخرى تنتمي إلى عالم الثقافة والفكر والتعليم.

وقال الأستاذ عبد الرحمن أبو حيمد بأنه سعيد بالإلتقاء في هذا الأسبوع الثقافي السعودي بالأشقاء المغاربة بعد أيام معدودات من انتهاء المعرض المغربي للكتاب الذي نظمته مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بجناح مكتبة الملك عبد العزيز العامة في المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة «الجنادرية» وبعد أقل من عقد من الزمان على تنظيم معرض الكتاب السعودي بالمغرب والذي شكل باكورة تعاوننا الثقافي والعلمي وتجربة فريدة ساهمت فيها هاتان المؤسستان العلميتان اللتان

ساعدتا في بناء جسور التعاون والتبادل بين المشرق والمغرب.

وأكد الأستاذ (عبد الرحمن أبو حيمد) أن الأسبوع الثقافي السعودي بالمغرب، يمثل إطلالة للجمهور المغربي على المنجزات السعودية في الميادين كافة ويعكس بحق التطور الهائل الذي تشهده المملكة العربية السعودية، كما أنه جاء ليحقق أماني طالما عبرت عنها هيئات عربية وإسلامية وطالب بها باحثون ومثقفون من مغرب العالم العربي والإسلامي ومشرقه.

وأوضح الأستاذ ادريس العلوي المدغري أن المغرب يولي أهمية قصوى لهذه التظاهرة الثقافية التي تجسد بشكل جيد متانة علاقات التعاون بين المملكتين المغربية والعربية السعودية في مختلف الميادين وروابط الصداقة التي تجمع بينهما.

إن مثل هذه اللقاءات تساهم في تعميق الروابط وإبراز المؤهلات التي تزخر بها الأمة الإسلامية على المستوى الثقافي والحضاري ومبرزاً كذلك أن الإعلام يساهم بقسط وافر في التعريف بمؤهلات كل طرف وتسهيل تبادل المعلومات ومواجهة التحديات.

وأشاد السيد الوزير بالعمل الذي تقوم به هاتان المؤسستان الأستاذ «عبد الله أزماني» قال في مداخلته: «قبل أيام معدودات احتفلنا بتوقيع اتفاق تعاون يشكل الإطار العام لرسم خطوات منهجية على طريق سيرورة ثقافية تستمد العون وتحظى بالرعاية والإسناد من لدن الأخوين العاملين جلالة الملك الحسن الثاني وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظهما الله لإقامة صروح العلم والعرفان بين الجامعات والأكاديميات والمعاهد والمكتبات ومراكز البحوث. وما «جامعة الأخوين» المتربعة على سفوح «إفران» إلا الدليل الساطع والبرهان القاطع على ترجمة كلمة التعاون بين عاهلي المملكتين إلى فعل ناجز ومثمر.

وقال الاستاذ «الفيلالي أنصاري» مدير مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء إن الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم احتفاء بالكتاب وبتكريم العلم والعلماء كسلوك راسخ في حضارتنا وقيمة رفيعة من القيم التي حث عليها ورفع من شأنها تراثنا العربي الإسلامي.

وطيلة الأيام السبعة من عمر الأسبوع توافد على معرض المطبوعات السعودية مئات من الطلبة والباحثين والأساتذة والعلماء للتعرف على جديد الإبداع السعودي في شتى ميادين الفكر في حين تابع الكثيرون مجمل المحاضرات التي عرفها الأسبوع، وكما كان منتظرا، فقد حققت هذه التظاهرة الثقافية الناجحة ما كان مسطرا لها. حيث كان الهدف من تنظيم هذا الأسبوع:

- المشاركة في تعزيز الجهود المبذولة لتنمية التكامل الثقافي العربي وتجاوز العوائق المختلفة التي تقف في وجه عملية توزيع المطبوعات العلمية العربية عبر مختلف أقطار العالم العربي، وذلك عن طريق تقريب جمهور القراء والدارسين وكذلك المهنيين سواء المكتبيين أو المهتمين بشؤون النشر والتوزيع، مما يتم إنتاجه في البلدين الشقيقين المغرب (المعرض المغربي بمناسبة مهرجان الجنادرية) والسعودية (معرض الدار البيضاء) حيث تشكل آلاف المؤسسات المتنوعة المعروضة شهادات وعلامات على النهضة العلمية المتواصلة التي يعرفها البلدان.

- المساهمة في تنمية وتوطيد الصلات العلمية والثقافية بين المملكتين السعودية والمغربية من خلال إحداث فرص الإلتقاء والتحاور بين الباحثين والمثقفين المنتمين للجامعات ومراكز البحث في كلا البلدين.

وتميز معرض الكتاب السعودي بمشاركة أزيد من خمس وعشرين مؤسسة علمية جامعية وهيئة حكومية وناشرين قدموا أكثر من ٢٠٠٠ عنوان في مختلف المجالات العلمية.

المحاضرات:

وتميز الأسبوع الثقافي السعودي كذلك بإلقاء محاضرات قيمة سلطت الأضواء على جوانب من التراث والفكر بالمملكة العربية السعودية.

وكانت محاضرة: «جهود الجامعات السعودية في مجال تحقيق التراث ونشره» للأستاذ «محمد بن عبد الرحمن الربيع» هي أولى المحاضرات التي ألقيت خلال هذا الأسبوع وقد تناول فيها الأستاذ المحاضر عناصر كالمادة التراثية في مناهج المرحلة الجامعية وأقسام الدراسات العليا التي تخدم التراث واتجاهات تحقيق التراث في

الجامعات السعودية إضافة إلى عرض مفصل لجهود الجامعات في تحقيق التراث ونشره وكذا جهود الأساتذة السعوديين في نفس المجال.

وناقش الأستاذ «عبد العزيز بن سليمان الطرياق» وهو أستاذ بقسم الهندسة المدنية في جامعة الملك سعود موضوع «أزمة المياه في العالم العربي» من حيث المشاكل الرئيسية التي تعيق هذا القطاع وأسباب نشوء الأزمة وأعطى عرضا شاملا للموارد المائية المتاحة وقدم توصيات واقتراحات كذلك.

وتحدث الدكتور «عبد الله آدم نصيف» في المحاضرة الثالثة والأخيرة في هذا الأسبوع عن «ذاكرة التاريخ: آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) وانطلق في محاضرته من جانب التعريف بهاتين المدينتين اللتين تقعان في شمال غرب المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ٣٥٠ ميلا شمالي المدينة المنورة في واد خصيب وغني بالموارد المائية، تحف به الجبال الرملية الحمراء من الجانبين الشرقي والغربي، وهو «وادي القرى» المشهور في كتب التاريخ والأدب العربي. وقد هيأته الطبيعة وموقعه المتميز ليكون مركزا تجاريا وحضاريا مهما على طريق التجارة العالمية في شمال شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، فأصبح بوابة الشمال إلى الجنوب وبوابة الجنوب إلى الشمال حيث تعبره القوافل الضخمة المحملة بالسلع التجارية الثمينة وعلى رأسها البخور والتوابل من الهند وشرق افريقيا وجنوب الجزيرة العربية إلى أسواق الشام والعراق ومصر وما وراءها من بلاد اليونان والرومان، فأصبح «وادي القرى» بذلك نقطة التقاء حضارات وادي النيل وبلاد الشام ووادي الرافدين وجنوب الجزيرة العربية وقال الأستاذ المحاضر إن : «هذا المركز التجاري والحضاري الذي تمتعت به العلا ومدائن صالح (الحجر) في العصور القديمة قد ساهم في بناء حضارة عربية راقية لا تقل عن حضارات المراكز والمدن الأخرى في الشرق الأدنى والعالم القديم، وما نشاهده اليوم في العلا ومدائن صالح (الحجر) من فنون النحت والزخرفة، والطرز المعمارية والهندسية البديعة المتمثلة في الواجهات الصخرية العجيبة التي يقف المرء أمامها مشدوها إلا انعكاس لما وصل إليه الفنان والمهندس العربي من قدرة على الإبداع والإبتكار أهلته لإحتلال مكانة عالية بين الحضارات العالمية.

هذا إلى جانب الشواهد الحضارية الأخرى التي تركها لنا أولئك الأقوام السابقون، الذين عاشوا على أرض المملكة العربية السعودية ذات التاريخ العربي - من محاريب وتماثيل، ومعابد ومنازل وأنظمة ري متطورة بنيت تحت الأرض وفوقها .

وأضاف الأستاذ «عبد الله آدم نصيف» في محاضرته: «أن الشواهد الحضارية في وادي القرى لا تقتصر على آثار العلا ومدائن صالح (الحجر) بل هناك موقع يسمى حاليا «المابيات» وهو موضع مدينة «قرح» مركز وادي القرى في العصور الإسلامية المبكرة والتي وصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أنها المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة وقال عنها أنها بلد شامي مصري عراقي حجازي، وذلك لمكانتها كمركز تجاري وحضاري في شمال غرب الجزيرة العربية، مما يدل على استمرار وادي القرى في لعب الدور الحضاري الذي لعبه في عصور ما قبل الإسلام.

وقد صاحب هذه المحاضرة عرض كامل بالصور للآثار المبنية والمنحوتة الثابتة والمنقولة بواسطة الشرائح (السلايدات).

معرض الكتاب السعودي في الرباط

خاص بـ (المنهل) من سعيد بونوار ـ الرباط ـ

الإسلام والمسلمون في اوروبا



المشاركون في ندوة (الصحوة الاسلامية)

قضية (الإسلام والمسلمون) في أوروبا أصبحت من القضايا الساخنة التي فرضت نفسها على الساحة الفكرية والعلمية في أوروبا.. وستظل كذلك لفترة ممتدة من الزمن.

وسبب ذلك يرجع إلى: ازدياد عدد المسلمين في أوروبا، وازدياد وتطور حاجياتهم الدينية والتعليمية والتربوية والفقهية.

ثم يرجع الأمر أيضاً الى التحديات التي يواجهها الاسلام والمسلمون في أوروبا حسب معطيات ومجريات الحياة الحديثة، مما أفرز واقعاً جديداً يتحتم على المسلمين من علماء ومفكرين دراسته والتشاور حوله.

ومشاركة من (جامعة الصحوة الإسلامية) في المغرب، لدراسة هذا الموضوع ذي الأهمية الدينية، عقدت ندوة (الاسلام والمسلمون) في أوروبا.

ومن توصيات هذا المؤتمر:

- ترشيد الصحوة الاسلامية حتى لا تحيد عن تعاليم الاسلام.
- تكثيف تأسيس المراكز والمنشآت الإسلامية في اوروبا لخدمة المسلمين هناك، تعليما وارشاداً وتوجيها.
- ايجاد أرضية أخلاقية سليمة تهدف إلى تهيئة مناخ اجتماعي صحي يلتقي حوله شباب المسلمين في مهاجرهم.. ضرورة انشاء قناة فضائية اسلامية تبث ارسالها باللغات الاكثر انتشارا في العالم.

المؤتمر الثالث عشر للاندية الادبية:



صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن سلطان

في مدينة تبوك، في شمال المملكة العربية السعودية، وباشراف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان، وبمشاركة رؤساء الاندية الأدبية وجمهرة من المهتمين بالثقافة ومعطياتها أفتتحت أعمال المؤتمر الثالث عشر للأندية الأدبية... والمؤتمر يمثل قراءة دقيقة وجادة للمعطيات الثقافية والفكرية للاندية الأدبية خلال عامها المنصرم، وتقييم هذه المعطيات، وبالتالي تحديد التوصيات للعام القادم، وهذه تمثل رؤية ثقافية فكرية مستقبلية.

كل هذا يأتي من خصوصية المنطلق الثقافي والفكري للمملكة القائم على خصوصية الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، والعربية التي تمثل الوعاء الأوسع لكل الناتج الفكري والمعرفي للمملكة.

مؤتمر الدراسات الاسلامية:

كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية عقدت مؤتمراً دولياً موسعاً حول الدراسات الإسلامية عند غير العرب، وتناولت الدراسات المقدمة للمؤتمر العطاء الفكري لهم في الفقه والحديث والآثار والأدب واللغة وأعمال الترميم الخاصة بالتراث وقضايا حقوق الانسان في الفكر الاسلامي والغربي، واثر البحوث الاستشراقية في الدراسات الإسلامية.. وقد وصلت البحوث المقدمة للمؤتمر إلى أربعين بحثاً.

شاركت في هذا المؤتمر ثلاث جامعات سعودية (أم القرى - الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية).



د. عبدالله بن عبدالمحسن — د. احمد عمر هاشم

وافتتح اعمال المؤتمر شيخ الأزهر، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الاسلامية والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

أهلا.. بالدكتور فهمي:

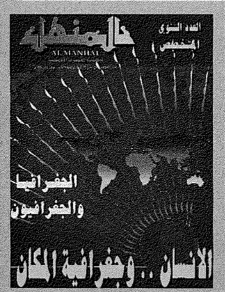
هذه الرسالة التي بين أيدينا من الأخ الأستاذ الدكتور فهمي مقبل، ونشكر له اتصاله الهاتفي، وكتابته هذه الرسالة لمجلته المنهل.

مراجعه إلا صاحبكم من أمر فإنني هنا عاتب على مجلتنا الغالية المنهل أن يفوتها ولم تستشر كل هذا الاستاذ لعمل هذا العدد السنوي المتخصص في الكشوف الجغرافية (الجغرافيا والجغرافيون) دون الحوار أو حتى الإشارة للإصدارات العلمية الرصينة في هذا الميدان وخاصة كتابنا الذي يعد على تواضعه أول دراسة شاملة في موضوع الكشوف الجغرافية في العالم الجديد، وهذا كان بفضل الله وتوفيقه، إنني استطيع أن ستلاف بمثلكم الرقيقة هذا القصور في اعطاء الكتاب حقه من التنويه وانني اسعد ان يراجعه أي متخصص أمين ويعطي رأيه العلمي فيه وما زلت وسابقة الذكر كل التقدير لجهدكم الأمين للحصول في خدمة تراث امتنا وقضاياها الفكرية والتاريخية على كل الأصعدة،

إن ذهبنا مع مقولة (الأسلوب هو الرجل) فنرجو ألا نكون قد ذهبنا شططا.. وحسب أستاذنا الدكتور فهمي أنه قد شط به القول في رسالته، إذ كان عَتْبه على المنهل (جارحاً) - هذا إن أسميناه عَتْبا لأنه قد تجاوز العتب الى مالا نود تسميته.

في شهر شوال من العام الماضي ١٤١٧هـ، أصدرت المنهل عددها السنوي المتخصص (الجغرافيا والجغرافيون).

ومن عادة المنهل في إصداراتها السنوية المتخصصة أن تستشير عدداً من أصحاب التخصص في مجال الاصدار الذي توده، وكان أن أشار علينا أصحاب التخصص في علم الجغرافيا باستكتاب مجموعة (أسموها) من أساتذة الجغرافيا في الجامعات على مستوى العالم العربي، وبكل



أسف لم يكن من بينهم أستاذنا الكريم الدكتور فهمي مقبل..!!

وحقيقة، لا ندري لِمَ غفلوا عن ذكره بين هؤلاء الأكارم؟!! الأستاذ الدكتور فهمي مقبل له كتاب بعنوان (نور العرب في اكتشاف العالم الجديد).. الكتاب في (١٠٧) صفحة - إضافة الى (٤٠) صفحة (هوامش - ومراجع ومصادر، وفهارس عامة).

أستاذنا الدكتور فهمي يجدُ على المنهل في شيئين:

أولا: عدم علم القائمين على أمر المجلة بهذا الكتاب.

ثانيا: أن ما كتبه الأستاذ خالد عزب في هذا العدد يُعدّ (سَقْطَ متاع) حسب تعبير الدكتور.

* يقول الدكتور فهمي في رسالته للمنهل:

«وكم كانت صدمتي في الحقيقة أن يغيب عن علمكم مثل هذه الدراسة (يقصد كتابه نور العرب في اكتشاف العالم الجديد) الوافية، والموضوع العلمي الشامل».

ويقول ايضاً في رسالته (فإنني عاتب على مجلتنا الجادة المنهل أن يفوتها الإشارة لكتابنا الذى يعد على تواضعه أول دراسة شاملة فى موضوع الكشوف الجغرافية في العالم الجديد).

ويقول أيضاً فى رسالته: (إنني اتطلع أن تتلافى مجلتكم العريقة هذا القصور في إعطاء الكتاب حقه من التنويه).

ويقول أيضاً فى رسالته: (ونشرتم فيما نشرتم أعمالا قد ترتقي أولا ترتقي لمستوى هذه الدراسة).

الدكتور فهمي له ما يقول عن كتابه، ويصفه بما يود، ونحن لا ننقصه حقه و(كل فتاة بأبيها معجبة) كما يقولون. أما أن يصاب الدكتور بالصدمة لأن المنهل لا تعلم عن كتابه شيئاً، فإنّا نوجه نفس السؤال في اتجاه الدكتور فهمي ايضاً.. هل يعلم الدكتور فهمي (بكل) ما كتب عن الجغرافيا والتاريخ من كتب ومؤلفات حديثة؟؟!! وهذا تخصصه!

الدكتور فهمي يرمي المنهل بـ (القصور) لأنها لم تشر إلى كتابه في عددها المتخصص.. بل يرى على المنهل (تلافي هذا القصور) بالاشارة لكتابه!! معلوم أن العدد المتخصص مجال هذا الحديث لم يفرد صفحات للاشارة للكتب المتخصصة في الدراسات الجغرافية، ولم ينوه بكتاب منها.

الدكتور فهمي يقول: «نشرتم فيما نشرتم أعمالا قد ترتقي أو لا ترتقي لمستوى هذه الدراسة».

ألا يرى الدكتور فهمي أن عُجْبَهُ بكتابه قد وصل الى حد كبير مما لا نود تسميته، ولك - يا سيادة الدكتور العزيز - أن تعجب بكتابك كما تود، لكن ليس لك أن تنقص الآخرين حقهم.. وهذا جهدنا.. ولم ندَّع له الكمال والشمولية والأوحدية، إذ الكمال لله وحده.

أما انتقاد الدكتور فهمي للأستاذ خالد عزب في مقاله بعنوان (نور المسلمين في اكتشاف الامريكتين) المنشور في العدد السنوي المتخصص (الجغرافيا والجغرافيون)، فهذا موضوع علمي نحيله لصاحب الدراسة نفسه ليجيب عنه.. فقد وصف الدكتور فهمي مقال الأستاذ خالد عزب بانه (يُعدُّ سقط متاع)، ويذهب الى أن المقال مقتبس من كتابه هذا، ويقول (والمستهجن أن كيف لمثل هذا الكاتب - يقصد خالد عزب - لا يعرف عن كتابنا شيئا).

وبمراجعتنا لمقال الأستاذ خالد عزب مقارنة بما ورد في كتاب الدكتور فهمي، نجد أن المقال قد تناول ثلاث نقاط أساسية هي:

١ - محاولة خشخاش - ٢ - محاولة الفتية المغرورين - ٣ - ابن الوردي وامريكا.. ونجد أن الاستاذ خالد عزب قد كان اكثر تفصيلا في موضوعاته مع رجوعه للمصادر القديمة التراثية.. في حين وردت هذه المعلومات عند الدكتور فهمي في أسطر معدودة.

وبهذه المناسبة نقول إن الدكتور فهمي في كتابه هذا قد رجع إلى (٦٥) مرجعاً منها (٢٠) صحيفة ومجلة. أى (ثلث) مراجع الكتاب من الصحف والمجلات.. والمعلوم أن الصحف والمجلات غير المحكمة لا تعتمد مراجع لبحث جاد، ولكن يمكن الاستئناس بها فقط.

أستاذنا الكريم الدكتور فهمي مقبل نتمنى له كل توفيق وسداد، ومجلته المنهل ترحب بتواصله العلمي معها.

جوائز :

من منطلق تنمية الثقافة العربية، وتكريم المبدعين، وعملا على تنشيط الانتاج الفكري في البلاد العربية، فقد أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليسكو) عن تقديم جائزتين:

١ ـ الجائزة التقديرية للثقافة العربية، وهذه مخصصة لتقدير أحد المفكرين العرب على مجموع ما ألفه وأسهم به في مجال الفكر العربي ومرتكزاته الثقافية، وقيمة هذه الجائزة (٢٥ ألف دولار).

٢ ـ جائزة الإبداع الأدبي العربي، مخصصة لعمل أدبي عربي متميز في مجال النقد الأدبي .. وهذه قيمتها عشرة آلاف دولار).

ومن شروط الجائزتين:

أنه يسمح لأي ناقد عربي لم يتجاوز سن الخامسة والاربعين أن يتقدم بترشيح عمل أو اكثر من اعماله النقدية لنيل الجائزة أو أن تتقدم احدى الجهات التالية بترشيح من تراه مستحقا لها مثل الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات والمجامع العلمية واللغوية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات والمنظمات الثقافية والعلمية مثل الاتحادات والجمعيات والهيئات.

كما يجب أن يراعى في العمل أو الاعمال المرشحة للجائزة أن تكون متميزة بالجد والاصالة وفيها اضافة إلى المعرفة وان يكون العمل أو الاعمال منشورة خلال الخمس السنوات الاخيرة والا تقل صفحات العمل المنشور عن مائة وخمسين صفحة بالاضافة إلى ذلك الا يكون العمل قد نال جائزة من قبل.

ان يرسل مع طلب الترشيح ثماني نسخ من العمل بشرط أن يكون العمل منشوراً وخلاصة عن سيرة حياته ونشاطه ونتاجه.. وسيكون آخر موعد لقبول الترشيحات واستلام الاعمال المرشحة اول اكتوبر ١٩٩٧م.

جائزة الفقي :

الاستاذ احمد زكي يماني رئيس مؤسسة يماني الثقافية ، وجائزة مؤسسة يماني للشعر، رعت مؤخراً توزيع جوائز مسابقة الشاعر محمد حسن فقي، فى دورتها الثالثة.

وقد عقدت اعمال هذه الجائزة فى مدينة القاهرة وحضر فعالياتها وشارك فيها جمهرة من أساتذة الادب والنقد، ومن الشعراء والدارسين المتخصصين في مجال الابداع.. وكانت جائزة الشعر من نصيب الدكتور عبده بدوي، وقدرها عشرون ألف دولار.

وفازت الدكتورة فاطمة طحطح من المغرب بجائزة الابداع في نقد الشعر.. وضمن حواريات هذه الجائزة قدمت مجموعة من المحاضرات والدراسات منها:

ـ (الشعر الجديد ولغة العصر) قدمها الدكتور محمد الهادي الطرابلسي من تونس.

ـ (الحداثة في الشعر العربي المعاصر بين النظرية والتطبيق) للدكتور وليد القصاب من دبي.

ـ (قصيدة النثر بين النقد والابداع) للدكتور عبد القادر القط.

ـ (ظاهرة الغموض في التجربة الشعرية في العصر الحديث) للدكتور محمد أبو الانوار.

ـ (الرؤية في نص الحداثة) للدكتور حسن بن فهد الهويمل.

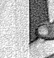
وهذه الجائزة يقوم على تقويم الاعمال المرشحة لها نخبة ممتازة من اساتذة الأدب في العالم العربي.

الأستاذ الشاعر محمد حسن فقي علم من أعلام الشعر على مستوى العالم العربي، ولا شك أن تخصيص جائزة باسم الشاعر الكبير الفقي يعد حدثاً له قيمته الأدبية والثقافية والابداعية.

وهذه الجائزة تأتي ضمن كوكبة من الجوائز الأدبية والثقافية التى يقوم عليها افراد أو مؤسسات أو هيئات حكومية في عالمنا العربي.. وهذه الجوائز تمثل تقديراً لحركة الابداع في عالمنا العربي وترعاه.



الاستاذ: احمد زكي يماني



الشاعر: محمد حسن فقي

المكتبات العربية قفزة حضارية كبرى في تاريخ أمتنا، ومؤسسة علمية تشرئب بعنق طويل عبر العصور؛ لتحكي قصة العلم العربي، والثقافة الإسلامية وتراجم العلماء حينما تربعوا على عرش العلوم، وتسنَّموا مركز القيادة والسيادة في تفكيرهم ومصنفاتهم، فكانوا أدمغة متفتحة، ومدرسة علمية وأدبية للعرب، والمسلمين، والناس قاطبة، فعلماء العرب في أوج الحضارة الذهبية كانوا مفكري العالم، وأساتذته.

تحقيق مصور

المكتبات العربية.. تاريخ مجيد



- صورة لاحدى المخطوطات الفقهية القديمة في المكتبة الخالدية.

وإذا أردنا للنهضة العلمية أن تعود من جديد حاملة لواء الفكر والتصنيف، فلا بأس بإطلالة على الماضي المشرق، كي نعي أصالتنا، وندرك الأسس المتينة، والقواعد الراسخة؛ التي قامت الحضارة العربية على أركانها.

ومن تلك الأسس، بل من أهمها على الإطلاق:

* الاهتمام بالعلم اهتماماً لا يحول دونه أي عثرات أو نكبات؛ لأن العلم هو منشىء الحضارة، والوسيلة الأساسية لدراسة الحياة، والأحياء، والكون بكل ما فيه.

فالمعرفة طريق التقدم، والمحرك للفكر الإنساني كي يتقد، ويتوهج، فتبرز الحقائق ساطعة في حيِّز الواقع، وتنشط مناهج البحث العلمي بعد غفوتها، فتأخذ مسارها الصحيح، وصولا إلى تحريك طاقات الأمة الكامنة، وتجسيد الانتصارات تلو الانتصارات في مجالات العلوم كافة.

وقد نفى عزَّ وجلَّ التسوية بين العلماء والجهلاء، فقال:

اعداد:
يوسف بديوي - سوريا -

{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب} (الزمر/٩).

لذا أمر الله سبحانه باستشارة العلماء، وسؤالهم، وتوثيق العرى بين النهضة والعلماء، وبين المعرفة والسلوك المنضبط. قال تعالى: {فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (النحل/٤٣).

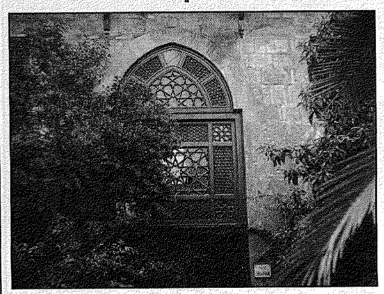
وقد كان النداء القرآني الأول إعلانا للحرب على الأميّة، ودعوة لا تهدأ للأخذ برقاب العلم على كل الأصعدة. قال تبارك وتعالى: {اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربّك الأكرم * الذي علَّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم} (العلق/ ١ - ٥).

وهذا العلم واسع المدى، لا تحده حدود، ولا يقتصر على العلم الديني، بل يمتدُّ ليشمل نواحي الحياة كلها، واتصالا بالمعارف الإنسانية المتاحة. وعلى كل أفراد المجتمع أن ينحوا نحو العلم، ويتزودوا من الثقافات، وينالوا حظهم من المعارف قال [صلى الله عليه وسلم] «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١].

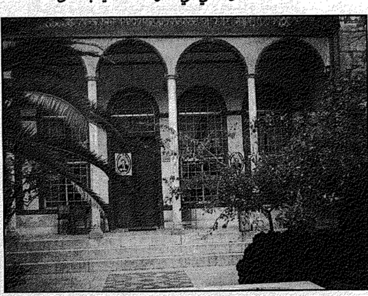
وقال عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة»[٢].

* ومتى انتشر العلم، واهتم الناس به، تولد حبُّ الكتب عندهم، وصار ديدنهم شراء الكتاب، وتكوين المكتبات

- بعض المؤلفات التراثية في المكتبة الظاهرية بدمشق.



- قاعة محمد كرد علي في المدرسة العادلية بدمشق.



- قسم الدراسات العليا في المدرسة العادلية

الخاصة والعامة، والبحث عن الذخائر المخطوطة، وإبرازها إلى عالم النور.

وقد أدرك أجدادنا - أثابهم الله تعالى - فضيلة اقتناء الكتب، فمدحوها، وسارعوا في اصطيادها كنزاً وفيراً لعقولهم، وأسرهم.

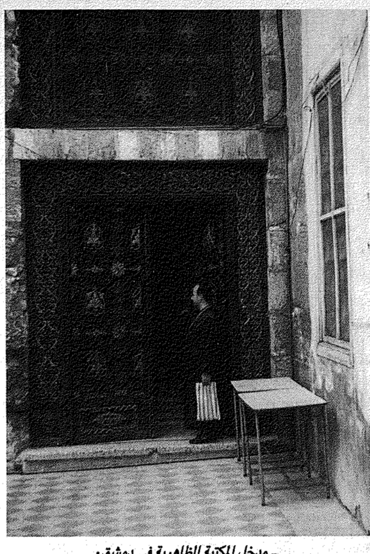
قال الجاحظ مظهراً محاسن الكتاب، ومبيناً مميزاته التي لا تُعَدُّ ولا تحصى: «نعم الجليس والعدة، ونعم العشرة والنزهة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة. والكتابُ وعاء ملُيء علماً، وظرف حُشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجداً»[٣].

وقديماً قال المتنبي:

أعـزُّ مكان في الدُّنا ظَهْرُ سـابح
وخيرُ جليس في الزمان كتابُ[٤]

وحدَّث ياقوت الحموي: أن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون (ت ٦٠٨هـ) كان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها وَحُصِّلَ له من أصولها المتقنة ما لم يُحصِّل أحد.

ثم تقاعد به الدهر، وبطل عن العمل، فرآه ياقوت يُخرج كتبه ويبيعها، وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء، فقال له ياقوت: هوِّن عليك؛ فإن الدهر ذو دول، وقد يُسعف الزمان ويساعد، وترجع دولة العز وتعاود فتستخلف ما هو أحسنُ منها وأجود. فقال: حسبك يا بني! هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها. وهب أن المال يتيسر، والأجل يتأخر - وهيهات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق؛ الذي ليس بعده تلاق. قال ياقوت: ثم أدركته منيته ولم ينل أمنيته[٥].



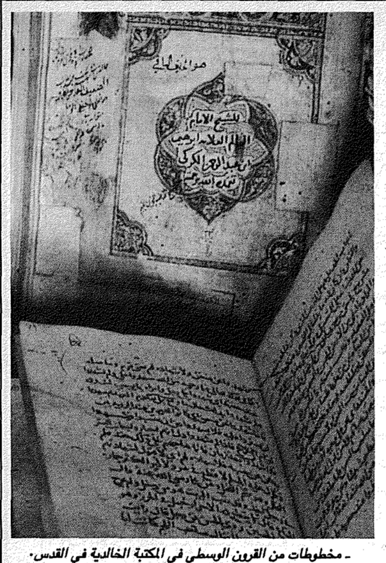
- مدخل المكتبة الظاهرية في دمشق.

وبعد هذا الحديث عن الاهتمام بالعلم والكتاب، لابد أن نصحب الكتاب العربي في مجموعاته، وتصانيفه، وتنوعه وهو ينتقل بنسخه من بيت إلى بيت، ويأخذ مكانه اللائق به على رفوف المكتبات؛ ليكون زاداً وفيراً للمطالع، وذخراً يخلفه الآباء للأبناء والجيل للجيل، في حركة مستمرة، تجعل القلب يقظاً وتدفع الفكر نحو اقتناص المزيد من المعارف والعلوم.

إنَّ إطلالة - ولو سريعة - على العصر الذهبي للأمة العربية، تتيح لنا الوقوف على كنوز الأجداد، بدءاً من عصر «الرشيد» وابنه «المأمون».

(١) لقد أسس هارون الرشيد «بيت الحكمة»، فكانت مركزاً للنقل والعلم، ثم تطورت لتصبح من المؤسسات العلمية الممتازة في البحث، وخزن الكتب، والتأليف، ولتكون مركزاً للرصد الفلكي الذي شع نوره في عصر المأمون.

وتم تسخير الحروب للعناية بالعلم، وجلب الكتب عظيمة القيمة، وإحضار المخطوطات التي قلَّ وجود نظيرها. وكانت طريقة الرشيد في الحصول على تلك الكتب تتمُّ بأن يتجه بغزواته الى المدن المشهورة بأنها معاقل للثقافة اليونانية في آسيا الصغرى كعمورية، وأنقرة، وغيرهما. وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة، والكتب النفيسة؛ التي كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها، ولم يعودوا يعرفون من أمرها إلا أنها مخلفات قديمة[٦].



ـ مخطوطات من القرون الوسطى في المكتبة الخالدية في القدس.

وكان «الرشيد» يُحرز النصر في هذه الغزوات، ويجعلُ من بين شروط الصلح: الحصول على الكتب التي كان يريدها، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة للرشيد في الحصول على هذه الكتب[٧].

وقام الرشيدُ بتعريب تلك الكتب، على يد: يوحنا بن ماسويه، حيث قلده الرشيدُ ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة، وعمورية، وسائر بلاد الروم، ووضعه أميناً على الترجمة[٨].

كما عهد الرشيد إلى الفضل بن نوبخت ليشرف على الترجمة من الفارسية إلى العربية[٩].

وقد تولى ابنُ الفوطي (ت ٧٢٣هـ) كُتُب الرَّصد بهذه المكتبة بضع عشرة سنة، وظفر بكتبٍ نفيسة. وهذا العالم المؤرخ له ذكاء مفرط، وخطٌّ منسوبٌ رشيق، فكان بداية خير للمكتبة، وتطوير لها[١٠].

(٢) وفي الأندلس كانت «مكتبة الحكم الثاني المستنصر بالله» مضرب المثل فيما وصلت إليه من عدد الكتب المجموعة، والاهتمام بها، وبمن يؤمونها. ذلك أن «الحكم الثاني» جمع من الكتب مالا يُحدّ، ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل: إن مكتبته كانت تضمُّ (٤٠٠) ألف مجلد، وأن رجاله لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها. وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي،

باذلا ما أمكنه من الأموال، حتى ضاقت خزائنه[١١].

وكان «الحكم» هذا محباً للعلوم، مكرماً لأهلها، جماعة للكتب بأنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. وكان يبعث في طلب الكتب من الأقطار، حتى جلب إلى الأندلس ما لم يعهد[١٢].

ومن شدة اهتمام «الحكم الثاني» بالكتب، وشغفه بها، أنه كان يبذل الأموال الكثيرة لابتياعها، فقد حدثوا أنه سمع بكتاب «الأغاني» وأنه موسوعة لم يؤلف مثلها، ولم يسبق إليها فأرسل (١٠٠٠) دينار من الذهب لشراء نسخة من هذا الكتاب[١٣].

ولم يكن «الحكم الثاني» يشتري الكتب فحسب، بل كان يطلع عليها، ويقرأ فيها، ويكتب ما يعنُّ له، حتى بذَّ غيره، وعلا صيته، وعظمت شهرته[١٤].

وكان مصيرُ هذه المكتبة فاجعة تعتصر القلب حزناً وألماً، ذلك أن المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢هـ) أخرج جميع الكتب الفلسفية الموجودة في مكتبة «الحكم الثاني» وأحرقها في قرطبة إرضاء للعامة والفقهاء في عصره.

ثم جاءت الطامة الثانية على يد الحاجب واضح - من موالي المنصور - الذي باع أكثر كُتُب تلك المكتبة.

وما تبقى من الكتب صار نهبة عندما دخل البربر قرطبة، واقتحموها عنوة[١٥].

ويحدثنا القلقشندي عن مكتبة «بيت الحكمة» بقوله:

«كان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة، ولا يقدم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التترُ بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم - آخر خلفائهم - ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها»[١٦].

(٣) وفي عهد الفاطميين أسس الحاكم بأمر الله «دار الحكمة» وافتتحت عام (٣٩٥هـ) وجلب إليها أعداداً غفيرة من الكتب الموجودة في خزائن القصور الفاطمية، كما حمل إليها عدداً كبيراً من الكتب الموجودة في خزائنه الخاصة من سائر العلوم، والآداب، والخطوط المنسوبة، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك[١٧]. كما قُسِّمت المكتبة أقساماً.

قسم للفقهاء، وقسم لقراء القرآن الكريم، وقسم للمنجمين، وقسم لأصحاب النحو واللغة وقسم خاص للأطباء.

كما سُمح لسائر الناس بالتردد على هذه المكتبة، والاطلاع على محتوياتها، والنظر في ذخائرها. كما أعطى الحاكم رواتب لمن رسم له بالجلوس فيها، والخدمة لها من فقيه وغيره.

وقد حضرها الناسُ على مختلف مستوياتهم الثقافية، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم.

كما جعل في هذه المكتبة ما يحتاج إليه الناس من: الحبر، والأقلام، والورق، والمحابر[١٨].

(٤) وفي زمن المغول تم تأسيس «مكتبة مراغة» يقول ابنُ شاكر الكتبي عن هذه المكتبة: «ابتنى نصير الدين الطوسي بمراغة قبة، ومرصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة، فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نُهبت من بغداد، والشام، والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على (٤٠٠) ألف مجلد»[١٩].

(٥) وفي الكرخ بنى سابور بن أردشير - وزير بهاء الدولة البويهي - مكتبة «دار العلم»

ووقفها على العلماء، ونقل إليها كتباً كثيرة، بلغت (١٠٤٠٠) مجلداً من مختلف أصناف العلوم، منها مئة مصحف بخطوط ابن مقلة[٢٠].

وكانت هذه المكتبة تقبل أسلوب إيداع الكتب فيها، فقد حدث ياقوت الحموي أن أحمد بن علي بن خيران الكاتب (ت ٤٣١هـ) سلم إلى أبي منصور بن الشيرازي - رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد - جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم - المشرف على دار العلم في بغداد آنذاك - وغيره؛ ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشيره في تخليدهما - إيداعهما ووضعهما - دار العلم؛ لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما أنفذه منها ارتضي واستجيد[٢١].

وقد قصد أبو العلاء المعري هذه المكتبة، وتعرف إلى محتوياتها، واستفاد منها، يقول: «والذي أقدمني إلى تلك البلاد مكان دار العلم بها.. ولكني آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزمن بإقامتي فيه»[٢٢].

شغفاً بدار العلم فيك وقلبه
مازال ربعاً للعلوم ودارا

* وقد احترقت هذه المكتبة، ونهبت كتبها.

(٦) وفي عام (١٠٦٧م) تم افتتاح مدرسة نظام الملك في بغداد وألحق بها مكتبة كبيرة، غنية بالكتب، ومنظمة، وقد زودت بكل كتاب غريب ونادر.

وقد درس الغزالي في هذه المدرسة أكثر من سنتين، وابن شداد. وزارها ابن جبير، وابن



- صورة من مصحف مغربي بخط النسخ.

بطوطة، ووصفها ابن الفرات - المؤرخ المصري - بأنها أعظم مدارس بغداد.

وتولى محمد بن أحمد الأبيوردي منصب أمين هذه المكتبة[٢٣].

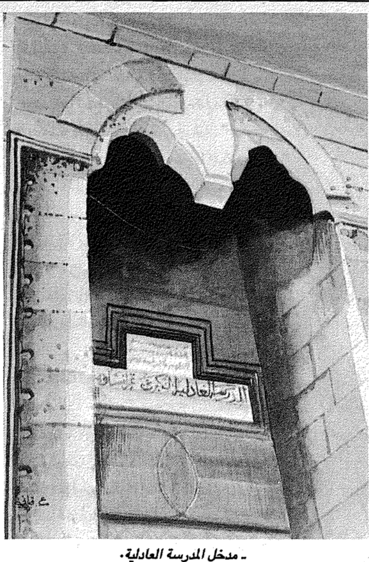
وثمة عناية كبرى بهذه المدرسة، فقد ذكر ابنُ الأثير أن ناراً وقعت سنة (٥١٠هـ) في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية فاحترقت الأخشاب التي بها، وانتقل الحريق إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدة دور، واحترقت خزانة كتب النظامية، وسلمت الكتب لأن الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها]٢٤[.

وكان عدد هذه الكتب نحواً من ستة آلاف

مجلد، كما ذكر ابنُ الجوزي[٢٥].

وأصيبت هذه المكتبة بالإهمال مع مرور الزمن، إلى أن جددها الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة (٥٨٩هـ)[٢٦].

(٧) ومن المكتبات المشهورة التي بعثرت في هذا العصر بدمشق[٢٧]: خزانة قبة صحن الجامع الأموي، وكانت مملوءة برقوق نفيسة فتحت سنة (١٣١٧هـ) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني. وكان في «دير صيدنايا» خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة، ولكنها أحرقت بأن جعلت وقوداً للفرن! وكان في دمشق عدة خزائن للكتب بعثرت، منها: خزانة آل حمزة ، وخزانة الحضرة، وآل الحسني، وخزانة آل عبد القادر الحسني ، أهدت أسرته كثيراً منها للمجمع العلمي، فجعلها في الخزانة الظاهرية.



ـ مدخل المدرسة العادلية.

وحرقت خزانة بدر الدين الحسني، وخزانة الشمعة، وآل مردم بك، وخزانة آل القوتلي. كما حفظت غيرها من الخزائن.

وأهم الخزائن العامة في دمشق: خزانة دار الكتب الظاهرية، وقد أخذت مكانتها من الكتب النادرة المحفوظة فيها. وقد أنشئت هذه الخزانة سنة (١٢٩٦هـ) بمساعي طاهر الجزائري وسليم البخاري، ومعاونة غيرهما من العلماء.

وقد انتشرت المكتبات العامة والخاصة في طول البلاد العربية وعرضها، وتنافس القائمون عليها في جلب الكتب إليها، حتى إن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف في العراق، كانت تحوي في القرن العاشر (٤٠) ألف مجلد، ومكتبة الخليفة العزيز في القاهرة، كانت تحوي (٠٠٠ر٦٠٠ر١) مجلداً، ولما توفي الوزير المهلبي سنة (٣٥٢هـ) وجد في مكتبته (٠٠٠ر١١٧) كتاباً، واستطاع ابن عباد أن يجمع في مكتبته أيضاً (٠٠٠ر٢٠٦) كتاباً ومرَّ معنا أن مكتبة الحكم الثاني في الأندلس كان تضمُّ (٤٠٠) ألف مجلد.

هذا قبس من تاريخنا المجيد، يتمثل في المكتبات، أهم عامل لتثقيف الناس، وقيامهم بالبحث، والدرس، والتأليف، والتمحيص، وقراءة التاريخ بتمعن، للاستفادة من الدروس والعبر

وبالتالي تقوم هذه الأمة من جديد وفق نهضة علمية حقة.

وإذا كانت النشوة تملأ قلوبنا حين نلتفت إلى ماضي الأمة، فنشمخ برؤوسنا عاليا لما ينداح في عصر الحضارة الزاهرة من مكتبات عديدة، ونهضة علمية متقدمة، فإننا نأسى لما تعرضت له تلك المكتبات من اضطهاد كبير من أعداء الحضارة والجهلة، فكانت النتيجة قضاء مبرماً على أثمن ما خلفه الفكر العربي والإسلامي.

ومن تلك النكبات[٢٨].

١ ـ نكبة التتار حين افتتحوا بغداد، ففاض نهر دجلة بما قنفوا فيه مما وجدوه في دور الكتب، وظل ماء النهر أسود داكناً مدة طويلة لانحلال مداد الكتب فيه.

٢ ـ نكبة الغزو الصليبي، وقد قدر بعض المؤرخين ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد!.

٣ ـ نكبة استيلاء الأسبان على الأندلس، حيث تم إحراق المكتبات العظيمة هناك بفعل التعصب ضد العرب والمسلمين، حتى إنه قد أحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما قدره بعض المؤرخين بمليون كتاب!.

وعلاوة على ذلك فقد أصيبت المكتبات العربية بعداء سافر من التجار الذين باعوها إلى الغرب بثمن بخس، فنقلوا الحضارة والعلم إلى تلك الأماكن.

وفوق هذا وذاك كانت الفتنُ الداخلية عاملا محرقاً للمكتبات العربية، فمكتبة الخلفاء الفاطميين اعتدى عليها الغوغاء من المماليك الأتراك، فأشعلوا فيها النار، واقتسم العبيدُ جلود كتبها فاتخذوها نعالا يلبسونها!.

ومكتبة الحكم الثاني المستنصر في الأندلس ذهبت حين دخل البربر قرطبة، فبيع كثير منها ونهب الباقي.

إن الماضي العربي والإسلامي مجيد، ونحن ننتظر امتداداً مكتبياً في كل البلاد العربية والإسلامية، ونهضة متفوقة هنا وهناك، لا سيما في هذا العصر؛ عصر الحاسوب الآلي، فنستفيد منه كل الفائدة، فنلحق بركب الحضارة، ونتابع السير قُدُماً في مختلف الأصعدة.

الهوامش:

(١) رواه ابن ماجه برقم ٢٢٤.

(٢) رواه أبو داود برقم ٣٦٤١ و ٣٦٤٢ والترمذي برقم ٢٦٨٢ وابن ماجه برقم ٢٢٣.

(٣) كتاب الحيوان للجاحظ ٣٣/١.

(٤) ديوان المتنبي ٣١٩/١، «الدنا»: جمع دنيا. «السابح» الفرس السريع الجري.

(٥) معجم الأدباء ١٨٥/٩ ـ ١٨٧.

(٦) الخوارزمي، للرقوقي والتوانسي ص ٧٨.

(٧) المصدر السابق.

(٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (١٢٤/٢).

(٩) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٥٥.

(١٠) شذرات الذهب، لابن العماد ١٠٩/٨.

(١١) نفح الطيب، للمقري (٣٩٤/١ ـ ٣٩٥).

(١٢) العبر، لابن خلدون (١٤٦/٤).

(١٣) نفح الطيب (٣٨٦/١).

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) العبر، لابن خلدون (١٤٦/٤).

(١٦) صبح الأعشى (٤٦٦/١).

(١٧) الخطط المقريزية (٣٣٧/٢).

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) فوات الوفيات (٣٠٧/٢).

(٢٠) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (١٦٤/٤).

(٢١) معجم الأدباء (٥/٤ ـ ٦).

(٢٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٨٩.

(٢٣) معجم الأدباء (١٧/ ٢٣٧).

(٢٤) الكامل في التاريخ (٢٢٩/٨).

(٢٥) صيد الخاطر ص ٢٠٧.

(٢٦) الكامل في التاريخ (٢٢٩/٨).

(٢٧) خطط الشام، لمحمد كرد علي (١٩٤/٦ ـ ١٩٧).

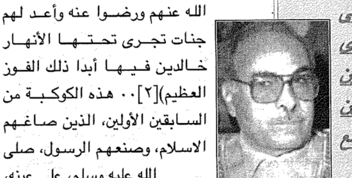
(٢٨) من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

الإمام الشافعي عند نصـ

في كثير من كتابات الدكتور نصر أبو زيد «اجتراء» غير مألوف على كثير من رموز الأمة الإسلامية.. والحديث عن «رموز للأمة» لا يعني إضفاء القدسية على بشر أيا كان دوره وموقعه في تاريخ الإسلام.. ففي الإسلام لا قدسية لغير الله وآياته.. ولا عصمة لغير الرسل، عليهم السلام، وحتى عصمة الرسل فهي فيما يبلغونه عن الله، فالعصمة من ضرورات «الرسالة» وليست امتيازا للجانب البشري المجتهد في الرسل والأنبياء.

لكن لكل دين وفلسفة ووطن وجهاد وأمة «الرموز» التي تمثل «المثل» و«المنارات» الحافزة لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتقدم الذي برزت على دربه هذه «الرموز» فالذين يعرفون قدر الدين وعظيم نعمته، يعرفون أقدار الجيل النبوي الفريد الذي رفع القواعد لهذا الدين، فغيَّر وجه الدنيا وحول مجرى التاريخ.. والذين يعرفون قدر الوطن والوطنية، يجلون رموزها الذين وهبوا حياتهم لتحرير الأوطان وتقدمها.. والذين يعرفون قيمة العدالة الاجتماعية، يقدرون أبطالها حق قدرهم.. وهكذا في كل الميادين.





ولذلك، فإن المرء يحار أمام «اجتراء» الدكتور نصر على كثير من رموز الأمة.. ويتساءل: أهو سوء فهم؟.. أم سوء نية؟.. أم هما معا؟.

ونحن لن نشغل أنفسنا، ولا القارىء، بالإجابة على هذه التساؤلات.. بقدر ما سنقف مع القارىء أمام نماذج - مجرد نماذج - لهذا «الاجتراء».

فالصورة التي يقدمها الدكتور نصر للمهاجرين الأولين، الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)[١] والذين (رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[٢].. هذه الكوكبة من السابقين الأولين، الذين صاغهم الاسلام، وصنعهم الرسول، صلى الله عليه وسلم، على عينه، يصورهم الدكتور نصر في صورة العصابة، التي ما كاد الرسول يلحق بربه حتى ارتدوا إلى العصبية القبلية - القرشية - وفرضوها على الاسلام والمسلمين والمشروع الاسلامي، رافضين حتى إشراك الأنصار، الذين آووا ونصروا، في السلطة أو تداولها

ـــر أبو زيد سوء فهم؟ أم سوء نية؟؟

معهم.. فأوقعوا الاسلام والمشروع الاسلامي في أولى العثرات!.

يقدم الدكتور نصر للمهاجرين الأولين هذه الصورة الكئيبة الكريهة، فيقول: «في اجتماع (السقيفة) بين المهاجرين والأنصار تم تدشين السيطرة القرشية على الاسلام والمسلمين[٣].. فالنزعة «القرشية» التى أرادت الهيمنة على المشروع الإسلامى نجحت عشية وفاة النبى [صلى الله عليه وسلم] في واقعة السقيفة ثم في حروب الردة[٤].. فحين رفعت قريش - في حوار السقيفة - مبدأ «الخلافة في قريش» ورفضت رفضا تاما «تداول السلطة» منا أمير ومنكم أمير - كما رفضت «المشاركة» فيها - منا الوزراء ومنكم الأمراء - سجلت العثرة الأولى في تاريخ المشروع الاسلامي»[٥].

ونحن نؤمن بأن هذا الذى جرى فى سقيفة بنى ساعدة، حول تأسيس الخلافة واختيار الخليفة الأول، هو «اجتهاد» من الصحابة، غير المعصومين، يرد فيه الخطأ والصواب.. لكن تعالوا ننظر في «اجتراء .. وافتراء» الدكتور نصر، محتكمين الى «الوقائع» و«المنطق» دون «مصادرة» على أوسع الحريات في التفكير.

١ - *إن الذي انتصر في السقيفة لم تكن العصبية القرشية*. ولو فقه الدكتور نصر - أو حتى قرأ - ما كتبه ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) عن العصبية - وعصبية قريش تحديدا - لما سقط في هذه الحفرة.. فكما يقول ابن خلدون «إن عصبية مضر كانت فى قريش، وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بنى أمية»[٦] ***وأبو بكر كان من «تيم»، وعمر - الذى بادر بالبيعة له - كان من «عدي» وليس فيهما عصبية قريش*** - ويزكي هذا اعتراض أبى سفيان - الأموى - على تولي أبى بكر، وتحريضه على بن أبى طالب على طلبها، لأنه الأقرب إلى عصبة قريش - فهو من عبد مناف.

٢ - *وهذا الذى تم في السقيفة* قد أجمعت عليه الأمة - باستثناء سعد بن عبادة - قرشيين وغير قرشيين.. عربا وموالي .. أحرارا وأرقاء.

٣ - *بل إن هذا الذى حدث في السقيفة* - على عكس ما ادعى الدكتور نصر - ***هو نموذج للتعاقد على توزيع السلطة بين مؤسستين دستوريتين: الإمارة في مؤسسة «المهاجرين الأولين» - العشرة - والوزارة في مؤسسة «النقباء الاثنى عشر» - الأنصار*** - وكلمات أبي بكر، في السقيفة، نص في «تعاقد المشاركة» هذا، ففيها يقول للأنصار: «نحن أوسط العرب أنسابا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة.. وليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة، ولا تنقضي دونكم الأمور»[٧].. وقول أبى بكر: «إن العرب لا تعرف هذا الأمر - (الخلافة) - إلا لهذا الحي من قريش» إشارة إلى هيئة المهاجرين الأولين - الذين جمعوا إلى قرشيتهم السابقة في الدين والريادة في إقامة قواعده وتأسيس دولته.. فأين هي «العصبية القرشية» وهؤلاء المهاجرون الأولون كانت حياتهم الإسلامية صراعا مع العصبية القرشية التى ظلت على شركها حتى فتح مكة سنة ٨هـ؟!.

٤ - *وأين هو «تدشين السيطرة القرشية على*

الاسلام؟.. وعلماء الاسلام وأئمته امتلأت موسوعات طبقاتهم - في مختلف فروع العلم - بأسماء الموالي.. فكان منهم سلاطين العلماء الذين منحتهم الأمة من المحبة والولاء أكثر مما منحته لسلاطين الأمراء؟!.

٥ - وأين هي السيطرة القرشية على المسلمين؟.. والدول غير العربية قد حكمت المسلمين قرونا هي أضعاف أضعاف الحكم العربي لهؤلاء المسلمين؟!.

فمن بدء الخلافة الراشدة (١١هـ ٦٦٢م) وحتى سيطرة العسكر المماليك على الخلافة العباسية في عصر المتوكل العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ ٨٢١ - ٨٦١م) لم يبلغ زمن الحكم «العربي» قرنين من الزمان (١٨٥ عاما)؟!.. وذلك من مجموع أكثر من ثلاثة عشر قرنا (١٣٤٢هـ) هي عمر الخلافة الإسلامية.. أى أن العرب قد حكموا المسلمين مائة وخمسة وثمانين عاما، على حين حكم المماليك والأيوبيون والشركس والعثمانيون أكثر من أحد عشر قرنا (١١٧٥ عاما)!.. فأين هي السيطرة القرشية أو العربية على المسلمين، ونسبة الحكم العربى في تاريخ الخلافة لا تعدو ١٤٪ من ذلك التاريخ؟!.

* بل إن الدكتور نصر أبو زيد لا يتورع عن اتهام صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بما يسميه «التوجيه الأيديولوجى للإسلام، لتحقيق السيادة القرشية».. فيقول عن جمع المسلمين على مصحف واحد، بقراءة واحدة، فى عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه.. يقول: «ولا نغالى إذا قلنا إن تثبيت قراءة النص (أى القرآن) الذى نزل متعددا في قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الأيديولوجي لتحقيق السيادة القرشية»[٨].. فالعطب - فى رأيه هنا - قد أصاب القرآن، وليس السلطة والدولة فقط؟!.

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، خلصت نواياه لفهم دقائقها، لعلم أن تعدد الحروف السبعة لم يكن تعددية في قراءة جملة القرآن الكريم، وإنما كانت «رخصة» في نطق بعض الحروف في بعض كلمات القرآن.. فالوحي والتنزيل والتدوين للقرآن كان بقراءة قريش لهذه الأحرف، والرخصة كانت بالقراءة غير القرشية لهذه الأحرف فى بعض الكلمات.. فلما تجاوزت الأمة دواعي «الرخصة» كان توحيد القراءة لهذه الأحرف، أي العودة عن «الرخصة»، التى فقدت دواعيها، إلى الأصل الذى تم به الوحي والتنزيل والتدوين.. فنحن لسنا أمام انحراف أيديولوجي عن الأصل .. بل أمام عودة طبيعية إلى الأصل.

ولو قرأ الدكتور نصر كلمات الأمام ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣هـ ٩٧٨ - ١٠٧١م) التى يقول فيها: «إن تلك السبعة أحرف إنما كانت فى وقت خاص، لضرورة دعت الى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد»[٩].. لو قرأ هذه الكلمات لما قال هذا الذى قال.. بل لو قرأ كلمات أستاذ - نعلم أنه أثير لديه - هو الشيخ أمين الخولى (١٣١٤ - ١٣٨٥هـ/ ١٨٩٦ - ١٩٦٦م) عن إنجاز الصحابة هذا، على عهد عثمان: «وهذا الذى صنعه عثمان إذا ما سميناه جمعا، فإنه لجدير بأن يسمى جمع المسلمين، لا جمع القرآن.. فإن جمع القرآن - بمعنى ضم أجزائه - قد كان فى عهد الرسول بما يلائم نزوله منجما، ثم كان هذا الجمع - بمعنى الضم - فى عهد أبي بكر، بما حفظ أصلا رسميا يكون مرجعا. وعمل عثمان هو تهيئة هذا الأصل الرسمي للتداول العملي، على حال تلائم الدعوة الاسلامية التى امتدت وتمتد .. فالمهمة في جوهرها: إخراج كتابى للنص القرآنى في حرف واحد موحد من الحروف التى أنزل بها، وتركت

إباحة القراءة بها إلى حين»[١٠].

ثم .. ما هو حجم الخلاف في قراءة القرآن عند توحيد هذه القراءة على حرف واحد؟

إن سيف بن عمر التميمي (١٨٠هـ ٧٩٦م) صاحب كتاب (الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلى) يقول: إن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قد قال لمن عهد إليهم بهذه المهمة - زيد بن ثابت وسعيد بن العاص «يكتب أحدكما ، ويملى الآخر، فإذا اختلفتما في شيء فارفعاه إليّ. فكتب احدهما وأملّ الآخر، فما اختلفا في شيء من كتاب الله، عز وجل، إلا في حرف من سورة البقرة، قال أحدهما: التابوت، وقال الآخر: التبّوت. فرفعاه إلى عثمان، رضى الله عنه، فقال: التابوت»[١١].

لو قرأ الدكتور نصر أبو زيد هذه النصوص، وفهمها ووعاها، وحسنت منه النوايا، لما كان منه هذا الاجتراء على صحابة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورضي عنهم.. ولما طعن بحدوث «توجيه أيديولوجي» للقرآن الكريم!

* ولقد خصص الدكتور نصر «للاجتراء والافتراء» على الإمام الشافعى كتابا قائما بذاته.. وإذا كنا قد عرضنا لمواضع من أفكاره فيه، في غير هذا المقام.. فإننا سنقف هنا أمام أربعة نماذج من الافتراء على هذا العلم من أعلام أئمة الفقه والأصول.. وصاحب المذهب الفقهى الذى يستقطب عشرات الملايين من المسلمين.

١ - ينقل الدكتور نصر عن الإمام الشافعي - من كتاب «الرسالة» - عبارات يتحدث فيها الشافعي عن الوضوح «عند أهل العلم بلسان العرب» في المراد من قول الله سبحانه: {يأيها الناس ضُرِبَ مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضَعُفُ الطالبُ والمطلوب}[١٢]. وقوله: {ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس}[١٣].. فلأهل العلم بلسان العرب وضوح بالمراد من هذه الآيات، بينما يغمض المراد عند «من يجهل لسان العرب».

فالشافعي - من واقع النص الذى نقله الدكتور نصر - يتحدث عن أهل العلم باللسان العربي وأهل الجهل بهذا اللسان .. ولكن الدكتور نصر - لسنا ندرى ولا المنجم يدرى كيف - يتهم الشافعى بالتعصب للجنسية العربية وأصولها العرقية، بل والقبلية القرشية تحديدا!! .. فيقول، معلقا على كلام الشافعى: «فليس الغموض والوضوح إذن فى دلالة العموم على الخصوص مرتبطا بطبيعة التركيب والسياق، بل هو مرتبط أساسا - عند الشافعى - بطبيعة المتلقى، أو بالأحرى بجنسيته وأصوله العرقية.. إن الشافعي، وهو يؤسس عروبة الكتاب.. كان يفعل ذلك من منظور أيديولوجي ضمنى في سياق الصراع الشعوبى الفكرى والثقافى.. لقد انحاز لا إلى العروبة فقط، بل إلى «القرشية» تحديدا[١٤]»؟!

فالشافعي معياره العلم بالعربية أو الجهل بها - دون ذكر للجنس أو العرق فى العالمين والجاهلين - فقد يجهلها العربى جنسا ويفقهها غير العربى - وأئمة علوم العربية لم يكن الكثيرون منهم عربا بالعرق والجنس .. ***ولكن الدكتور نصر يوجه إلى الشافعي تهمة أيديولوجية العصبية للجنسية والأصول العرقية العربية، والقبلية القرشية!.. فهل هو سوء فهم؟.. أم سوء نية؟.. أم هما معا؟!.***

٢ - وينقل الدكتور نصر عن الشافعى - فى «الرسالة» نصا يتحدث فيه عن أقسام السنة النبوية، وعن آراء العلماء في مكانة السنة من الوحى ومن القرآن .. يقول فيه: «وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان:

أحدهما: نص كتاب، فاتبعه رسول الله كما أنزل

الله.

والآخر: جملة، بيَّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها.

وكلاهما اتبع فيه كتاب الله.. وهذان الوجهان اللذان لم يختلف أهل العلم فيهما.

والوجه الثالث: ما سنّ رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب.. فمنهم (أي العلماء) من قال: جعل الله له، - بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه - أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب. ومنهم من قال: لم يسنّ سنة قط إلا ولها أصل فى كتاب. ومنهم من قال: بل جاءته به رسالة الله، فأثبتت سننه بفرض الله. ومنهم من قال ألقي في روعه كل ما سنّ، وسنته الحكمة الذى ألقي فى روعه، فكان ما ألقى في روعه سنته[١٥]».

هكذا حكى الشافعى آراء أهل العلم فى مكانة السنة من الكتاب ومن الوحى.. وأكثر هذه الآراء إعلاء لمكانة السنة هو الذى يجعلها لونا من الوحى متميزا عن الوحى القرآنى - فهى إلقاء فى الروع - فتظل غير القرآن، إذ لا إعجاز فيها، ولا قطع فى ثبوتها، ولا اقتصار في روايتها على اللفظ - إذ تروى بالمعنى - .. ورغم كل هذا الوضوح، ومعه.. يُعلق الدكتور نصر على هذا الذى أورده الشافعى، فيتهمه بأنه «حرص لا على جعل السنة شارحة ومفسرة للكتاب فحسب، بل على إدماجها في أنماط الدلالة، وإدخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى[١٦]» - (ولاحظ تعبيره «إدخالها جزءا جوهريا فى بنية النص القرآنى» - والذى لم يخطر للشافعى ببال.. ولا شبه بينه وبين أى من الآراء حكاها عن العلماء)..!

فالذين جعلوا الرسول [صلى الله عليه وسلم] مشرعا بسنته.. قالوا إن هذه السنة «إلقاء فى الروع»، أي أنها «لون من الوحى» فالمشرع الأصلى والحقيقى والابتدائى فيها ولها وبها هو الله، سبحانه وتعالى.. ومع ذلك، يجعل الدكتور نصر من أصحاب هذا الرأى - ومنهم الشافعى - أهل «العصبية العربية القرشية، التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد، وإلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعا[١٧]».

فهل هو سوء فهم؟.. أم سوء نية؟.. أم هما معا؟!.

٣ - ولأن الشافعى رفض «الاستحسان»، واكتفى بالقياس.. ذهب الدكتور نصر إلى اتهامه بالنضال للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية، وهو نضال لا يخلو من مغزى اجتماعى فكرى وسياسي واضح[١٨].. كما يقول نصر؟!.

ولست أدرى كيف يناضل للقضاء على التعددية الفكرية والفقهية من كان نموذجا جسّد التعددية في الاجتهادات الفكرية والفقهية؟!.

لقد أبدع الشافعى مذهبا قديما - عندما كان بالعراق - ثم أبدع هو ذاته مذهبا جديدا - فى الواقع المصري المتميز عن واقع العراق.. ولم يتنكر فى جديده لقديمه، وإنما رآهما فى إطار تميز الاجتهادات وتعددها لتميز وتعدد الرؤى والوقائع والأعراف.

ومن الذى يستطيع أن يتجاهل دلالة شعار الشافعى: ***مذهبى صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرى خطأ يحتمل الصواب.*** دلالته فى التأسيس والتقعيد للتعددية الفكرية والفقهية والمذهبية ولشرعية ومشروعية التنوع في الاجتهادات؟!..

وإذا كان الشافعى قد رفض «الاستحسان» وقال به الحنابلة.. فهل يجوز لصاحب منطق ان يصنف الشافعى فيمن يضيقون بالتعددية الفكرية والفقهية أكثر من ضيق الحنابلة بها؟!. فضلا عن أن يقول إنه كان مناضلا للقضاء على هذه

التعددية؟!.

ولو كان الدكتور نصر باحثا عن الحقيقة، يجمع إلى طلب العلم حسن النية، لعلم أن الاختلاف الذى روى عن الفقهاء، فى الموقف من الاستحسان، هو - كما قال المحققون - «خلاف لفظى، لأن الاستحسان إن كان هو القول بما يستحسنه الانسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل، ولا يقول به أحد، وإن كان هو العدول عن دليل إلى دليل أقوى منه، فهذا مما لا ينكره أحد[١٩]» من الفقهاء.

وهذا هو عين ما صنعه الشافعى .. وإلا بماذا نسمى عدوله عن الأدلة التى أسس عليها اجتهاداته فى مذهبه القديم، إلى الأدلة التى أسس عليها اجتهاداته فى مذهبه الجديد؟.. أليس هذا هو جوهر وحقيقة الاستحسان، الذى لم ينكره أحد من فقهاء الإسلام؟!.

٤ - ويشاء الله أن يقع الدكتور نصر أبو زيد، فى تناقض حاد - وهو يهاجم الإمام الشافعى - لقد اتهم الشافعي بأنه «يؤسس بالعقل إلغاء العقل»[٢٠]، لا لشيء إلا لأنه اكتفى بالقياس عن الاستحسان - ولقد علمنا نوع الاستحسان الذى عزف عنه.. والنوع الذى مارسه.

وفى دراسة أخرى، أخذ الدكتور نصر يتحدث عن علاقة القياس بالعقل وحركة العقل، وبالتأويل، وبالتغيير وبالتطوير الذى يواكب المستجدات.. فقال: «والقياس - كما هو واضح - يعتمد حركة العقل فى فهم الظاهرة أو النص .. وهو فى مجال النصوص الدينية، الأداة التى يستطيع بها العقل الانسانى تطوير دلالة هذه النصوص لتلائم متغيرات الزمان والمكان فى مجال الأحكام الشرعية، وهى الأداة التى يقوم بها «التأويل» فى الجوانب الأخرى للنصوص الدينية.. إن القياس يعتمد اعتمادا أساسيا على التأويل، سواء من حيث استخراج الحكم أو من حيث استنباط العلة أو من حيث نقل حكم الأصل إلى الفرع»[٢١].

هكذا كال الدكتور نصر المدائح للقياس - لمكانته من العقل والعقلانية والتأويل والتغيير والتطوير ومواكبة متغيرات الزمان والمكان - وكان ذلك فيما كتبه سنة ١٩٨٨م.. ثم عاد بشهوة العداء للإمام الشافعى ليحكم على إعلائه لشأن القياس، بأنه: تأسيس بالعقل لإلغاء العقل - وكان ذلك فيما كتبه سنة ١٩٩٢م.

فهل هو مجرد تغيير؟ .. أم سوء فهم؟ .. أم سوء نية؟!.. أم كل ذلك جميعا؟!.

تلك نماذج - مجرد نماذج - لافتراءات الرجل على الإمام الشافعي، رضي الله عنه.

الهوامش:

(١) الحشر: ٨.
(٢) التوبة: ١٠٠.
(٣) الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٥٧.
(٤) التفكير في زمن التكفير ص ١٦٩.
(٥) مجلة القاهرة - مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق - اكتوبر سنة ١٩٩٢م.
(٦) المقدمة ص ١٧١. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.
(٧) تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٢٠٧ - ٢١٠ - أحداث سنة ١١هـ - وابن قتيبة (الامامة والسياسة) جـ١ ص ٦ - ١١ طبعة القاهرة سنة ١٣٣١هـ.
(٨) الامام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ١٥.
(٩) القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ١ ص ٤٣.
(١٠) دائرة معارف الشعب - مادة القرآن الكريم - جـ١ ص ٢٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.
(١١) حقق هذا الكتاب: د. قاسم السامرائى ، طبعة ليدن - هولندا سنة ١٩٩٥م، انظر عرض وليد نويهض له - صحيفة الحياة - لندن - في ٩/٩/ ١٩٩٥م، والنص في ص ٥١ ، ٥٢ من الكتاب.
(١٢) الحج: ٧٥.
(١٣) البقرة: ١٩٩.
(١٤) الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩.
(١٥) المرجع السابق ص ٣٧ - ٣٩.
(١٦) المرجع السابق ص ٣٩.
(١٧) المرجع السابق ص ٥٥ ، ٥٦.
(١٨) المرجع السابق ص ١٠١.
(١٩) الموسوعة الفقهية - مادة استحسان - وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية - الكويت سنة ١٩٨٣م.
(٢٠) المرجع السابق ص ٢٢.
(٢١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

نحو فقه ميسر معاصر (٢-١)

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، عقود متتالية من الحركة النشطة الفاعلة في مجالات: التأليف العلمي الدقيق، والدعوة والتوجيه، والفقه والفتوى، والتدريس الجامعي، والندوات والمحاضرات والمؤتمرات، والمشاركة الفاعلة في عضوية المجالس العلمية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.. إضافة إلى ما يزيد على خمسين مؤلفاً، كثير منها تُرجم إلى مجموعة من اللغات الحية، ومجموعة من لغات العالم الاسلامي.

الأستاذ الدكتور القرضاوي فكر نيّر، وعمل جاد دؤوب لتجديد حركية الفقه الإسلامي وتيسيره للمسلمين، وتقريب الفقه الإسلامي من حياة المسلمين في واقعهم المعاش، لا سيما وأن كثيراً من قضايا الفقه الاسلامي لم تعد مطبقة في حياة الناس لسبب أو آخر.

وهذه الدراسة القيِّمة واحدة من جهد الدكتور القرضاوي في هذا الاتجاه (نحو فقه مُيسَّر مُعَاصر).

وتسعد (المنهل) بنشرها للقراء الأكارم على حلقتين لتعم بها الفائدة.

بقلم المفكر الاسلامي الكبير
أ.د/
يوسف القرضاوي

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. أما بعد: فإن الاسلام، إذا أردنا تلخيصه في كلمتين اثنتين، قلنا: هو عقيدة وعمل أو إيمان وسلوك.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو علم التوحيد.

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو علم الفقه.

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كانت أو مبغوضة، وهو علم التصوف، أو السلوك.

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنباً الى جنب في نسق واحد، كما فعل ذلك الإمام

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) الذى استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التي يهتم بها علم الكلام، أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة ـ عبادات ومعاملات ـ التي يهتم بها علم الفقه، ومن الأعمال القلبية الباطنة ـ مهلكات ومنجيات ـ التي يهتم بها علم التصوف، والتي هي لبُّ الكتاب وجوهره.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه (الفقه الأكبر) كما روى ذلك عن الإمام أبي حنيفة.

ومنهم من أدخل ما لابد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساساً للفقه، كما نرى ذلك في كتاب (الرسالة) لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) وهي مشهورة في الفقه المالكي، ومشروحة لأكثر من واحد. فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أمر به أو نُهي عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في كتابه المعروف (المحلَّى) فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكن الذي اشتهر في الاصطلاح، واستقر عليه الأمر، هو إفراد علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع. وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه).

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث عن (تيسير الفقه) أو (الفقه الميسّر المعاصر) مستمدين العون والتوفيق من الله تعالى.

حول تيسير الفقه:

علم الفقه:

الفقه كما يعرِّفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي، بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة بأحكام الشرع. سواء منها ما يختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما ينظمه فقه العبادات أم ما يتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه، وهو ما ينظمه فقه الحلال والحرام، وأدب السلوك الشخصي أم ما يتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج وما يترتب عليه، أو ما يسمَّى (الأحوال الشخصية) أم ما يتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يسمى (المعاملات)، ويدخل في القانون تحت اسم (القانون المدني) أم ما يتصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يسمى في الفقه (الحدود والقصاص والتعزير) ويدخل في القوانين تحت عنوان (التشريع الجنائي) أم ما يختص بالصلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يسمى (السياسة الشرعية) ويسمى عند القانونيين (القانون الدستوري) أو (الإداري) وهناك أيضا الجهاد والسير وهو ما يدخل تحت اسم (العلاقات الدولية).

إن الأمة الاسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة، وإن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق ما يريده الإسلام، وما يأمر به، حتى تكون حركتها للاسلام وبالاسلام.

وليس الفقه - اذن - خاصا بالأحكام الفردية والأسرية، بل هو يشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والدستورية والمالية والدولية، وسائر مجالات الحياة.

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع والانحطاط والانحراف - والى اليوم - أن يسألوا الفقه في مسائل الحيض والنفاس والطهارة والصلاة والرضاع والطلاق ونحوها، ولا يسألوه في الأمور الكبيرة التي تتعلق بمصير الأمة وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

لا يسألونه عن تسلط الحكام العملاء الخونة، أو الحكام الجبابرة المستبدين على شعوبهم المقهورة!.

لا يسألونه عن نهب المال العام، والإثراء الحرام، وتكوين الثروات الضخمة من دماء الكادحين وعرقهم!.

لا يسألونه عن تزوير الانتخابات الذي أصبح ميزة لأوطاننا العربية والاسلامية، فنحن - دون العالم - بلاد التسعات الخمس المعروفة (٩٩٫٩٩٩)!.

لا يسألونه عن الظلم الاجتماعي: ظلم الأغنياء للفقراء، والأقوياء للضعفاء، وأرباب العمل للعمال، وأصحاب النفوذ للمستضعفين!.

لا يسألونه عن التهاون في أرض الاسلام، والتنازل عنها لمن اغتصبها بالقوة، والاعتراف بأنه أصبح مالكها.

لا يسألونه عن السكوت على شعوب إسلامية تذبح وتباد على مرأى ومسمع من أمة الاسلام، ولا تجد من يشد أزرها في محنتها، ويعينها على عدوها.

ويوم سأل بعضهم الفقه الاسلامي في قضية حساسة هي حكم المرتد في شريعة الله وأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهائه ودعاته، قامت الدنيا ولم تقعد!

شرعية التيسير:

هذا الفقه الرحب مطلوب تيسيره للناس في عصرنا. وهو واجب على أهل العلم من الأفراد والمجامع والهيئات والجامعات.

وأود أن أقرر في بداية الأمر أن التيسير أمر مطلوب شرعا في ذاته. وليس مجرد استجابة لضغط الواقع، أو تناغما مع روح العصر، كما قد يتصور بعض الناس.

فالشريعة الاسلامية مبناها على اليسر، لا على العسر، وتعليمها للناس مبني على التيسير لا على التعسير، والدعوة اليها قائمة على التبشير لا على التنفير.

اما ابتناء الشريعة على اليسر، فهو واضح غاية الوضوح، من آيات القرآن الكريم، فهو يقول في ختام آية الطهارة: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} (المائدة/٦).

ويقول في ختام آية الصوم: {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} (البقرة/ ١٨٥).

ويقول بعد الآيات المتعلقة بالمحرمات في النكاح، وما أحل الله بعد ذلك: {يريد الله أن يخفف عنكم. وخلق الانسان ضعيفا} (النساء/٢٨).

ويقول بعد ان شرع العفو في القصاص بعوض أو بغير عوض: {ذلك تخفيف من ربكم ورحمة} (البقرة/ ١٧٨).

وينفي الحرج عن الدين عاما بقوله تعالى: {وما جعل عليكم في الدين من حرج} (الحج/٧٨).

وحسبنا هذه الآية العامة المطلقة يخاطب الله

بها رسوله الكريم: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء/١٠٧).

واقتباسا منها جاء قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا رحمة مهداه»[١].

وقال لأصحابه حين هموا بالاعرابي الذي بال في المسجد: لا تزرموه - أي لا تقطعوا عليه بولته - وصبوا عليه ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[٢].

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، زودهما بوصية جامعة مختصرة قال فيها: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا»[٣].

فهذا هو المنهج المحمدي في الدعوة والتعليم:" التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والتطاوع لا الاختلاف.

وما قاله لمعاذ وابي موسى قاله تعليما للأمة كلها فيما رواه عنه أنس: «يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا»[٤].

المقصود بتيسير الفقه:

ويقصد بتيسير الفقه أمران:

أولهما: تيسير فهمه للمسلم المعاصر المشغول بمتاعب الحياة، المزحوم بكثرة المعارف التي تخرجها المطابع كل يوم، بل كل لحظة مما يعرف اليوم تحت عنوان: (انفجار المعرفة) أو (ثورة المعلومات) ونحوهما.

وثانيهما: تيسير أحكامه نفسها، بالبعد عن التغليظ والتشديد، وترجيح التخفيف والتيسير. وسنخص كلا من الأمرين بحديث.

تيسير الفهم:

أما تيسير الفهم في مجال الفقه، فيتحقق بعدة أمور:

١ - أن يكتب بلغة مبسطة، وأسلوب سهل، بعيد عن الإغراب في الالفاظ، والتكلف في العبارات.

٢ - تجنب وعورة المصطلحات التي فيها كثير من الغموض لدى القاريء غير المتخصص، و(ترجمتها) إلى عبارات سلسة مفهومة للشخص العادي.

٣ - التوسط بين الايجاز الملغز الذي عرفت به (المتون) في المذاهب المتبوعة، والتي كان المقصود منها تسهيل الحفظ، ثم احتاجت المتون الى شروح، والشروح الى حواش، والحواشي أحيانا الى تقريرات.. وبين الاطناب الممل الذي يتوسع في الشرح والتفصيل في غير حاجة الى ذلك.

٤ - مخاطبة العقل المعاصر باللسان الذي يبين له، كما قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} واللسان في هذه الآية - في فهمي - أعمق وأوسع من مجرد مخاطبة العرب بالعربية، والانجليز بالانجليزية بل يشمل ذلك مخاطبة العوام بلسان العوام، الخواص بلسان الخواص، فلكل لغته وعقليته. وكذلك الانسان في القرن الخامس عشر الهجري غير الانسان منذ قرنين أو ثلاثة من الزمان.

٥ - ومن ذلك استخدام معارف العصر في بيان الحكم الشرعي، أو في ترجيح بعض الآراء الفقهية على بعض، أو في بيان حكمة الشارع فيما شرع: ايجابا أو استحبابا، أو تحريما أو كراهة، أو اباحة.

٦ - ومنه: ترجمة المقادير الشرعية الى مقادير العصر، كالصاع، والوسق،

والقلة والذراع، والدرهم، والدينار، والأوقـيــة، ونحوها، في الطهارة وفي نصاب الزكاة، ونصاب السرقة وأقل المهر، والدية ونحوها.

٧ - استخدام بعض المصطلحات الحديثة اذا كانت تعين على فهم الأحكام الشرعية، مثل استعمال كلمة (وعاء الزكاة) بدل (المقادير التي تجب في الزكاة) ويمكن الجمع بينهما.

٨ - حذف مالا حاجة اليه في عصرنا من الصور الافتراضية، أو المسائل التي لم تعد قائمة في زمننا، مثل الأحكام الكثيرة الوفيرة المتعلقة بالرق والرقيق، وهي من الكثرة والوفرة بحيث لا تكاد تقرأ بابا من أبواب الفقه في العبادات أو المعاملات الا طالعتك في صور وأمثلة شتى.

فلابد أن يرتبط الفقه بالواقع، ويبين حكمه، فلا يجوز أن يطيل ويفصل في أحكام شركات (المفاوضة) و(العنان) و(الوجوه) ونحوها مما أطنبت فيه كتب الفقه، ويلوذ بالصمت المطبق، ازاء (شركات المساهمة) و(التضامن) و(التوصية بالاسهم) ونحوها، مما يتعامل الناس معه اليوم في مختلف أوطان الاسلام. ومثل ذلك أن يتوسع ويطنب في زكاة الانعام من الابل والبقر والغنم وما فيها من بنت مخاض، وبنت لبون، ويسكت عن زكاة اموال الشركات المذكورة وزكاة المصانع والعمارات وغيرها من (المستغلات).

ومثل ذلك: أعمال البنوك، وشركات التأمين، وأسواق السلع (البورصات) وغيرها، مما يسأل المسلمون عن حكمه في كل مكان.

٩ - بيان الحكمة من التشريع، حتى يقتنع به العقل، ويطمئن به القلب. فان الله تعالى لم يشرع شيئا الا لحكمة، وهو كما تنزه عن الباطل في خلقه {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك} تنزه عن العبث في شرعه. حتى إن القرآن الكريم جعل للعبادات المحضة عللا وحكما مفهومه.. كما في قوله عن الصلاة {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت/٤٥) وقال في تعليل فرضية الصيام {لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣) وفي الحج: {ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله} (الحج/ ٢٨) كما قال في الزكاة {تطهرهم وتزكيهم بها} (التوبة/ ١٠٣).

وينبغي الاستفادة مما يكتبه الاختصاصيون في هذا العصر، مما يفيدنا في بيان حكمة الشرع، واشتماله على أعلى المصالح للبشر، مثل ما يكتبه الأطباء في بيان مضار الخمر وأكل لحم الخنزير، والأمراض الخطيرة التي تنشأ من اقتراف الزنى، والشذوذ الجنسي، ونحو ذلك.

ومثله ما يكتبه الاقتصاديون عن الآثار المدمرة للربا في الحياة الانسانية.

وما يكتبه النفسيون عن أثر الصلاة والعبادة في تكوين الشخصية السوية القوية المتمتعة بالسكينة والطمأنينة، والتي لا تنهار لأول صدمة.

على انه يجب الحذر والتحذير من التعليلات (القاصرة) التي تفتح بابا للمتحللين والمنكرين، مثل تعليل تحريم الربا باستغلال حاجة الفقير، وتعليل تحريم الزنى بمنع اختلاط الانساب، فهذه وما شابهها تعليلات قاصرة لا تغطي كل الصور الواقعية.

١٠ - ربط الأحكام الجزئية بالمقاصد الكلية العامة للشريعة، ولرسالة الاسلام، فان الاسلام كل لا يتجزأ، فالذي يتحدث عن نظام (العاقلة) في الديات، الذي يحمّل العاقلة أي العصبة، دية قتل الخطأ وشبه

العمـد، ينبغي أن يذكّر بنظام (النفقـات) بين الاقارب، ونظام (المواريث) حتى تتضح الصورة الكلية ويتقابل جانبا الغُنْم والغُرْم معـا، وبذلك ترتبط الاحكام بعضها ببعض.

١١ ـ التخفف من كثرة الزوائد والتشعيبات والتعقيدات التي اضافتها العصور المختلفة، وخصوصا في مجال العبادات ـ حتى غدت كماً هائلا من الجزئيات التفصيلية التي نقلت تعاليم الدين من اليسر الى العسر، حتى اني لا أنسى كيف كنت ـ وأنا صغير السن ـ اقضي في استماع دروس رمضان بين المغرب والعشاء الشهر كله، ولا نكمل ما يتعلق بالوضوء والطهارة، حتى قلت مرة مازحا: اننا طوال ثلاثين ليلة لم نخرج من دروة المياه!

وقد كان الرجل يأتي من البادية إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} . فيتعلم الوضوء والصلاة بمشاهدة وضوء النبي الكريم وصلاته مرات معدودة. وقد قال: صلوا كما رأيتموني أصلي، وقد يوجهه ببعض الارشادات والتوجيهات، ثم يعود الى قومه وقد تفقه في الدين، ليعلم قومه ما تعلمه.

اما أن يذكر بعض الفقهاء، بضعة عشر شرطا لصحة تكبيرة الاحرام، يجب أن يحفظها من يريد صحة صلاته، فهذا لم يجيء به كتاب ولا سنة، ولا قام عليه تعليم السلف الصالح.

١٢ ـ الاستفادة من كل ما كتب في عصرنا من العلماء الثقات، في شتى جوانب الفقه الاسلامي، وخصوصا في الفقه المقارن، ومن قرارات ودراسات المجامع الفقهية والعلمية في انحاء عالمنا الاسلامي. ومن الرسائل الجامعية الاكاديمية للماجستير والدكتوراه في الموضوعات الفقهية. ومن أجزاء الموسوعات التي صدرت في الكويت والقاهرة. ومن البحوث والفتاوى التي تصدر عن ادارات الافتاء المختصة. وكذلك ما يصدر عن هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الاسلامية.

١٣ ـ يحسن أن يكون هناك اكثر من كتاب في الفقه، مثل كتاب لمستوى معين من الثقافة والادراك، يتدرج مع المسلم كيفا وكما، ويبدأ بالعبادات ثم بشئون الأسرة ثم بالمعاملات المهمة، ثم بعد ذلك يشمل أبواب الفقه كلها. ويمكن أن يكون على مستويين أو ثلاثة.

وقد كان علماؤنا السابقون يراعون هذا في تأليفهم. فنجد الامام أبا حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) يؤلف في فقه الشافعية: (الخلاصة) ثم (الوجيز) ثم (الوسيط) ثم (البسيط) (أي المبسوط الموسع) وفيه قال بعض الشافعية:

نصر المذهب حبر
أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط
ووجيز وخلاصة

ونجد ذلك في مؤلفات الامام ابن قدامة الحنبلي، ابتداء بـ (العمدة) وانتهاء بـ (المغني) وبينهما (المقنع) و(الكافي).

١٤ ـ يلتزم بالترقيم وعلاماته المتفق عليها. وتضبط الآيات والاحاديث بالشكل، مع الالتزام بترقيم الآيات وبيان سورها، وتخريج الاحاديث تخريجا غير مفصل وذلك ببيان من أخرج الحديث وبيان درجته إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما على ألا يستدل بحديث يقل عن درجة الحسن.

١٥ ـ ينبغي الاستعانة بكل وسائل الايضاح الممكنة، التي أتاحها لنا العلم المعاصر، لتساعد على زيادة الفهم للأحكام

الشرعية من كل ما هو مباح وملائم ومتيسر من رسوم توضيحية، وصور فوتوغرافية، وخطوط بيانية، ومن جداول وخرائط وغيرها، تأسيا بالنبي [صلى الله عليه وسلم] الذي كان يعلم أصحابه بالخط على الرمال، وضرب الأمثلة للتقريب والتوضيح.

١٦ - يجب وضع فهارس مفصلة في نهاية الكتاب، بعضها حسب الموضوعات وبعضها حسب الالفاظ المعجمة، وبعضها للآيات. وبعضها للأحاديث، وغير ذلك مما يعتبر مفاتيح ضرورية للباحث في الكتاب.

التيسير في الأحكام:

ذلك هو التيسير في تقديم الفقه، وتقريبه الى عقل المسلم المعاصر غير المتخصص، أي الى جمهور المسلمين، وهذا هو الشق الأول من التيسير.

أما الشق الثاني من التيسير فيتعلق بالتيسير في أحكام الفقه ذاتها، بحيث يسهل على المسلم المعاصر تنفيذها والالتزام بها في العبادات والمعاملات وسائر شئون الحياة، فردية واجتماعية.

وليس معنى التيسير الاتيان بشرع جديد من عند انفسنا، نسقط به عن الناس ما فرضه الله عليهم، أو نحل لهم ما حرم الله عليهم. أو نبتدع لهم في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء. بل هو تزييف وتحريف، لا يقبله عالم مسلم يحترم دينه، ويحترم عقله.

إنما نريد بالتيسير هنا جملة أمور:

مراعاة جانب الرخص:

مراعاة جانب اليسر والرخص في الشريعة الى جوار العزائم، فلكل أهله. ولا ينبغي أن نعامل الناس كلهم بمستوى واحد، ولا يطالب الضعفاء بما يطالب به الأقوياء، ولا حديث العهد بالاسلام أو بالتوبة، مثل العريق في الاسلام والالتزام به. فقد قبل الرسول [صلى الله عليه وسلم] من بعض الاعراب الاكتفاء بالفرائض الاساسية وحدها، مع حلفه أنه لا يزيد عليها ولا ينقص، ومع هذا قال: «أفلح إن صدق» أو «دخل الجنة إن صدق»[٥]، وقال في بعض الأحوال: «من سره أن ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا»[٦].

وقال [صلى الله عليه وسلم]: «ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»[٧]، «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[٨].

ومن ذلك: مراعاة الظروف والاعذار المخففة، والضرورات التي تبيح المحظورات، مع تقييدها بأن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

وينبغي التذكير هنا بكلمة نقلها الامام النووي في مقدمات (المجموع) عن الإمام الكبير سفيان بن سعيد الثوري، الذي انعقدت له الامامة في الفقه وفي الحديث، وفي الورع، فقد قال رضي الله عنه، وما أروع ما قال:

إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشديد فيه فيحسنه كل أحد[٩].

ولابد أن نلحظ قوله: الرخصة من ثقة، وهو من يوثق بفقهه ودينه معا. أما من فقد الأمرين أو أحدهما فهو يترخص فيما لا يجوز الترخص فيه، فيصادم القواطع والمحكمات من نصوص الشرع وقواعده.

واذا كان التيسير مطلوبا دائما، كما أمرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فهو الزم ما يطلب في عصرنا هذا. نظرا لرقة الدين في

أنفس الكثيرين، وغلبة النزعات المادية، وتأثر المسلمين بغيرهم من الامم، نتيجة لشدة الاتصال بين العالم بعضه وبعض، حتى قال من قال: إن العالم قريتنا الكبرى! ولم يعد في استطاعة أحد أن يعيش في عزلة من غيره، واجهزة الاعلام تقتحم عليه داره، وتريه ما يجري في أقصى أطراف العالم، وخصوصا اليوم بعد ما عرف باسم (البث المباشر).

وهذا ما عبر عنه علماؤنا في العصور المتأخرة بـ (تغير الزمان) أو (فساد الزمان) وجعلوه سببا من أسباب تغير الفتوى، كما ذكر العلامة ابن عابدين وغيره.

فقد قال ابن عابدين في رسالته (نشر العرف فيما بني من الأحكام على العرف): «إن كثيرا من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا، للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير، ودفع الضرر والفساد»[١٠].

والمنهج الذي أراه ـ وهو منهجي الذي التزمت به في الفتوى والتأليف والتدريس ـ هو التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول.

فاذا كان هناك وجهتا نظر، أو قولان متكافئان أو متقاربان في قضية، أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فإني أختار للفتوى لجماهير الناس: الأيسر لا الأحوط.

والحجة في هذا: ما قالته عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما»[١١].

وقوله فيمن أطال بالناس الصلاة: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس، فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة»[١٢]، فأشار الى ضرورة رعاية ظروف الناس، والتخفيف عنهم، وخصوصا الضعفاء منهم.

والدارس المتعمق يلاحظ أن فقه الصحابة والسلف كان يتجه غالبا الى الأيسر. وفقه من بعدهم كان يتجه غالبا الى الأحوط.

فالصحابه ـ فيما أثر عنهم من فقه ـ نجدهم أكثر الناس تيسيرا على الخلق، والتابعون على نهجهم وإن لم يبلغوا درجتهم، والأتباع على نهج التابعين، وان لم يكونوا مثلهم، لأنهم بدأوا يتجهون الى التحوط، وكل جيل أخذ يضيف بعض (الأحوطيات) الى ما قبله.

واذا كثرت (الأحوطيات) في الفقه المتصل بحياة الناس، فإن مجموعها التراكمي سينتهي الى شيء من الاصار والأغلال التي جاء النبي {صلى الله عليه وسلم} بوضعها عن الأمة، فقد جاء في وصفه في كتب أهل الكتاب {ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (الأعراف/ ١٥٧). ومن الأدعية التي علمها الله للمسلمين وختمت بها سورة البقرة {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} (البقرة/ ٢٨٦).

التضيق في الايجاب والتحريم:

ومن التيسير المطلوب: التضييق والتحري البالغ في تكليف الناس بالأحكام وخصوصا في مجال الفرض والتحريم، فلا يجوز التوسع في ذلك بأدنى دليل، بل لابد من نص صحيح الثبوت، صريح الدلالة، على فرضية الفرض، وحرمة الحرام، أو قياس واضح العلة على نص، **فإنا**

نقطع أن الشريعة العادلة لا تفرق بين متماثلين، كما لا تسوي بين مختلفين.

وقد كان السلف يتحرجون من التحريم - ومثله الفرضية - الا أن يكون معهم دليل لا شبهة فيه، كما هو مذهب الحنفية، والا نزلوا من الفرض الى الواجب، ومن الحرام الى المكروه.

ولهذا كثر في كلامهم مثل قولهم: يعجبني كذا وكذا، أو استحب كذا وكذا، ولا يصرح بالوجوب الا ما علم جزما بوجوبه.

وقولهم في جانب المنهيات: اكره كذا، ولا أحب كذا، ولا يعجبني كذا، ولا يصرحون بالتحريم، الا ما علم جزما بتحريمه. ويدل لهذا الاتجاه موقف الصحابة من شرب الخمر، فقد ظل بعضهم يشربها ويقول: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، برغم نزول آية {قل: فيهما إثم كبير ومنافع للناس} (البقرة) وآية {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون} (النساء/ ٤٣) حتى نزلت الآية الثالثة، وفيها (البيان الشافي) الذي ارتقبوه {إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} (المائدة/ ٩٠).

ويبدو من التأمل في القرآن والسنة: أن الاسلام كان حريصا على تقليل التكاليف وتوسيع (منطقة العفو) رحمة بالمكلّفين غير نسيان.

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لكم تسؤكُمْ، وإن تسألوا عنها حين يُنَزَّلُ القرآنُ تُبْدَ لكم، عفا الله عنها، والله غفور رحيم} (المائدة/ ١٠١).

وقد توسع في شرحها والتعليق عليها العلامة رشيد رضا رحمه الله، وجعلها أساس كتابه (يسر الاسلام).

وفي السنة نجد قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يُحَرَّم، فحُرِّمَ من أجل مسألته»[١٣].

وقوله {صلى الله عليه وسلم}: «دعوني ما تركتكم، انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم[١٤] وفي رواية «فإنما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم» الحديث[١٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فان الله لم يكن لينسى شيئا، ثم تلا «وما كان ربك نسيا»[١٦].

والحديث الآخر: «إن الله قد حَدَّ حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»[١٧].

التحرر من العصبية المذهبية:

ومن التيسير المنشود: التحرر من الالتزام بمذهب واحد معين، يأخذ به جميع الابواب والمسائل، عبادات ومعاملات، وإن كان فيه من التعسير والتضييق ما فيه، وكذلك ان ظهر ضعف دليله ومستنده الشرعي، في مقابل المذاهب الأخرى.

فالمذهب الواحد قد يضيق في بعض المسائل والقضايا، ولكن الشريعة بنصوصها ومقاصدها ومجموع مذاهبها وتراث فقهائها، فيها من السعة والمرونة، ما يعطي حلا لكل مشكلة، ودواء لكل داء من طب الشريعة نفسها.

لقد ذم علماء المسلمين المحققون التقليد وأنكروه، ولم يعتبروا المقلد عالما، وإنما هو تابع

لغيره، إذ التقليد هو قبول قول الغير بلا حجة، والعلم هو معرفة الحق بدليله. ويقول الامام ابن الجوزي: إن المقلد على غير ثقة فيما قلد، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، لانه خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن اعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة»[١٨].

وقال غيره: لا يقلد إلا عصبي أو غبي!

وأبطل العلامة ابن القيم التقليد ورد على دعاة التقليد من واحد وثمانين وجها: في (اعلام الموقعين).

وتحررنا من صرامة التقليد والعصبية لمذهب معين، لا يعني أن نذم المذاهب أو ننال من شأن الأئمة الكبار - رضي الله عنهم - فهذا لا يقوله مسلم شم رائحة العلم، وقد ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا قيما شهيرا في ذلك سماه (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) بيّن فيه اعذار الأئمة في ترك ما تركوه من الحديث.

كما أن هذا التحرر لا يعني الاستغناء عن فقه المذاهب وكتبها وما حفلت به من تعليلات وتخريجات وتفصيلات، ومناقشات ثرية، لا يشك في قيمتها دارس، ينشد الحق، ويبحث عن الصواب بأدلته.

إنما نعني بالتحرر: ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ما قيده الله به ورسوله، فيأخذ من أي مذهب كان ما يراه أقوى حجة، وأرجح ميزانا في ضوء المعايير الشرعية، وفي هذا توسعة وتيسير كبير.

وإنما قلنا بذلك لعدة اسباب مفصلة في مواضعها، أستطيع أن أوجز أهمها فيما يلي:

أ - ان التقيد بالمذاهب، التزام بما لا يلزم ولا يجب دينا وشرعا، اذ لا واجب - دينا وشرعا - الا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله اتباع مذهب معين من مذاهب الائمة، انما أوجب اتباع الكتاب والسنة، وهذه المذاهب انما نشأت بعد أن اكتمل الدين، وانقطع الوحي، في القرن الثاني أو الثالث للهجرة، فلا يتصور وأن يأتي الدين بإيجاب اتّباعها وهي لم تنشأ بعد.

ب - إن الأئمة المتبوعين انفسهم نهوا عن تقليدهم، كما روى ذلك الحافظ ابن عبد البر ونقله عنه ابن القيم وغيره.

فليس في وجوب اتباعهم كتاب ولا سنة ولا اجماع، وقول المقلدين بوجوب اتباع المذاهب غير معتبر، لأن المقلِّد لا يقلَّد، حتى إنهم لو أجمعوا، لم يكن إجماعهم معتبرا، لأن الإجماع المعتبر، هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور، لا اتفاق المقلدين.

جـ - إن العلماء المقلدين انفسهم قد رجعوا: أن العامي لا مذهب له، وأن مذهبه مذهب من يفتيه من العلماء. وجماهير المتعلمين في عصرنا هي التي تستفتينا وتسألنا أن نقدم لها فقها عصريا ميسرا، فليس لها هي مذهب معين، انما مذهبها ما يقدمه أهل العلم لها مقرونا بأدلته.

د - إننا مطالبون أن نقدم أحكام الاسلام للناس لنرغبهم في هذا الدين، ونحبب اليهم أصوله وتعاليمه. فهل من المقبول أن نقدم لهؤلاء نماذج أربعة - أو سبعة أو ثمانية - تمثل المذاهب المتبوعة، ونقول لهم: إن كل نموذج من هؤلاء يمثل التعاليم الاسلامية في رأي مدرسة أو مذهب من مذاهب فقهائه؟.

هـ - ومثل ذلك يقال لمن دخلوا في الاسلام بالفعل، وهم يكثرون والحمد لله، ومثلهم الاقليات الاسلامية، والجاليات الاسلامية في شتى اقطار الدنيا، ما الذي ينبغي أن يقدم لهم، وعلى أي مذهب؟ وهل من الملائم أن نقول

للمسلم الداخل حديثا في الاسلام: إن أمامك عددا من النماذج، فاختر واحدا منها؟.

لقد طالبت الجاليات الاسلامية منذ اكثر من ثلث قرن من مشيخة الأزهر، ووزارة الأوقاف في مصر، مجموعة من الكتب أو الرسائل، في نحو ثلاثين موضوعا تلبي حاجات ثقافية للمسلم والمسلمة في تلك المواقع، فهل تؤلف الرسائل أو الكتب على كل مذهب على حدة؟ أم يؤلف الكتاب على ارجح ما يراه المؤلف أو المؤلفون، وفق المعايير الاسلامية المعتبرة؟

لقد كنت ممن ساهم في هذا المجال حين طلب إليَّ أن أكتب عما يحل للمسلم وما يحرم عليه، فكان كتاب (الحلال والحرام في الاسلام) الذي اعتمدته مشيخة الأزهر، والادارة العامة للثقافة الاسلامية، ليترجم الى الانجليزية ثم الى غيرها بعد، وإن أخفق المشروع في النهاية للأسف.

و- إن المثقفين المعاصرين اليوم يطالبون علماء الشريعة بتقديم فقهها للقضاة والمتقاضين في صورة مواد مقننة منضبطة، كما صنعت (مجلة الأحكام العدلية) من قبل، فهل نقدم هذا (التقنين) العصري على صورة (نماذج أربعة) أو أكثر؟ أو نقدم (نموذجا مختارا) يمثل الأرجح والأقوى في ضوء (الكتاب والميزان) اللذين أنزلهما الله ليقوم الناس بالقسط، بحيث تتحقق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، كما يحب الله تعالى؟.

التيسير فيما تعم به البلوى:

وأهم ما ينبغي التيسير فيه ما تعم به البلوى، من أمور العبادات أو المعاملات. فإذا كان هناك بعض المذاهب تشدد في شئون الطهارة والنجاسة مثلا، كمذهب الامام الشافعي - رضي الله عنه - فليس هناك موجب لالزام الناس به، لما قد يترتب عليه من الحرج عند جماهير من المسلمين وخصوصا في الريف والقرى.

فلا غرو أن يتجه الفقيه الى مذهب مالك ومن وافقه في القول بأن كل ما يؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر، وأن الماء لا ينجس إلا بالتغيير، وهذا ما رجحه وأفتى به شيخ الاسلام ابن تيمية، وعضده بالادلة.

وقد قال الامام الغزالي في كتاب (الطهارة) من (الاحياء) عن الشافعي: كنت أود أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك، وساق سبعة أوجه لتأييد مالك، وهو شافعي المذهب، رضي الله عن الجميع.

ومثل ذلك ما قاله الغزالي عن البيع بالمعاطاة. أي بغير لفظ الايجاب والقبول، وهو ما يجري عليه عمل المسلمين في كل مكان، وفي سائر العصور، وقول الشافعي فيه شديد، والبلوى به عامة.

فعلى الفقيه أن يعمل على تصحيح معاملات المسلمين ومن داخل الفقه ومصادر الشريعة وقواعدها ما وجد الى ذلك سبيلا.

وهذا ما يلمسه الدارس لدى كثير من علماء الفقه في المذاهب المختلفة، ولا سيما في الأعصر الأخيرة، فهم يحاولون أن يلتمسوا مخرجا لتصحيح التعامل، اما بتكييفه تكييفا يجعل له مستندا من الشرع، أو بحيلة فقهية، أو باللجوء الى قول مهجور أو ضعيف في المذهب، أو باجازة تقليد مذهب آخر.

وكثيرا ما يكون الضيق والحرج، ناشئا من التقيد بمذهب معين، ولو تحرروا منه الى باحة المذاهب المتبوعة، وأقوال الصحابة والسلف، والى النصوص والقواعد العامة، لوجدوا في باحتها الفسيحة ما يخرجهم من الضيق الى السعة، ومن العسر الى اليسر.

ومن جوانب التيسير - فيما تعم به البلوى - الاشارة الى الرأي المخالف الذي لم يأخذ به الكاتب أو الكتاب، ولو في الحاشية، وإن كان في نظره ضعيفا، فقد يكون قويا في نظر غيره، ويتعين هذا اذا اختار هو القول الأحوط، أو الأشد، فيلزم

الاشارة الى الرأي الأيسر.

ومن فوائد هذا: التعريف بأن المسألة فيها اكثر من رأي أو وجهة نظر، فالمختلف فيه غير المجمع عليه، وذكر هذا في هذا المقام خاصة من الامانة العلمية.

ومن ناحية ثانية، فالأمور الاجتهادية القابلة لتعدد الانظار، واختلاف الاجتهادات، لا يجوز أن يعتبر من أخذ بوجهة منها مرتكبا لإثم ينكر على صاحبه، ولهذا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

وأمر ثالث، وهو الابقاء على الضمير الديني، عند من يعملون على خلاف الرأي الأحوط أو الأشد أو المشهور، وهو ما لحظه الاستاذ الاكبر، شيخ الأزهر الأسبق، الشيخ محمد مصطفى المراغي، حين تبنى أقوال الامام ابن تيمية وبعض السلف في قضايا الطلاق وغيرها من الاحوال الشخصية، فإن الناس يحلفون بالطلاق كل يوم، وخصوصا الباعة والعامة، ويحنثون، ويظنون أن طلاقهم واقع، وانهم يعيشون مع نسائهم في حرام، وأن ذريتهم منهن اولاد حرام، ومثل هذا الاعتقاد يفسد ضمائرهم ويجرئهم على الحرام الصرف المقطوع به.

ومثل هذا يقال فيمن يفتي بتحريم حلق اللحية. تحريما قاطعا، بل يحرم أخذ أي شيء منها، وجماهير المسلمين تفعل ذلك.

وكذلك من يفتي بتحريم اطالة الثوب الى اسفل من الكعبين، واعتبار فاعله في النار، وجماهير الامة الاسلامية واقعة في ذلك، كما هو مشاهد.

ومثله من يفتي بتحريم بيع الذهب المصنوع (الحلي) بأجل معتبرا أن الذهب كله - حتى المصنوع منه - نقود، وأن الصنعة لم تضف إليه شيئا، ولم تخرجه عن الثمنية الى السلعية، وعلى هذا يحرم بيعه وشراؤه الى أجل، كما يفعل كثيرون اليوم، حيث يشترون هدايا العرس أو ما يسمونه (الشبكة) ويدفعون الثمن ويؤجلون بعضه.

فإذا افترضنا أن الفقيه اختار الرأي الاثقل، فالواجب في رأيي أن يشير الى الرأي الآخر. ولا يحمل الناس على رأي واحد. فتكون فتنة. كما قال الامام مالك - رضي الله عنه - معللا رفضه حمل الناس على (الموطأ).

«**للحديث بقية**»

الهوامش:

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة كما رواه ابن سعد عن ابي صالح مرسلا. صحيح الجامع الصغير (٢٣٤٥).

(٢) رواه عن ابي هريرة البخاري والترمذي والنسائي في كتاب الطهارة.

(٣) متفق عليه عن ابي موسى ومعاذ كما في (اللؤلؤ والمرجان) حديث (١١٣٠).

(٤) متفق عليه عن أنس - المصدر السابق (١١٣١).

(٥) متفق عليه عن طلحة: رواه البخاري (١٣٩٦ و ٥٩٨٢) ومسلم (١٣). انظر: (رسالتنا عوامل السعة والمرونة في الشريعة الاسلامية).

(٦) متفق عليه عن ابي هريرة: البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤).

(٧) رواه احمد عن ابن عمر، وصححه الشيخ شاكر (٥٨٦٦ و ٥٨٧٣) والبزار والطبراني، قال الهيثمي (٦٢/٣) : رواه احمد ورجاله رجال الصحيح، والبزار والطبراني في الأوسط، واسناده حسن. وابن حبان في صحيحه (٢٧٤٢).

(٨) رواه ابن حبان عن ابن عباس (٣٥٤) وصححه محققه، والبزار والطبراني وقال الهيثمي (١٦٢/٣) رجالهما ثقات: وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب انظر: كتابنا (المنتقى ٥٥٤).

(٩) انظر المجموع للنووي جـ ١.

(١٠) انظر: رسائل ابن عابدين جـ ٢، ص ١٢٥.

(١١) متفق عليه عن عائشة، اللؤلؤ والمرجان (١٥٠٢).

(١٢) متفق عليه عن أبي مسعود الانصاري. المصدر نفسه (٢٦٧).

(١٣) متفق عليه عن سعد بن ابي وقاص، كما في اللؤلؤ والمرجان (١٥٢١).

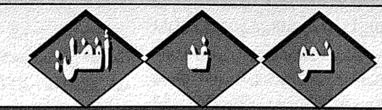
(١٤) متفق عليه عن ابي هريرة - المصدر نفسه (٨٤٦).

(١٥) هذه الرواية لمسلم (١٣٣٧).

(١٦) رواه الحاكم عن ابي الدرداء وصححه (٣٧٥/٢) ووافقه الذهبي وقال الهيثمي (١٧١:١): رواه البزار والطبراني في الكبير واسناده حسن ورجاله موثقون.

(١٧) رواه الدارقطني وحسنه النووي في الاربعين. ونازعه ابن رجب في شرحه الحديث في جامع العلوم والحكم.

(١٨) من كتاب (تلبيس ابليس) ص ٨١.





تكامل الفكر الاسلامي



بقلم
الكاتب الرائد :
انور الجندي
- مصر -

تكاد تجمع كل الدراسات الجادة المنصفة على:
- أن رسالة الاسلام مدعوة لانقاذ العالم كرَّة أخرى واخراجه من براثن الوثنية والمادية والانهيار الخلقى حيث يراد وضع قواعد دين جديد غير دين الاسلام الذى أنزله الله تبارك وتعالى ومحاولة ترويج الفهم للاسلام على أنه دين عبادة وليس منهج حياة.

وكان الاسلام منذ اليوم الأول قد احترم خصائص الشعوب التي دخلها واكتفى بأن يرفع عنها ما كانت تعانيه من اضطهاد قومي أو عنصري سواء من الفرس أو الروم وترك لها الحق في تأدية شعائر دينها وبهذا شكل الاسلام أمته على تعدد الالسنة والاصول القومية، وأفسح مكانا فى داره لمن خالفه العقيدة من أهل الكتاب.

لقد حرر الاسلام البلاد التي دخلت دائرة حكمه من العبودية - عبودية الانسان للانسان، عبودية شعب لشعب، عبودية الشهوات واللذات والمطامع ثم رأت شعوب المنطقة اعادة تشكيل نفسها في ظل الاسلام بعد أن رأت سماحة الاسلام وحمايته لوجودها وعباداتها حتى قبلت راضية الدخول فيه وتكونت عالمية الاسلام من هذه الدعوة المفتوحة التى لم تحتكر العلم على العرب وانما اشاعت ذلك في كل العناصر التى تستظل بظل الاسلام فالبخاري من بخارى والخوارزمي من خوارزم والقابسي من

قابس بتونس وأبو الريحان البيروني من بيرون في بلاد السند وابن خلدون تونسي قحطاني وابن النفيس القرشي من دمشق فكلهم كما يقول الدكتور عبد المجيد الهاشمي اسرة اسلامية واحدة.

كانت دعوة الاسلام الكبرى هي التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى الذى منه تبدأ الأمور كلها وإليه تنتهي والذى جعل التمسك بالقرآن الكريم كأساس موحد بين المسلمين مع الغاء العصبية المذهبية .

ويقرر الاسلام ان باب الاجتهاد مفتوح وبه دعوة الى التبشير بالمخترعات الحديثة ويدعو الى وسطية بين طرفي الامور، ويقدم الاسلام تكامل مفهوم المعرفة (الحس - العقل - الالهام - الوحي الالهي) كما يقرر أن لكل أمر وجهين: مادي ومعنوي وأن تكاملهما هو المنطلق الصحيح، وأن العقيدة وليست اللغة هي علامة بناء الجماعة فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها، والاسلام هو الذي شكل عقلية الأمة.

كما دعا الاسلام الى التحرر أساساً من العنصرية والاستعلاء بالعرق أو الدم، كما كانت الحرية والعدل في الاسلام تمتاز عن الديمقراطية والاشتراكية وتجيء هنا خطيئة مقولة (ثم جاءت الاديان) لأن الاديان بدأت مع نوح عليه السلام.

وقد جعل الاسلام (الاخلاق) ميزانا لكل القيم، فهي جزء من العقيدة ولها ثباتها واستقرارها.

كما جعل الوحي والعقل متكاملين فالوحي نور العقل والعقل لا ينطلق إلا فى ضوء الوحي، وإن العقل الانساني لا يكون في كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة تماما وبذلك ليس ثمة ما يطمئن على صدق أحكامه. وتعد قيم الدين اكثر فاعلية في النفس وفي تقدم المجتمع من تلك القيم التى تستند على العقل وحده.

وإن أغلب مذاهب الاخلاق الوضعية قديما وحديثا انحرفت عن الجادة القويمة، ان قيم الاخلاق فى الاسلام تخاطب الفطرة السليمة والوجدان المباشر وإن أخلاق الدين قادرة تماما على هداية السلوك وتقدم الشعوب والمجتمعات بما تمنحه من طاقات روحيه هائلة.

وإن تراث المسلمين يختلف عن تراث الغرب وذلك لارتباط تراث المسلمين بالقرآن والسنة الشريفة فقد جاء ايضاحا لهما وتفسيرا وكشفا عن جوهرهما ومن خلال هذا التراث اقام المسلمون اعظم مناهج الفكر والعلم فى حياتهم الاسلامية حيث اقام منهج المعرفة الجامع من الوحى والعلم، ومنهج تكامل الثقافة في الربط بين الامة فى وحدة شاملة كان قوامها (الوحي) والرسالة وكان منهج العلم التجريبى اكبر مناهجه التى اعطت البشرية الحضارة الحديثة التي قامت على التجريب والبرهان فلما توقفت حضارة الاسلام انقطع الخيط فاذا عاد المسلمون اليوم الى استئناف حضارتهم فلابد ان يصلوا حاضرهم بماضيهم ومن هنا كانت اهمية بقاء التراث واستمراره.

وقد اعلا الاسلام شأن الفكرة والعقيدة

على العناصر والدماء والاجناس وإن جامعة الاسلام هى جامعة وحدة الفكر القائمة على الايمان بالله تبارك وتعالى وقد ادخل الاسلام فكرة (الامة) المرتبطة بالعقيدة ووضع النبى {صلى الله عليه وسلم} أسسها ونظمها على قاعدة: (الناس كلهم لآدم وآدم من تراب وانه لا فضل لعربى على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

وقد تبين على مدى أربعة عشر قرنا وعلى عشرات الاقلام الغربية وغيرها أن الاسلام هو المنقذ الوحيد للبشرية من ازمات الحاضر، وان القرآن الكريم هو الوثيقة الوحيدة القادرة على مواجهة كل قضايا البشرية لانه الكتاب السماوي الذى وثق الانبياء والرسل والكتب السماوية وقد اعترف بهذا علماء الغرب فى ظل ما عرف بأزمات التاريخ.

إن الاسلام هو القادر على حل أزمة الغرب النفسية والاجتماعية وقد تكشف بما ليس له مزيد ان حضارة الاسلام حضارة اخلاقية تجمع بين الفكر والعمل وهي كما عبر عن ذلك بعض الباحثين:

(١) لا تقدس الفكر وترفعه فوق العمل كما كان الشأن فى الحضارات اليونانية القديمة.

(٢) تجمع بين المادة والروح وترى أن المجتمع المتكامل السليم، هو المجتمع الذى لا يهمل الحوافز الروحية الى جانب الحوافز المادية في عملية التطور ولهذا كانت الامة الاسلامية الآخذة بهذه الحضارة أمة وسطا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقيم الاسلام الدافعة إلى التقدم الحضاري ليست معانى مجردة مستقلة بذاتها عن العمل (كمثل افلاطون) بل هي قيم ذات فعالية ايجابية فى واقع المجتمع.

ومعنى الحضارة هو مجموع الفكر والعمل وليست الحضارة هى التقدم المادي وحده بل هي جماع القيم الروحية والنفسية وقيم الفنون والعلوم ولابد أن ترتبط أساسا بالقيم الاخلاقية.

إذ أن الحضارة المادية وحدها بدون قيم أخلاقية لا تلبث ان تسقط.

لقد كان الاسلام علامة على انتهاء عصر، وبدء عصر قوامه تكامل القيم لا الفصل بين القيم، فقد قدم القرآن الكريم تصوراً كاملا للميتافيزيقا (عالم الغيب) كما قدم منهجا كاملا للحياة يختلف عن منهج الفلاسفة اليونان الذين اقروا عبودية الانسان للانسان.

هذا الدين الخاتم الذى يبقى إلى أن يرث الله الارض ومن عليها فلن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تغلبه أو تقضى عليه، بل يؤكد القرآن فى ثلاث آيات متفرقات هذه الحقيقة: {ليُظْهره على الدين كله}.

ولن يكون ما يمر به الآن من تراجع لاهله او تخلف لهم الا نوع من الامتحان لمواجهة المؤامرات الممتدة والازمات المتواليه وقد عرف المسلمون منذ وقت بعيد انهم محاصرون وأن عليهم أن يثبتوا فان لم يستطيعوا أن يتقدموا فلا أقل من الثبات في مواقعهم وعلى المسلمين ان يستجيبوا

لنداء المواجهة بالمقاومة، بالصمود، بالتحرر من قيود المادة وقيود الاخلاد إلى الأرض، والتقدم الى بيع النفس خالصة فى سبيل الله واقراض الحق فى سبيل الدفاع عن الحق واسترجاع بيت المقدس.

إن الصوره ليست فى جملتها مظلمة ولكن بعض جوانبها تزخر بالضياء فما يزال الاسلام يزحف فى قوة ويحتل مواقع جديدة ويتمدد ويزداد كل يوم قوة وعدداً.

إن الذين يظنون أنهم قادرون على حصار الاسلام وإذابته في بوتقة الحضارة المنهارة يخدعون أنفسهم. فلن ينهزم الحق أبداً ولكن سينهزم الذين لا يثبتون في مواقع الدفاع فسيبدلهم الله تبارك وتعالى بغيرهم ولن تستطيع هذه القوى المتجمعه أن تقضى على هذا الكيان او تهدمه ومن المحتم انه سينتصر فى النهاية بعد أن يُري المؤمنون ربّهم من أنفسهم ثباتا وصمودا وتحررا من تبعية الإخلاد إلى الارض.

ان الحضارة الاسلامية تؤمن بالتقدم المادى من خلال القيم الاخلاقية والثوابت العقدية ولا يقبلون بديلا عن المنهج الربانى.

وقد أقام الاسلام الثوابت والمتغيرات وجعل الاخلاق من القيم الثوابت فنحن مطالبون في الاهم الاكبر حماية القيم الاخلاقية والقضاء على إشاعة الاباحة والانحلال والفساد الخلقى وحماية المناعة القادرة على مواجهة مخططات الأعداء.

وبالجملة فإن التصور الكامل لمفهوم تكامل الفكر الاسلامي يقوم على أساس قاعدة المعرفة الاسلامية وأساسها الجمع بين الوحي والعقل وهو تصور يقوم على الارتباط بين المعرفة والقيم الالهية ورد الاعتبار للوحي كمصدر أساسي من مصادر المعرفة وإعادة فهم المعرفة بأنها معطى إلهي للإنسان ليمكنه من مهمة الاستخلاف والعمران.

مع اعلان فساد نظرية المعرفة القائمة على التصور المادي المتمثل في (الفلسفة المادية - العقل - المحسوس).

ولم يكن تكامل المنطوق الاسلامي بين الواقع وعالم الغيب ما يمثل ردة حضارية أو افكاراً محنطة (كما يدعي العلمانيون) وإنما الردة هي انكار تكامل الفكر الاسلامي بين الروح والمادة وتكامل الذاتية الانسانية بين العقل والوجدان. ونحن حين نتجاهل الغيب والوحي فإننا نفقد جانبا كبيرا هاما من مفهوم الوجود والحياة والانسان ونجري مع وهم كبير وهو المحسوسات وحدها.

إننا نحب أن نحترس من أمرين أساسيين:

الأول: **الفكر العربى (لبرالي وماركسي)**

الثاني: **إحياء الفكر القديم الوثني والمنقول عن الفكر اليوناني فكر الفلسفة المادية الذى حاربه الامامان الغزالي وابن تيمية والذى يحاولون اليوم إذاعته تحت رداء اسمه (الحداثة) لخدمة أهداف التبشير والاستشراق والتغريب.**

سلاما ملاك الموت



شعر: أ. د.

المهدي بن عبود

ـ المغرب ـ

سلاما ملاك الموت ما جئتُ شاكيا
أيشكو جوارَ الحقِّ من كان راضيا؟

أيشكو فراق العصر والعصر منذر
بتدمير ما قد كان بالأمس بانيا؟

بتدمير أرواح وأركان أمة
وإفساد أجيال حديثا وآتيا

أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع
لمن باع للأهواء قلبا مرائيا؟

أيشكو فراق الناس والناس سجد
لأوثانهم شتى جديدا وباليا؟

أيشكو فراق الفكر مقلوب نظرة
يرى الأسفل الأعمى بصيرا وعاليا؟

أيشكو فراق القوم والقوم دمية
لمن خان للرحمن عهده باغيا؟

لمن بات مغضوبا عليهم وفي الورى
قطيع من الخرفان ينقاد غافيا

أيشكو فراق العقل محجوب أعين
إذا كان رين العقل يكسوه غاشيا؟

أيشكو وعين القلب تبكي مضاضة
على نكسة الإنسان في الجهل هاويا؟

ظلوم جهول صار بالشرك ثعلبا
وقد كان منذ البدء بالعهد ساميا

تمنت شعوب الأرض تحصين أمة
وتوحيدها بالأمر عهدا سماويا

فما أفلح الإنسان للعهد خائنا
وما فاز مغرور ولو كان طاغيا

فقد صار جمع الخلق أسراب غابة
ذئابا وخرفانا وحوشا ضواريا

قطيع مريض القلب يرتاد كوكبا
بعيدا عن الإحسان للنفس ناسيا

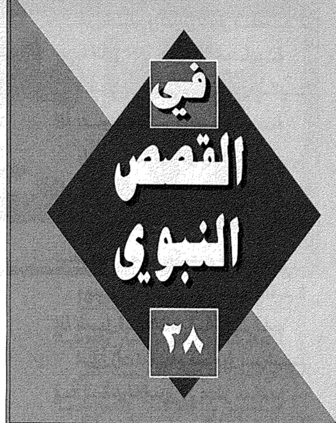
نسوا الله فارتدوا نفوسا عقيمة
وما كان ظلم النفس والناس ناجيا

ولن تسلم الدنيا من النار والوغى
وصوت الهوى كالذئب في الغاب عاويا

توالت من الأصوات بالعدل صرخة
متافات تدجيل غرورا مناديا

وغطى وجوه الغرب عار مؤيد
من (البوسن والهرسك) بالخزي كاسيا
دليل برهان ينافي حضارة
من البهت صافت مظلم القلب قاسيا
بتدمير أرواح تردت كئيبة
وتشقى بها الدنيا قتيلا وجانيا
بتخدير عقل النشء تعمى بصيرة
شعاراتهم همسا تحاكي الأفاعيا
ومن خلف أستار الشعارات ماكر
يغنيه مغضوب عليهم غيابيا
طغى الشرك فالأهواء تبني طقوسها
وفيها من الطاغوت من بات عاديا
وأوثانهم عجل وعرق وقادة
وأوهام أنساق .. ظنونا خواليا
وجاه وفكر مائع تحت شهوة
وسلم بالاستبداد يحمر قانيا
وتأليه إنسان وعقل وصدفة
وعلم كما لو كان وحيا إلهيا
سراب وأشباح وأحلام نائم
وبالجنس صار الفكر خزيا إباحيا
فهل يفلح الإنسان والجهل جارف
وقد كان بالأسماء في الكون ساميا؟
إلى أين يجري العصر بالناس مهلكا
قراهم وفي الآثام بالنار صاليا؟
فإنسان عصر الحس ذئب وثعلب
ومن خلف تبييت يحاكي الأفاعيا
عماء ووقر مظلم الصدر عاجز
عن الفهم والأنواق للحق عاصيا
وما أنطق الأقلام إلا مضاضة
بظلم الذي يجني ويرميك جانيا
اذا اعوج تفكير تردى بهيمة
وإن ساءت الأخلاق زادت معاصيا
وفي العقل إصلاح وفي الجو نكسة
بنور الهدى تسمو الموازين عاليا
عدو الورى جهل وكبر مسيطر
وجور وظلم النفس والغير باغيا
إذا العدل قاد الناس فالخير ثابت
فإن زلت الأقدام صاروا مواشيا
فلا فضل للأقوى ولا عذر خاضع
ولا فوز للمجموع إن ضل غافيا
شقي ومبغوض سلوك الذي غوى
وقد زين الشيطان بلواه لاهيا
فإن قام شرع الله يهدي خليقة
يقوم الهوى سدا منيعا واقيا
وبالجهل يردي الشر أرقى حضارة
فيمسي سلوك الشر في القوم عاديا
وبالظلم إهلاك القرى رغم بطشها
وجاه ومال لا ترى فيه باقيا
فلولا عزاء الشعر ما كنت كاتبا
ولولا أليم الصمت ما قمت ساعيا
وقد كانت الأشعار مرآة أمة
وما الشعر إلا زفرة القلب داميا
يرى الشعب في الأقلام رمحا مهندا
وفي طي أوزان صدى الشعب باكيا

الجنة



أبواب الجنة:

الباب مدخل المكان، ويجمع على أبواب ، ويستعمل الباب مجازا فيما يوصل إلى غيره وأكثر ما ورد في القرآن الكريم بالمعنى الحقيقي. قال تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب} وقال تعالى: {واستبقا الباب، وقدَّت قميصه من دبر، وألفيا سيّدها لدى الباب} وقال تعالى: {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم} وقال سبحانه: {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا، حتى إذا جاءوها فُتحَت أبوابها} وقال أيضا: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا، حتى إذا جاءوها وفُتِّحَت أبوابها} وقال جل شأنه: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب، متكئين فيها، يدعون فيها بفاكهة وشراب}.

وتكلم العلماء في عدد أبواب الجنة، وساق القرطبي في التذكرة عدة أقوال، وكلها مؤيدة بالقصص النبوي أو بأثر عن السلف الصالح:

١ ـ منها أن أبواب الجنة ثمانية: كما يفهم من قول الله تعالى: {حتى إذا جاءوها وفُتِّحت أبوابها} فوجود الواو في قوله (وفُتِّحت) تدل على أن الأبواب ثمانية، كالواو في قوله تعالى: {سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم} فالواو ذكر هنا مع الثمانية، وذكرها في قوله: {وفُتِّحت أبوابها} تدل على أن الأبواب ثمانية.

وأورد مسلم قصة مروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] ـ عن رسول الله ـ {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) وزادت بعض الروايات، بعد التشهد: (اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين).

وفي الصحيحين قصة عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (فى الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون).

وفى رواية عن ابن ماجة وعبد الله بن أحمد، عن عتبة بن عبد السلمى قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث[٢] إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل).

٢ ـ ومنها أن أبواب الجنة أربعة فقط، لما جاء في القصص النبوي في الموطأ وصحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب

ـــة ونعيمها (٢)

الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، فقال أبو بكر: يارسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم)[٣].

قال القاضي عياض: ذكر مسلم فى هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية وهي: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

٣ ـ ومن أقوال العلماء أن أبواب الجنة أحد عشر بابا، وهذا الرأى مذكور عن الترمذي الحكيم أبى عبد الله فى (نوادر الأصول) فذكر باب محمد {صلى الله عليه وسلم} وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر كالصلاة والصوم وغيرها، وعلى ذلك تكون أبواب الجنة هكذا:

باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الصدقة والزكاة، وباب الصيام (الريان) وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن[٤]، وباب محمد أو الرحمة أو التوبة.

٤ ـ ومن العلماء من يقول إن أبواب الجنة ثلاثة عشر بابا، يضاف إلى ما تقدم ذكره باب الضحى، وباب أمتي؛ لما جاء في القصص النبوي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن فى الجنة بابا يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة، ينادى مناد: أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه) وفي الترغيب والترهيب عن الطبراني زيادة: (هذا بابكم فادخلوه برحمة الله).

وفي الترمذي عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول).

بقلم:
أ.د. عبد الباسط
احمد على حمودة
ـ مصر ـ

قال القرطبي[٥] ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صادقا من نفسه أو قلبه ـ شك أيهما قال ـ فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة يدخل من أيها شاء).

فقوله (فتح له من أبواب الجنة) يدل على أنها أكثر من ثمانية. وأما كون الواو في (وفُتِّحت أبوابها) واو الثمانية، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك فى قوله تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) فخلو المتكبر وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه[٦].

٥ ـ وأورد القرطبي بعض القصص النبوية التى تدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثلاثة عشر.

من ذلك باب الداخلين الجنة بغير حساب ، كما في رواية سهل بن سعد[٧] ـ رضي الله عنه ـ أن

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف - لا يدري أبو حازم أيهما قال - متماسكون آخذ بعضهم بعضا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر).

ومن الأبواب باب الفرح، حيث جاء في قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (للجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان).

والباب السادس عشر باب الخلق الحسن ذكره الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيرى في كتاب التحبير. ونقل في ذلك قول النبي {صلى الله عليه وسلم}: (الخلق الحسن طوق من رضوان الله - عز وجل - في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة، حيث ما ذهب الخلق الحسن جرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى الجنة. والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله، والسلسلة مشدودة من باب النار، حيث ما ذهب الخلق السوء جسرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار).

قال القرطبي[٨] فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم. فيحصل منها - والحمد لله - على هذا ستة عشر بابا.

ويستدل على ذلك بأن كل باب مختص بأعمال معينة بالرواية التى جاءت في البخارى ومسلم، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد).

فهكذا - والله أعلم - سائر الأبواب المختصة بالأعمال.. ولا يمنع متعدد أعمال البر والخير أن يدخل من أي الأبواب شاء للحديث المتقدم عن أبي هريرة (من أنفق زوجين ... الخ).

سعة أبواب الجنة:

ولكل باب من أبواب الجنة مصراعان، وهذا يشبه أبواب الدنيا، غير أنها تختلف في السعة لتناسب رحمة الله وفضله.

وقد جاء وصف مصراعي أبواب الجنة في القصص النبوي في رواية مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - [٩] قال: (أتى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوما بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه فنهس[١٠] منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة) ثم قال: (فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى)، ونقل القرطبي عن البخارى (كما بين مكة وحمير).

وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدري عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة) وفى نص سابق: (باب أمتى الذين يدخلون منه، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول).

وعن معاوية بن حيدة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ) وعن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان فقال: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (.. والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم كظيظ الزحام).

بوابو الجنة وخزنتها:

جاء فى الأخبار الصحيحة المقطوع بها أن للجنة خزنة يقومون على أبوابها، وأن كبير الخزنة هو رضوان، لما تقدم من قوله تعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم} إلي قوله تعالى {وقال لهم

خزنتها سلام عليكم}.
يقول ابن القيم[١٢]: (وقد سمى الله سبحانه وتعالى - كبير هذه الخزنة: رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا، وسمي خازن النار: مالكا، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة، حيث تصرفت حروفه).

وجاء في القصص النبوي من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (آتي باب الجنة، يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بلى، أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) والقصة التى سبقت من قبل: (من أنفق زوجين فى سبيل الله، دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أى قُلْ هلم..) وفى رواية (ابتدرته حجبة الجنة).

ونقل القرطبي في التذكرة[١٣] قصة نبوية عن الترمذي عن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر..) ثم قال: (فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون فيقولون: مرحبا، فأخرُّ ساجدا لله..).

وجاء في قصة في مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}[١٤] (آتي باب الجنة، يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك).

قال ابن كثير في تفسيره(وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبْتُم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا وتقديره: حتى إذا جاءوها وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم، إكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب.

مفتاح الجنة:

المفتاح: أداة الفتح ومفتاح الباب ما يفتحه، والمفتاح - عموما - ما يفتح كل مستغلق، ويجمع على مفاتيح ومفاتح، وجاء في القرآن الكريم {وعنده مفاتح الغيب}.

ويطلق المفتاح على ما يفتح الحسيات والمعنويات، يقول ابن قيم الجوزية[١٥]: وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، كما قال {صلى الله عليه وسلم}: (مفتاح الصلاة الطهور) ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البر الصدق، ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر.

كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغي مفتاح الزنا، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق.

وجاء في القصص النبوي فيما رواه أبو داود الطيالسي[١٦] قال: حدثنا سليم بن معاذ الضبي عن أبي يحيى القتات عن مجاهد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة).

وفي البيهقي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي أهل الكتاب، فيسألونك عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله).

وفي البخاري: وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى.

ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

قال القرطبي: قلت: الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعا، وعن توحيده أيضا فقط قال الله تعالى: (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار}. وقال: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا} وهو في القرآن كثير الإيمان

مع العمل، وهو مقتضى الحديث الأول، حديث جابر - رضي الله عنه - وعن توحيد الله فقط، وفي الصحيحين عن أبى ذر - رضي الله عنه - وغيره عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة) قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق).

ويسوق الطبراني قصة من حديث موسى بن عقبة، عن اسحاق بن يحيى بن طلحة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول ا لله {صلى الله عليه وسلم}: (حضر ملك الموت - عليه السلام - رجلا، فنظر فى كل عضو من أعضائه، فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه، فلم يجد فيه شيئا، ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت الجنّة بقول كلمة الإخلاص).

وفي صحيح مسلم[١٧] عن عثمان - رضى الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) ومن قصة طويلة عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له: (اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة).

وجاء في القصص النبوي أن الجنة لا يدخلها أحد إلا بجواز، أى كتاب مكتوب، كما ورد في قوله تعالى: (كتاب مرقوم يشهده المقربون).

ففي رواية فى منتخب كنز العمال وفي التذكرة[١٨] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

قال محمد بن كعب القرظي - نقله ابن قيم الجوزية[١٩]: (رقم الله - سبحانه - كتاب الفجار فى أسفل الأرض، فهم عاملون بما قد رقم عليهم فى ذلك الكتاب، ورقم كتاب الأبرار فجعله فى عليين، فهم يؤتى بهم حتى يعملوا ما قد رُقِّم عليهم في ذلك الكتاب).

وجاء فى القصص النبوي رواية عن الامام أحمد بن حنبل، فى مسنده، وابن حبان، وأبو عوانة الاسفراييني في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب قال[٢٠]: (خرجنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى جنازة، فجلس رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على القبر وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وهو يُلحد له، فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، تنزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، مع كل واحد منهم حنوط[٢١] وكفن، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة؛ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوهَا فى يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعنى على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله - عز وجل - فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، قال: فينادى مناد

من السماء: أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح[٢٢]، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[٢٣] من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لا تُفتَّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخيَاط) فيقول الله - عز وجل - اكتبوا كتابه فى سجين في الأرض السفلى، وتطرح روحه طرحا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فَتَخْطَفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدرى. فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه. لا أدرى. فينادى مناد من السماء: أن كذب عبدى، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذى يسوءك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة).

درجات الجنة:

وكما سبق أن رأينا تعدد الجنان وكثرة الأبواب، وتفاضل الجنان بعضها على بعض، فكذلك فى الجنة درجات، وذلك ثابت في القرآن وواضح في القصص النبوي. قال الله - تعالى -: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما} وقال تعالى: {أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير، هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون} وقال - جل شأنه - {أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم}.

وجاء في القصص النبوي فى الصحيحين[٢٤) عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا: يارسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ولفظ البخارى (فى الأفق) وهو أبين، والغابر هو الذاهب الماضى الذى قد تولى للغروب.

وفى الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (يقال لصاحب القرآن، إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه).

وفى قصة رواها البخاري عن أبى هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٢٥] قال: (إن فى الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة).

وفي رواية عن معاذ[٢٦] عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (ذر الناس يعملون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وأوسطها وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس).

ومن القصص النبوي الذى يوضح نعيم أهل الجنة واختلاف درجاتها ما روي عن أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} : (إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم - تعالى - ويبرز لهم عرشه ويبتدىء فى روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دني - على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، قيل: يارسول الله هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يارب أفلم تغفر لي، فيقول: بلى، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك إذ غشيهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجد مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة، لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل ما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا).

أعلى درجة فى الجنة وأدناها:

وتحدث القصص النبوي عن أعلى الدرجات في الجنة، وذكر أسماء بعضها، كما قص علينا أدنى درجة فيها وما يكون لصاحبها من مكانة.

فأعلى الدرجات في الجنة هى درجة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} فهي منزلة خاصة بعبد من عباد الله، وقد دلت النصوص على أنها تكون لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} روى مسلم فى صحيحه[٢٧] قصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه سمع النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة).

ومن القصص النبوي ما جاء في الصحيحين عن جابر[٢٨] - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (من قال حين يسمع

النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة)٠

وقد فسرت الوسيلة بأنها درجة عند الله، لما فى مسند الإمام احمد عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (الوسيلة درجة عند الله - عز وجل - ليس فوقها درجة ، فسلوا الله لي الوسيلة)٠

ويؤيد ما تقدم ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات)٠

وفى قصة الإسراء: (أنه {صلى الله عليه وسلم} لما جاوز موسى قال: رب لم أظن أن ترفع عليَّ أحدا، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاوز سدرة المنتهى)٠

ويحدثنا القصص النبوي عن أدنى درجة في الجنة، وهى التى أعطيت لآخر الناس دخولا إلى الجنة، ففي رواية عن المغيرة بن شعبه[٢٩] عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (أن موسى سأل ربه ما لأدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول: رضيت رب٠ قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر)٠

وعن أنس بن مالك يرفعه (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم)٠

وعن أبى هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وما فيهم دنيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة[٣٠] ليست مع صاحبه)٠

وجاء فى قصة عن أنس[٣١] - رضي الله عنه - قال: (أسفل أهل الجنة درجة ، لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل خادم صحفتان: صحفة من ذهب، وصحفة من فضة فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك رشح مسك وجشاء[٣٢] مسك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون)٠

ومن القصص النبوى المطول الذى يحكي عن يوم الجمع وأهوال يوم القيامة واجتياز الصراط وشدائده، ونعيم أدنى أهل الجنة وسعة عطاء الله له، وعذاب جهنم، نعرض منه ما يناسب المقام، مما روي عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياما أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء قال[٣٣]: وينزل الله - عز وجل - فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادى مناد: أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، أن يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا؟ أليس عدلا من ربكم؟ قالوا بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا، قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، والى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد {صلى الله عليه وسلم} وأمته، فيأتيهم الرب - عز وجل - فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلها ما رأيناه بعد، فيقول: هل

تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساق، فيخرون له سجدا، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر[٣٤] يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يُدْعَوْن إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم، يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه ومشى، وإذا طفيء قام، والرب - تبارك وتعالى - أمامهم حتى يمر في النار، فيبقى أثره كحد السيف قال: ويقول: مروا، فيمرون على قدر نورهم؛ منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد[٣٥] الفرس، ومنهم كشد الرجل، حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهامه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجر يد وتعلق يد، وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها، ثم قال: الحمد لله، لقد أعطانى الله ما لم يعط أحدا، إذ نجانى منها بعد أن رأيتها، قال: فينطلق إلى غدير عند باب الجنة، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما فى الجنة من خلال الباب، فيقول: رب أدخلنى الجنة، فيقول الله - تبارك وتعالى - له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يارب اجعل بينى وبينها حجابا لا أسمع حسيسها[٣٦]، قال: فيدخل الجنة قال: ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأنما الذى هو فيه إليه حلم ليدخله، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره؟

فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول الله - عز وجل - فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله، قال: ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر. كأنما الذى هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطنى ذلك المنزل، فيقول الله - جل جلاله - فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره؟ قال: لا، وعزتك لا أسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال: فيعطاه فينزله ثم يسكت، فيقول الله - عز وجل - مالك لا تسأل؟ فيقول: رب لقد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول الله - عز وجل - ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتستهزيء بي وأنت رب العزة، فيضحك الرب - عز وجل - من قوله - قال: فرأيت عبد الله بن مسعود، إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك - فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغت هذا المكان ضحكت، فقال: إنى سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يحدث بهذا الحديث مرارا، كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه، قال: فيقول الرب - عز وجل - لا، ولكنى على ذلك قادر، سل، فيقول: ألحقنى بالناس، فيقول: الحق بالناس، قال: فينطلق يرمل فى الجنة، حتى إذا دنا من الناس، رفع له قصر من دُرَّة فيخر ساجدا، فيقال له: ارفع رأسك، مالك؟ فيقول: رأيت ربى أو تراءى لى ربى، فيقال له: إنما هو منزل من منازلك، قال: ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود، فيقال له: مه مالك؟ فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له: إنما أنا خازن من خُزَّانك، عبد من عبيدك، تحت يدى ألف قهرمان[٣٧] على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، قال: وهو فى درة

مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددت في عينى سبعين ضعفا، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددت في عينى سبعين ضعفا، فيقال له: أشرف، قال: فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره، قال: فقال عمر: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا، فكيف أعلاهم؟.

قال كعب: يا أمير المؤمنين، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، إن الله - عز وجل - جعل دارا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون). قال: وخلق دون ذلك جنتين، وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه، فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه، فيقولون: واها لهذا الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه.

فقال: ويحك يا كعب، هذه القلوب قد استرسلت[٣٨] فاقبضها[٣٩].

فقال كعب: والذى نفسى بيده، إن لجهنم يوم القيامة لزفرة، ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إبراهيم خليل الله يقول: نفسي نفسي، حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو).

الهوامش:

(١) التذكرة ص ٥٣٣ وحادي الأرواح ص ٤٩.
(٢) الحنث: البلوغ والإدراك والتكليف.
(٣) صحيح حادى الأرواح ص ٤٩.
(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٦٥.
(٥) التذكرة ص ٥٣٤.
(٦) وانظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٠٦٦
(٧) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٨١.
(٨) التذكرة ص ٥٣٥.
(٩) جـ ١ ص ٣٦٢.
(١٠) بالمهملة أى أخذه بطرف الأسنان.
(١١) حادى الأرواح ص ٥٢ والمنتخب جـ ٦ ص ١٠٩، ١٠٦.
(١٢) صحيح حادى الأرواح ص٩٦.
(١٣) ص ٢٨٢ ومنتخب كنز العمال جـ ٦ ص ٠٧٩
(١٤) ابن كثير جـ ٤ ص ٦٥.
(١٥) صحيح حادى الأرواح ص ٥٨.
(١٦) التذكرة ص ٦٠٢.
(١٧) جـ ١ ص ١١٢، ١٢٢.
(١٨) المنتخب جـ ٦ ص ١١٢ والتذكرة ص ٥٤٧ وينسبه لمسند الإمام أحمد.
(١٩) الهجرتين ص ٨٤.
(٢٠) صحيح حادى الأرواح ص ٦٠ وخطب الرسول ص ٢٢٢.
(٢١) حنوط: هو الطيب والعطر يطيب به الميت.
(٢٢) المسُوح: أكسية غليظة من الشعر.
(٢٣) السفود: حديدة يشوى بها لها شعب كثيرة كالخطاطيف.
(٢٤) صحيح حادى الأرواح ص ٠٦٦
(٢٥) طريق الهجرتين ص ٣٨٧.
(٢٦) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١٠٦ - ١٠٨.
(٢٧) جـ٢ ص ١٣٧.
(٢٨) صحيح حادى الأرواح ص ٦٩، ١٣٨.
(٢٩) المرجع السابق ص ١٣٩.
(٣٠) طرفة: هدية جديدة حسنة.
(٣١) منتخب جـ ٦ ص ١١١.
(٣٢) ما يخرج من المعدة من ريح ونحوه.
(٣٣) صحيح حادى الأرواح ص٢٧٨.
(٣٤) صياصى البقر: قرون البقر.
(٣٥) شدّ: عدو وجري.
(٣٦) حسيسها: صوتها.
(٣٧) قهرمان: كلمة فارسية معناها خازن أو وكيل.
(٣٨) استرسلت: انبسطت واستأنست وأمنت.
(٣٩) فاقبضها: خوفها وازجرها خوفا من الغفلة والغرور.

شعراء من التراث: «١»

المُخَبَّل السعدي

هو ربيعة بن مالك من بنى شماس بن لأي بن أنف الناقة، والمخبَّل المجنون، وبه سمي ربيعة[١].. ما نعرفه عن الشاعر في جاهليته، انه كان محباً للشراب، وللشعر وللفروسية، وأنه كان يتخير من الأصدقاء من كانوا على شاكلته، فقد كان فى مقدمة أصدقائه الزبرقان بن بدر، وعبدة بن الطبيب، وعمرو بن الأهتم، ولقد كان آخر لقاء لهم قبل الإسلام، أنهم اجتمعوا فنحروا جزورا، واشتروا خمراً ببعير، وأقاموا يشوون ويأكلون.

فقال بعضهم: لو أن قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطرْنا، وحين اختلفوا في المقدّم منهم، قالوا: فلنتحاكم إلى أول من يطلع علينا، وبعد فترة طلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسدى، فقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمنوه من ذلك، فقال: أما عمرو بن الأهتم فشعره برود يمانية تنشر وتطوى، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزوراً قد نحرت فأخذ من أطايبها، وخلطه بغير ذلك - وفي رواية يا زبرقان شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يترك نيئاً فينتفع به - وأما أنت يا عبدة بن الطبيب فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء، وأما أنت يا مخبل، فشعرك شُهُب من نار الله يلقيها على من يشاء، ومعنى هذا أن المخبّل السعدي كان أشعر المجموعة.

وقد كان من الطبيعي أن يبدأ حياته بقصة حب، فقد أحب أخت صديقه الزبرقان واسمها «خليدة» وحين خطبها من أخيها ماطله وزوجها من رجل من بنى كلاب، وقد ظهر بعد فترة من الزواج أنه لم يكن على مستوى هذه الزيجة، وأنه عُيب عليه أنه قتل جاراً له، وقد حدث شقاق بينه وبين الزبرقان فتهاجيا، وكان الناس يجتمعون عليهما لسماع ما قيل من هجاء، وقد ظل طيلة حياته متعلق الروح بخليدة التي خطبها فرُفض، ويقال إنه بعد أن أسنَّ وضعف بصره، التقى بها على غير موعد، فأنزلته، وقرَّبته، وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له: إنى آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها، فقال: ومن أنت حتى أعرفك، وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك، فقالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالما: أنا خليدة بنت بدر، فقال: واسوأتاه منك، فإنى استغفر الله عز وجل، واستقيلك وأعتذر اليك، ثم قال:

بقلم:
أ.د. عبده بدوي
كلية الآداب
جامعة الكويت

لقد ضلَّ حلمي في خُلَيْدَة أنني
سأعتب نفسى بعدها وأنوب
فأقسم بالرحمن أنِّى ظلمتها
وجُرت عليها، والهجاء كذوب!

* ثم كـــان أن دخل الاســـلام، وتخلّق بأخلاقه، واقترب من الرسول عليه الصلاة والسلام، ومما يحفظ له تعلقه الشديد بابنه «شيبان»، فقد خرج مجاهدا في سبيل الله مع «سعد بن أبى وقاص»، وقد جزع المخبل لسفره وبعده عنه، وبخاصة أنه كان قد أسن وضـعف وافـتـقـر إلى هذا الولد، فلم يملك البعد عنه، وقيل إنه كاد أن يغلب على عقله، وكـان أن عـمـد إلى سـائر إبله، وكل مـاله، فـعـرضـه للبـيع، وليلحق بابنه وحين عـرف صديقه علقمة بن هوذة بهذا، شغل بأمره، وقـال له: أنا أكلم أمـيـر المؤمنين عـمـر بن الخطاب في رد ابنك، فإن فعل غنمت مالك، وأقـمت في قـومك، وإن أبى اسـتنفـقت مـا أعطيـتك ولحـقت به، وخلفت إبلك لعيـالك، وبالفـعل ذهب إلى عـمـر، وأخـبـره خـبـر «المخبل» وجزعه على ابنه، وأنشده قوله فى ابنه شيبان:

أيُهْلكنى «شـيـبـان» في كل ليلة
لقلبى من خـوف الفـراق وجـيـبُ
أشـيـبـان مـا أدراك أن كل ليلة
غـبـقـتك فـيـهـا، والغـبـوق حـبـيب
فـإن يك غـصنى أصبح اليـوم ذاويا
وغـصنك من مـاء الشـبـاب رطيب
فـإنى حنت ظـهـرى خطوب تتـابعت
فمشْيي ضعيف فى الرجـال، دبيبُ
إذا قـال صـحـبى: يا ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب!
ويخـبـرني شـيـبـان أن لن يعقّني
تعق إذا فـارقـتنى وتحـوب!
إذا قلت: ترعى، قـال: سـوف تريحنى
من الرَّعى مـنعـانُ العـشيِّ خـبـوبُ[٢]

ويقال إن عمر بن الخطاب حين سمع هذه الأبيات بكى ورقَّ له، وكتب إلى «سـعـد بن أبى وقـاص» يأمـره أن يرجع شـيـبـان بن المخـبل إلى أبيـه، فـمـا وصل الخطاب إلى سعد وكلم ولده شيبان فى أمر العوده قال شيبان: لا تحرمنى الجهاد، ولكن سعداً ألح وقال: إنها عزمة من عمر، ولا خير لك فى عصيانه، وعقوق شيخك، وكان أن عاد ولم يفارق الأب حتى كان موت الأب[٣].

ويبدو أنه عاش فقيراً، وأنه لم يكن يمدح إلا فى حدود ضيقة، فنحن نعرف أنه كان له ولد يسمى «زرارة» وأن رجلا أتى هذا الولد وهو مشغول بأمر إبله، وقد طلب منه الرجل أن يصارعه، فقال زرارة: إنى عن صراعك لمشغول، ولكن الرجل أصرَّ على المصارعة، فـمـا كـان من زرارة إلا أن أخـذ حـجـراً وضرب به رأس الرجل فقتله، وحين طلب من الأب أن يقوم بدفع الدية، نراه يخبر «بغيض بن عـامر» بما يفعل، ويطلب منه دفع الدية، وحين استجاب «بغيض» مدحه بالقصيدة التى أولها:

لعـمـر أبيك لا ألقى ابن عم
على الحـدثان خـيـراً من بغـيض
أقل مـلامـة وأعـز نصـراً
إذا مـا جـئت بالأمـر المريض
كـسـانى حلة، وحـبـا بعنس
أبُسُّ إذا اضطربتُ غـروضـى
غـداة جنى بُنيَّ عليَّ جُرمـا
وكـيف يداى بالحـرب العـضـوض
فـإن تمنع سـهـول الأرض منى
فـإنى سـالك سُبل العـروض[٤]

ويبدو أنه عاش محبوباً ومقدراً في قومه، فيروى أن رجلا من بنى امرىء القيس، كان مجاوراً في بكر وائل باليمامة، ولكنهم أغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنحه شيئاً من عنده، فما كان من المخبل إلا أن قال له: إن شئت فاختر خير ناقة، في إبلي فخذها، وإن شئت سعيت لك، فقال الرجل: أن تسعى بى أحب إلى فما كان من المخبل إلى أن سار معه، ووقف على نادى قومه وأنشد:

أتوا إلى روح بن حسان بن حارثة، بن منذر
كوماء مدفاة كأن ضروعها حماء أجفر

* فما كان من القوم إلا أن قالوا له: نعم ونعمة، وجمعوا له من النياق، ما يعادل الإبل التى اغتصبت منه.

وفى ميدان الشعر نرى أن محمد بن سلام قد وضعه فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء[٥] أما الذى فخر به، فكان الفرزدق، ذلك لأنه قال فى مجال فخره بنفسه:

وهب القصائد للنوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرولُ[٦]

* فذو القروح هو امرؤ القيس، وجرول هو الحطيئة، وأما أبو يزيد فهو كنية شاعرنا الذى اسمه فى الأصل الربيع بن ربيعة، ولقبه المخبل السعدي، وقد كان من المعمرين، وعاش فى الجاهلية زمناً، وفى الاسلام زمناً ، وأجاد فى وصف الحبيبة بالدرة:

كعقيلة الدر استضاء بها
محراب عرش عزيزها العجم
أغلى بها ثمنا، وجاء بها
شخت العظام كأنه سهم[٧]

* وهناك من قال: شعره شهب من نار الله يلقيها على من يشاء[٨]، وقد وضعه ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية[٩].

تلك سيرة شيخ عاش محبوبا فى الجاهلية وفي الإسلام، وكان مما يميزه هذا الحب المتدفق لأبنائه، وبخاصة ولده شيبان.

وقيل مات فى أيام عمر بن الخطاب[١٠]، بعد أن عاش زمنا فى الجاهلية، وكانت له صحبة برسول الله {صلى الله عليه وسلم}، كما أنه عاش مكرّما فى عصره، وكما شُهد له بالشعر، شُهد له بالنبل.

الهوامش:

(١) الشعر والشعراء ٣٣٣/١، سرح العيون ص ١٣١ ط ١٩٨٦، وأمه أم البنين، وهناك من يرتضى أن يكون اسمه ربيع بن ربيعة لقوله:

إذا قال صبحى يا ربيع ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

ـ شعراء مقلون د. حاتم الضامن ص ٢٨٠، عالم الكتب، بيروت.

(٢) نفسه ٣٣٣/١.

(٣) شعراء مقلون د. حاتم صالح الضامن ٢٨١ ، ٢٨٢ عالم الكتب، بيروت.

(٤) شعراء مقلون ص ٣٠٠.

(٥) طبقات فحول الشعراء ١٢٤/١.

(٦) أبو يزيد: كنية الشاعر.

(٧) المفضليات المفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص ١١٥، ط. دار المعارف ١٩٦٤.

(٨) الأغانى ٤٤/١٢.

(٩) طبقات فحول الجاهلية، وقال فيه: له شعر كثير جيد، وأدرك خلافة عمر.

(١٠) معجم الشعراء في لسان العرب. د. يوسف ياسين الأيوبى.

اللغة والمصطلح:

مسألة المصطلح بين الأمس واليوم

بقلم: د. عباس أرحيلة
كلية الآداب - مراكش -

أولا: تحديد المصطلح ضرورة حضارية:

في معترك التواصل البشري تنشأ الألفاظ لتدل على مسميات لمدركات الانسان وأحاسيسه، وما يقوم به من نشاط في هذا الوجود. وتتوالد الالفاظ في معترك الحياة وتختلف باختلاف الاصطلاحات والأمكنة، وتنتقل من معانيها اللغوية إلى معانيها الاصطلاحية، فتصبح مفاهيم تؤطر تصورات فكرية؛ وهكذا يخرج اللفظ من رحم الحياة، الى مجال المعجم ليصبح دالا على معنى ما، في مجال معرفي ما. ثم ينتقل اللفظ من معناه اللغوي فيكتسب «المصطلحية» حين يحقق في مجال التداول تصورا فكريا واضحا، وبذلك يتحول الى مفهوم.

وتحديد المصطلح في مجال العلوم حقيقة مقررة، في غيابها لا تزدهر العلوم ولا تتطور وقيمة التفكير العلمي تقاس بضبط المصطلح باعتباره اداة علمية إجرائية تحدد معالم التصور النظري الذي ينبثق عنه المنهج.

وكل الحضارات القديمة رسخت وجودها الفكري حين حددت مصطلحاتها، وبلورت مفاهيمها، فأصبح تحديد المصطلح ضرورة حضارية يكسب بها الفكر سيرورته في تاريخ الأفكار. وازدادت العناية بالمصطلحات في العصور الحديثة بسبب الطفرة الحاصلة في التطورات العلمية والمنهجية. وتبين أن التحكم في المصطلحات هو تحكم في المعرفة التي يراد تبليغها، وأن المناهج العلمية لا تتحقق الا بضبط المصطلحات، وتأكد لدى الباحثين أن الخلافات العلمية ترجع في قدر منها الى اختلاف الناس حول معاني الالفاظ.

فكيف تعامل الفكر العربي مع قضية المصطلح في القديم والحديث؟

وهل عانى القدماء من اشكالات المصطلح كما نعاني نحن اليوم؟

ثانيا: الاصطلاح في القديم:

اصطلح الناس أي تصالحوا وزال ما بينهم من خلاف، وتحققت المصلحة والمنفعة بينهم، وحل الصلاح مكان الفساد. واصطلحوا على شيء، تعارفوا عليه واتفقوا اتفاقا يقتضيه العقل.

فالمصطلح - في ضوء المعجم العربي - اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص والهدف من وضع المصطلح تحقيق تواصل وتفاهم واتفاق وإجماع وبهذا نختصر الزمن، وننتصر عليه، وتتطور المعارف البشرية وتزدهر، ويسهل نقد هذه المعارف ومراجعتها، وينشأ حوار علمي بين اللغات

** قراءة النص الديني تستوجب تحديد المصطلح اللغوي للكلمة.
** الدين واللغة هما قطبا الحضارة الاسلامية.
** مرحلة التدوين شهدت ولادة مصطلحات في كل الحقول.

والشعوب والمناهج.

أ ـ لغة القرآن والتشريع:

نزل القرآن بلسان عربي مبين، فأنيط الاعجاز بلغة القرآن، وأصبح الخطاب اللغوي في النص القرآني، دليل النبوة في الاسلام، ومحط اهتمام المسلمين على اختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم.

وبنزول القرآن وترجمة ألفاظه ومعانيه سلوكا انسانيا حضاريا دخلت الفاظ اللسان العربي في تجارب ومتابعات ودراسات ومقارنات. فقد تجددت الفاظ هذا اللسان، واتخذت لها ايحاءات جديدة، واصبح لبعضها دلالات مغايرة.

وتقرر أن شرع الله يدرك من خلال النص القرآني، فانصرفت العقول الى لغة القرآن بحثا وتمحيصا ودراسة ومقارنة، قصد استجلاء معانيها، وادراك مراد الله في تضاعيفها ومقاصدها. وبحثا عن معاني ألفاظ القرآن، تطورت الثقافة العربية الاسلامية واخذ الفكر الاسلامي أبعاده في التاريخ الثقافي. وأضحى الدخول الى رحاب النص القرآني لا يتحقق الا بفقه العربية واساليبها في التعبير، وبحثا عن معاني الفاظ القرآن، نشأ الاهتمام بتحديد دلالات الالفاظ وضبطها قصد استنباط الحكم الشرعي من خلال استعمالاتها وسياقاتها.

وبدأ تأسيس الفكر الاسلامي وتحديد الرؤية الاسلامية انطلاقا من تدبر النصين المؤسسين للاسلام: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وانطلاقا من تأسيس الاصطلاح حول معاني الالفاظ التي يتكون منها النصان المؤسسان، ولا غرابة أن تبرز المصطلحات الفقهية، لتحديد الحقيقة الشرعية بصورة دقيقة وتلقائية، وأن تتفجر داخل النصين المؤسسين المحددين للأوامر والنواهي، الضابطين لمنهج السماء الى الارض، كما لا غرابة أن يكون علماء الكلام من اوائل المهتمين بتأسيس المصطلح في الفكر العربي الاسلامي، وأن ترى معاني الالفاظ تأخذ مسارات جديدة، وتحتضن دلالات جديدة، وترى المصطلحات تتوالد وتتكاثر داخل حقول الثقافة العربية الاسلامية.

ب ـ الظروف التي ساهمت في نشأة المصطلحات وتطورها في تاريخ الاسلام؟

١) حضارة الاسلام تقوم على قطبين: الدين واللغة ولا تدرك حقيقة الدين الا بمعرفة هذه اللغة فكانت الحقيقة الشرعية كامنة في النص، والمسلمون خرجوا الى الدنيا يحملون في ركابهم كتاب الله يريدون أن تدين به الارض.

٢) دخل الاسلام في حوار حضاري مع

بقايا الديانات والملل والنحل، وامتدت الفتوحات الاسلامية وانهارت الامبراطوريات القديمة، وبدأ التفاعل مع ثقافات الشعوب التي دخلت تحت لواء الاسلام.

٣) انتقال الثقافة العربية الاسلامية من طور الشفاهية الى طور التدوين، اقتضى جمع الألفاظ وتحديد مدلولاتها وتتبع استعمالاتها في القرآن والحديث والشعر القديم.

٤) وتبعا للخلافات الداخلية بين المسلمين، والصدام مع عقائد الحاقدين على الاسلام، وتبعا لما طرحه هؤلاء من اسئلة على النص القرآني؛ تعددت أوجه الاختلاف وتباينت الآراء، وأصبحت الحاجة تدعو الى تحديد المصطلحات في الجدل والمناظرات، بل دعت الحاجة الى الاستعانة بالمنطق لضبط العمليات التي يقوم بها العقل.

وعموما، يمكن القول إن مرحلة التدوين (وتمتد من سنة ١٥٠ الى ٢٥٠هـ) قد شهدت ولادة المصطلحات في جميع الحقول المعرفية داخل حضارة الاسلام.

ثالثا: نماذج تؤرخ لنشأة المصطلح:

أ ـ النموذج الأول:

حديث الجاحظ (٢٥٥هـ) عما طرأ على الالفاظ من تحول بظهور الإسلام، مشيرا الى ما استحدث من الفاظ جديدة. فقد لاحظ أن الناس قد تركوا الفاظا كثيرة كانت مستعملة في الجاهلية واستحدثوا الفاظا جديدة. يقول الجاحظ في كتاب الحيوان: «وأسماء حدثت ولم تكن، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة، على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام مخضرم.. ويدل على أن هذا الاسم أحدث في الاسلام، انهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون أن ناسا يسلمون وقد أدركوا الجاهلية، ولا كانوا يعلمون ان الاسلام يكون.. ومن المحدث المشتق، اسم منافق لمن راءى بالاسلام واستسر بالكفر، أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والداماء[١].

وأشير هنا الى نص آخر للجاحظ في البيان والتبين يفيد في التاريخ للمصطلح في الثقافة العربية الاسلامية. فقد ورد في صحيفة بشر بن المعتمر أن المتكلمين قد تخيروا لمعانيهم ألفاظا، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف.. ولذلك قالوا العرض والجوهر، وأيس وليس.. وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد، وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب، وتلك الاوزان بتلك الاسماء، كما ذكر الطويل، والبسيط، والمديد.. وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف.

وكما سمى النحويون، فذكروا الحال والظروف وما اشبه ذلك لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم[٢].

ب ـ النموذج الثاني:

رجعت فيه الى «كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية» للشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ) وهو أول كتاب في

** في القرن الثالث الهجري اتضحت معالم المصطلحات في جميع حقول المعرفة الاسلامية.
** اختلاف الاصطلاحات أضر بالتعليم حسب رأي ابن خلدون.
** الثقافة العربية الحديثة تغلبت على قضية المصطلحات.

العربية عالج دلالة الالفاظ وتطورها وأول مرجع يتضمن الاسماء العربية التي نطق بها القرآن الكريم، والاسماء التي اصطلح عليها المسلمون بمدلولات حديثة ومعان لم تكن تعرفها قبل البعثة المحمدية. وكان هدف الرازي وضع المصطلحات الاسلامية حتى لا تقع خلافات بين أهل الملل والنحل ولا بين الفقهاء. وسماه الزينة ليتزين به المثقف في المحافل العلمية. يقول ابو حاتم الرازي في بداية كتابه: «ألفناه من ألفاظ العلماء وما جاء عن أهل المعرفة باللغة واصحاب الحديث والمعاني واحتججنا فيه بشعر الشعراء المشهورين الذين يحتج بشعرهم في غريب القرآن وغريب الحديث. وفيما يوجد له ذكر في الشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن والالفاظ النادرة[٣].

وهكذا جمع ابو حاتم من المؤلفات العربية المصطلحات المستعملة في المجتمع الاسلامي، وشأن ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في كتابه «تفسير غريب القرآن» عني ابو حاتم بشرح اسماء الله الحسنى وذكر اشتقاقها، والتشابه واضح بين الكتابين في هذا الجانب.

ج ـ النموذج الثالث:

ظهور معجمين للمصطلحات الفلسفية في التراث العربي ... المعجم الأول لجابر بن حيان (حوالي ٢٠٠هـ) ويتمثل في رسالته الحدود، وقد عالج فيها خمسة واربعين مصطلحا، وجاء الكندي الفيلسوف (٢٥٢هـ) ووضع رسالته الحدود والرسوم، وقد حدد فيها ١٠٩ من المصطلحات الفلسفية منها ٩٥ مصطلحا لم يذكرها جابر بن حيان. وقد أعاد نشر الرسالتين د. عبد الامير الاعسم في كتابه «المصطلح الفلسفي عند العرب» في بغداد ضمن منشورات الفكر العربي، والرسالتان معا تقدمان نموذجين للمحاولات الأولى في الثقافة العربية لتحديد دلالات المصطلحات الفلسفية.

د ـ النموذج الرابع:

وفي مجال البلاغة نجد عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) يقول في كتابه البديع: ولعل بعض من قصر عن السبق الى تأليف هذا الكتاب،

ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به.. وليس من كتاب الا وهذا ممكن فيه لمن أراده[٤].

وجاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ليقول في كتابه الشعر: «لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماءا اخترعتها، وقد فعلت ذلك والاسماء لا منازعة فيها اذ كانت علامات؛ فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع لها كل من أبي ما وضعته منها ما احب، فليس ينازع في ذلك[٥].

ويمكن القول إن المصطلحات في جميع حقول المعرفة الاسلامية، قد بدأت تتبلور وتتضح معالمها في القرن الهجري الثالث، فقد رسخ الفقه الاسلامي وتحددت مصطلحاته، واتضحت مناهج المتكلمين وتوطدت مصطلحات النحاة والعروضيين، وهو عصر ازدهرت فيه حركة الترجمة، وبدأت فيه المصطلحات الفلسفية، تتوالد وتتكاثر، كما ازدهر مصطلح علم الحديث، ومصطلحات علوم القرآن ومصطلحات علوم البلاغة والنقد.

واستطاع الفكر العربي أن يؤسس مصطلحاته في جميع حقول المعرفة، ويحقق حولها الاجماع والدقة والوضوح وضبط عملية التفكير؛ بحيث تصبح الالفاظ تحمل دلالات جديدة، تؤدي تصورات ذهنية ومفاهيم مجردة وتساعد على تطوير المعرفة وضبط المنهج ونقد المعرفة ومراجعتها.

والخلاصة أن المصطلحات نشأت في معترك الثقافة العربية الاسلامية ونبعت بتلقائية عن طريق الاشتقاق، والوضع والتجوز والتوليد والقياس وغيرها من الوسائل. فكانت الذات العربية تتحرك بادواتها، وتضع اللبنات الاصطلاحية لبناء مناهجها وتصوراتها، فاستطاعت الامة ان تبني معمارا فكريا شامخا، وأن تخضع المعارف القديمة لتصوراتها، وأن تجعل لغتها قادرة على استيعابها وتحملها، بل أن تجعل هذه اللغة هي الاداة الحاملة للمعرفة الانسانية في ذلك الزمان دون سواها.

رابعا: اشارة الى موقف ابن خلدون من المصطلحات:

منذ نهاية القرن الثامن الهجري أحس ابن خلدون (٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بأثر اختلاف الاصطلاحات في التعليم، فقد عرض في الباب السادس من مقدمته لتاريخ العلوم والفنون المعروفة في عصره، وعالج تاريخ التربية والتعليم في المشرق والمغرب، منبها الى الطرق التي ينبغي اتباعها في تلقي العلم، وقد لاحظ أن مما أضر بالتعليم في زمانه، اختلاف الاصطلاحات.

يقول ابن خلدون في «فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة في التحصيل»: اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلوم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك.. ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها[٦].

ويكشف ابن خلدون عن خطورة اختلاف الاصطلاحات في العلم ويدعو الى اعتبارها

** الثقافات الوافدة في هذا العصر أظهرت اشكال المصطلح في العالم العربي.

** غاية المصطلح ضبط عمليات التفكير.

آليات تصطنع لتحقيق الغايات المرجوة من المعارف فلكل علم اصطلاحاته، النابعة من طبيعته، وباختلاف العلوم والصناعات تختلف الاصطلاحات والمصطلحات في رأي ابن خلدون - ليست من العلم، انما هي أدوات لتقريب العلم وتوصيله، ويرى أن المتعلم يتغلب على المصطلحات بالاخذ عن عدد وافر من المشايخ حتى يتمكن من ضبط هذه المصطلحات. يقول ابن خلدون: «والاصطلاحات في تعليم العلوم مخلّطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم.. فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم منها، ويعلم أنها تعليم وطرق توصيل.. ويصحح معارفه ويميزها عن سواها]٧[.

فماذا عن مسألة المصطلحات في الثقافة العربية المعاصرة؟

خامسا: العناية بالمصطلحات في العصر الحديث:

حدث صدام بين اللغة العربية واللغات الاجنبية في العصور الحديثة وانطلقت مدرسة الالسن في مصر في نهاية عشرينيات القرن التاسع عشر، وكأنها تؤسس بيتا جديدا للحكمة، وبالرغم من تكالب الحركات الاستعمارية على العالم الاسلامي ومحاولة طمس هويته، وشيوع التخلف في أرجائه، فقد دخلت العربية في معترك العصور الحديثة، وأبانت عن استعدادها للتفاعل مع المعارف الحديثة، فبدأ استنبات المصطلحات، ووضعها عن طريق المواضعات والاشتقاقات والدلالات المجازية مع اعتماد عمليات التوليد والاستفادة من التعريب والترجمة.

فتكاثرت المصطلحات، وقامت المجامع العلمية واللغوية والمؤسسات التعليمية والجهود الفردية بجهود رائدة حاولت ربط ماضي الأمة بحاضرها، والى نهاية خمسينيات القرن العشرين لم يحس المثقف العربي بأزمة التواصل مع المصطلحات. ولم يجد المثقفون العرب عنتا في تبليغ آرائهم ومشاعرهم، ولم تقف المصطلحات حجر عثرة في سبيلهم. لقد دخل العالم العربي الى معترك العصور الحديثة، وكان لابد أن يصطدم بمصطلحات الغرب الحديث ويحس بوطأة التخلف، فيسعى الى النهوض ومواكبة العصر، من هنا أقيمت المجامع العلمية واللغوية واتسعت حركة الترجمة، وزاد الاقبال على تعلم اللغات، وبتطور المعارف والتخصصات، ازداد الاهتمام باللغات وبتطور دلالات الالفاظ والتدقيق في ضبط المصطلحات.

وقد افتقد الدارسون العرب والمستشرقون معجما تاريخيا يمكنهم من تتبع الالفاظ العربية وتطورها في العصور المختلفة وترتيبها ترتيبا تاريخيا. وقد رجح ابراهيم أنيس أن يكون السر في انصراف أصحاب المعاجم عن هذا الترتيب التاريخي لدلالة الالفاظ العربية الى انهم نظروا الى كل عصور الاحتجاج في اللغة على أنها عصر واحد، وأنه يكفي في اللفظ أن يكون عربيا صحيحا، ليستحق التدوين في المعاجم ومن هنا أرجع مشكلة الترادف والاشتراك اللفظي الى التطور التاريخي الذي عرفته الالفاظ[٨].

وقد حاول المستشرق الالماني فيشر Auguste Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩م) أن يضع معجما تاريخيا لالفاظ العربية، وأعلن عن مشروعه هذا في مؤتمر الفيلولوجيين الالمان الذي عقد في بازل سنة ١٩٠٧. وبدأ في وضع جذاذات المعجم سنة ١٩١٣، وبلغ عدد الجذاذات حتى سنة ١٩١٨ حوالي اثنتي عشر الف جذاذة وحين عين عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة ١٩٣٢ استأنف مشروعه بحماس، وقامت الحرب سنة ١٩٣٩، وألغي تعيينه في عضوية المجمع في ١٩٤٥. ومات فيشر سنة ١٩٤٩ وبقيت الجذاذات أمانة لدى مجمع اللغة العربية[٩].

ويمكن القول إجمالا إن الثقافة العربية الحديثة قد تغلبت على قضية المصطلحات، واجتهدت في وضعها، واحدثت تراكمات هائلة في المجالات المعرفية والفنية ونشأت الدراسات الحديثة بأنواعها، وترجمت أعمال كثيرة الى اللغة العربية، وتم تعريب المواد العلمية في بعض الجامعات العربية منذ عشرات السنين، وبالرغم من جدة بعض العلوم الانسانية في اللغة العربية، فإن القاريء العربي لم تقف المصطلحات حاجزا بينه وبينها.

سادسا: أزمة المصطلح:

مع نهاية الخمسينيات، وخروج أغلب الدول العربية من ربقة الاستعمار ودخول الذات العربية في تجربة جديدة يطبعها التغني بالايديولوجيات، والتساقط في الحداثات، والحيرة في المواقف والاختيارات، والذّوبان في الشعارات، ومع الرغبة في استجلاب أنماط التنمية ومواكبة ايقاعات العصر، وفي ضوء التفاعلات الثقافية بين الغرب والشرق، ويسر التواصل بين الثقافات، تعددت الاجتهادات في ترجمة أدبيات الغرب، وطغت المصطلحات الاجنبية فاصبحت تشكل قضية رئيسية في العلوم الانسانية، وخاصة في اللسانيات والنقد الأدبي.

هناك طفرة في العلوم الانسانية في الغرب، واجتهادات الأوربيين تنوعت باختلاف الاصول المعرفية والخلفيات الفكرية، وتهافتت اقلام بعض التراجمة العرب على أعمال بعض الاوربيين فنشروا فوضى الترجمة، وانتقلت آثار تلك الفوضى الى مجال التأليف، فتفاقم إشكال المصطلح في العالم العربي، وعند اصحاب الحداثة خاصة.

وباختلاف الأصول الأوربية للمصطلحات واختلاف التكوين لدى المثقفين العرب بتنوع

** بالأمس تبلورت المصطلحات وتألقت.. واليوم تعددت وجفت وتاهت.
** كل الحضارات القديمة رسخت وجودها الفكري حين حددت مصطلحاتها.

مرجعياتهم، وغياب المؤسسات المشرفة على وضع المصطلحات، والسهر على متابعتها وتطبيقها؛ استشرت الفوضى.

ومازلنا نبحث عن شرائط الترجمان كما حدثها الجاحظ (٢٥٥هـ) في القرن الهجري الثالث بقوله: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول والمنقول اليها حتى يكون فيها سواء وغاية»[١٠].

اقرأ ما يكتبه بعض المثقفين عن مفهوم الحداثة فلن تزداد بها الا جهلا؛ اذ تجد وجهات النظر الغربية تتعدد، تلتقى، تتداخل وتتباين، وتجد المعجم يقدم لك مفاهيم عدة ويغرقك في الانساق والمناهج وأسماء الاعلام الغربية، واقرأ ما كتب حول الشعرية فانك ستدخل في هلوسات لا حد لها، وتتشعب أمامك المفاهيم.

الخلاصة:

إن الغاية من وضع المصطلح هي ضبط عمليات التفكير، ايجاد علامات تؤسس في مجموعها رؤية منهجية، بها ينتصر الانسان على الزمن، ويطور معرفته ويقترب من الحقائق المنشودة.

إن المثقف الذي يلهث وراء الآخرين، ويستلذ التيه في متاهات الآخرين، ولا يبدع نصوصا في مجالات المعرفة لا يمكن أن ينتج مصطلحات ولا يؤسس مصطلحاً من لا يؤسس معرفة، بالأمس تبلورت المصطلحات وتألقت، واليوم تعددت وجفت وتاهت.

الهوامش:

(١) الحيوان: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ط٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٥).

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١/ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ط.٤ (بيروت، د.ت).

(٣) كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية: ابو حاتم الرازي، تحقيق: حسين بن فيض الله الحمداني ١/ ٥٦ ـ ط٢ (مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٧).

(٤) كتاب البديع: عبد الله بن المعتز، تحقيق: كراتشوفسكي ٢ ـ ٣ ط٣ (بيروت، دار المسيرة ١٩٨٢).

(٥) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى: ٢٣ ـ ٢٤ ـ ط٣ (القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٨).

(٦) مقدمة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد وافي ٣/ ١٢٤٠ ط٣ (القاهرة دار النهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩).

(٧) نفسه ٣/ ١٢٥٥.

(٨) تصدير د. ابراهيم انيس لكتاب الزينة لابي حاتم الرازي ص١٢.

(٩) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي ٢٨٤ ـ ط٢ (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٩).

(١٠) الحيوان: الجاحظ ١/ ٧٦

مراجعات:

الإقليمية في النقد والدرس



بقلم:
أ.د.ابراهيم السامرائي
الاردن - مجمع اللغة العربية

قبل أن أبدأ كلامي في كتاب تونسي وسمه صاحبه الأستاذ البشير [المجدوب] بـ «الظرف بالعراق في العصر العباسي»[١] أود أن أعرض لتاريخ قديم يتصل بي فى تونس قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

كان ذلك في سنة ١٩٦٢م، وكنت فيها مدرسا في كلية الآداب والعلوم الانسانية، وإني لأذكر أني قضيت عاماً فلم يكن لي أن قابلت عميداً أو رأيت أحداً من العاملين في الدرس في الكلية، وكثير منهم كنت أعرفهم طلاباً فى فرنسا معي في سنوات العقد الخامس من هذا القرن.

غير أني عرفت الطيبين في تونس ومنهم الاستاذ الجليل حسن حسني عبد الوهاب - رحمه الله - والأستاذ عثمان الكعاك وكان مديراً لدار الكتب التونسية في سوق العطارين وغيرهم من أهل العلم الذين لم ينبزوا بالألقاب الكاذبة كالدكتور فلان.

وأذكر أني عرضت في تونس للشعراء التونسيين أصحاب الموزون المقفى ممن يضمهم كتاب زين العابدين السنوسي الذي وسمه بـ «تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[٢] لقد وجدت أن عامة هؤلاء الشعراء التونسيين «نظامين» وليسوا شعراء وفيهم من لا يتقن أدوات النظم في الحفاظ على الأوزان العروضية ذلك أن فى نظم بعضهم من عيوب الزحاف وعيوب القافية شيئاً، فكيف يكونون شعراء؟

وأذكر أن الكتاب بدأ بترجمة للشاعر «خزنه دار» مع نماذج من شعره، وقد قال فيه مؤلف الكتاب: إنه «أمير شعراء المغرب».

أقول: قلت فى إحدى مقالاتي: لقد عزّ على التونسيين أن يكون أحمد شوقى «أمير الشعراء» وكأنهم نطقوا بلسان المغاربة عامة، وأرادوا أن يعيدوا مقالة «الأنصار» للمهاجرين: «منّا أمير ومنكم أمير».

قلت: لو أن صاحبهم «خزنه دار» من فحولة الشعراء لكان لهم أن يشمروا في هذا، ولكان لنا نحن المشارقة أن نقول: إن لدولة الشعر أميرين. ولكننا لم نجد فليس «خزنه دار» إلا نظاماً يجتهد في توفير قافيته فتأتيه نافرة.

وقلت في مقالة أخرى: إن إخواننا التونسيين ومعهم المغاربة لا يعترفون أن لبلدان المشرق مسيرة ثقافية، وأن من المشارقة المتقدمين في الطب والهندسة وسائر العلوم، وأنهم أحرزوا على درجاتهم العلمية من أعلا جامعات الغرب. إنهم يرون الطبيب أو المهندس التونسي متقدماً عليهم ذلك أن كليهما قد أخذا العلم من معدنه وهو فرنسا. لقد عجبت ان يكون ذلك لهم، وهو مما يقرّه الفرنسيون أنفسهم، ولكن أصحابنا قد ذهبوا فيما ذهبوا إليه.

أقول: أعود إلى مقالاتي التي نشرتها في المجلة التونسية منذ أكثر من ثلاثين عاما وقد عرضت لسائر ما اشتمل عليه كتاب زين العابدين السنوسي. وكأن مقالاتي لم ترض المتأدبين التوانسة فتحدثوا مبتئسين أو غاضبين فى

مجالسهم الخاصة.

ثم انبرى أحدهم في سَوْرة غضبه فنشر مقالة افتقرت إلى بعض الخلق الكريم في مجلة الفكر التونسية، وصاحبها ممن أعرف وهو محمد مزالي في رقة حاشيته وأدبه، ولكنه أكره على أن ينشر مقالة تونسي هو محمد الهادي العامري، ولا أدري أحي هو اليوم أم راحل؟ فإن كان حياً فأنا أدعو له لا عليه وأقول: غفر الله له، وإن رحل عنا فإني أرجو له الرحمة.

قال هذا العامري: ماذا يريد هذا الوارش منا؟

ثم بدا له أن يذهب بعيداً عن العلم ولم يبق له إلا أن يقول لي: «لعنك الله».

قرأت ما كتب وأدركت أن دنيا العرب ضيقة، وان العربي محاصر في بلده فكيف يكون حاله في بلد آخر فنحسبه «شقيقا» وان البلدان العربية هي بلدان «شقيقة».

قلت: كيف لي ألا أومن بـ «الإقليمية» الضيقة؟

وأعود إلى شيء يتصل بتونس في تلك الحقبة التى عفا عليها الزمن، فأذكر أني كنت في كلية الآداب في اليوم الأول من السنة الدراسية، وكنت أتجول في الممرات وأقرأ ما في لوح الإعلانات وما كان معلقاً هنا وهناك فهالني أن رأيت أن كل ما كان مما عُلِّق باللغة الفرنسية وأنا في كلية آداب العربية في بلد عربيّ!!

وأذكر أني يوماً رأيت عميد الكلية اتفاقاً فكان له فيما قال: ما الذي وجدت في جولتك، فلم يكن مني إلا أن قلت قول أبي الطيب:

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان

وكأنه أدرك ولم يرض وابتأس، فقال: كيف كان ذلك؟ فقلت: إن كل ما في هذه الكلية باللغة الفرنسية، وكأني في إحدى حواضر فرنسا، وأضفت: أن مسجل الكلية يعلق ورقة فيها أسماء طلاب تونسيين يراد منهم استكمال ما ينقصهم، ولكنه كتب أسماء الطلاب بالحرف اللاتيني، ألم يكن في هذا تفريط؟

ثم آتي الى كتاب «البشير المجدوب» وهو «الظرف بالعراق في العصر العباسي» فأقول: كأن السيد المجدوب قد أعجب بكتابه فهو مزهوّ به وبما كان له من مصنفات أخرى هي خمسة كتب ذُكر أن شيئا حاز على جوائز الدولة التشجيعية. وله أن يُزهى، وللناشر أن يشير إلى هذا الزهو، فكلّ فتاة بأبيها معجبة.

أقول: إن المؤلف ومعه كثير من المتأدبين لم يستكملوا أدواتهم للوصول إلى الكتابة.

إن عنوان الكتاب هو الظرف بالعراق.. أقول: إن «الباء» في قوله: «بالعراق» كان ينبغي أن تكون «في» لأن هذه ألصق بالظرفية ولا سيما المكانية، وإن جاء في استعمال الباء إفادة الظرفية مع معاني الباء الكثيرة.

ولو أن المؤلف قال: «الظرف العراقي في العصر العباسي» لكان أحسن، ولست أذهب إلى هذا ابتغاء السجع والتناسب، إن «الظرف» وإن دلّ على جملة مفيدة من المواد هي الحسن والأدب والخلق القويم ومعرفة الشراب والمنادمة وأشتات أخرى ، هو في أصله «الوعاء».

أقول: وإلى هذا المعنى أشار أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فقال: «الظريف مشتق من الظرف وهو «الوعاء» ، كأنه جُعل الظريف وعاء للأدب ومكارم الأخلاق..»[٣].

أقول: بدأ المؤلف في «مقدمة» فقال: حول مفهوم الظرف فكان له ست صفحات، ثم تحول إلى «التمهيد» فذهب إلى: «أن الظرف الحجازي لا يعدو أن يكون منزعاً من منازع النفس يقسم بكثير من العفوية .. نظرة إلى الحياة وموقفاً منها أقرب إلى البساطة والسذاجة»[٤].

أقول: انتهى من الكلام على الظرف الحجازي بهذه النبذة اليسيرة، ثم تحوّل منها إلى الظرف العراقي، وكان ينبغي أن يبسط القول في العوامل التي اقتضت هذا التحول، كان ينبغي له أن يتوسع في التبدّل الحضاري مشيراً إلى أن بغداد في القرنين الثالث والرابع أصبحت حاضرة

الدنيا.. وكان طبيعيا أن يزخر المجتمع البغدادي بالرجال من أهل المعارف العالية ويكون من هذا أن عرفت بغداد أشتاتاً من غير العرب فكان لاجتماعهم وتعلمهم العربية وبراعتهم فيها واختلاطهم بالعرب ونقلهم ما كان لهم من عادات تتصل بالعلم والأدب والفن والسلوك إلى المجتمع البغدادي.

ثم أقول: لقد أباح المؤلف لنفسه أن يجعل مادته حديثة، وهي لن تكون كما أراد، ولم يستطع أن يحولها إلى هذا، لقد استعمل مصطلحات عصرنا كالديمقراطية والارستقراطية، والتحرر والانفتاح وغير هذا، وما كان له أن يجرد هذا الكلم من أصوله التاريخية القديمة ليرمي به في سياق آخر يختلف عن هذا كل الاختلاف.

وإني لأجتزئ بهذا القدر في عرضي لما ذهب فيه إخواننا في بلدان المغرب وهم يعرضون للتراث القديم، وألخص فأقول:

ليس لنا أن نستعمل العربية المعاصرة ونحن في حيز موضوع قديم كهذا الذي مضى فيه السيد المجدوب مع إقراري ان هذه العربية الجديدة صحيحة مع خروجها على شيء من نحو العربية وأبنيتها، وهي تصلح لما هو حديث كالموضوعات الجديدة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها. إن هذه اللغة الجديدة التي شاعت في الصحف أصولها في الأعم الأغلب أجنبية فرنسية ثم انكليزية في دلالة الكلمة وفي الاستعمالات والمجازات.

أقول: ليس لخطيب الجمعة مثلا أن يقول في خطبته التى كان ينبغي أن تخلص إلى لغة إسلامية فيها قرآن وحديث وقول آخر مأثور: «إن الاكثرية الساحقة من المسلمين».

إن «الأكثرية الساحقة» عبارة نقلها التراجمة العرب، وكثير منهم نصارى، إلى العربية وهى فرنسية (La Majorite' e'crasnte) وليس للمؤلف وغيره أن يستعمل الفعل «كرَّس» بمعنى «خصّص» لأن التكريس في العربية شيء يقرب من «التكديس» أي وضع الشيء على الشيء، ومنه جاءت «الكرّاسة».

إن «التكريس» في الاستعمال الجديد من العربية النصرانية وهي منقولة من السريانية و«التكريس» شيء من رسوم النصارى في الكنيسة. فهل يجوز للسيد المجدوب أو غيره أن يستعمل هذا في مادة تاريخية تتصل بالعصر العباسي.

وليس للمؤلف أن يجترئ فينعت قاضي القضاة في عصر المأمون وهو يحيى بن أكثم بـ «اللوّاط».

أقول: إن القدماء تحرَّجوا في هذا ولم ينعتوه وإن شاع في أخباره أنه كان يستلطف الصبيان[٥]، ولكنه خبر يحتمل الصدق والكذب.

أقول: هل له أن يجتريء في عصرنا فيزعم أن الوزير فلاناً والرئيس فلاناً من أهل الرشوة وأنهم يرتكبون الحرام؟ على رسلك أخي الأستاذ البشير المجدوب.

الهوامش:

(١) الظرف بالعراق في العصر العباسي من منشورات مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر في تونس.

(٢) تاريخ الأدب التونسي في القرن الرابع عشر من منشورات مكتبة المنار في تونس.

(٣) لم يدرك المؤلف «محمد بن يزيد» وفاته أنه «المبرد» صاحب الكامل، وقوله هذا في كتابه الكامل، وكتاب الفاضل.

(٤) أقول: كان على المؤلف، وهو يدخل فى هذا السياق الذى يضرب في الأدب القديم بعرق من الأصالة أن يستعمل لغة مناسبة لما هو فيه، ولا يستعمل ما هو جار في لغة صحف عصرنا، فليس من المناسب أن يستعمل «العفوية» و«البساطة» و«السذاجة» كل هذا جديد ولا أقول خطأ، ولكن لكل مقام مقال.

إن «العفوية» أريد بها Naivite' و«البساطة» Sim-plieite' وهذه جديدة لأن «البسيط» هو «المبسوط» أي الواسع، و«السذاجة» مصدر جديد من «ساذج» وهي كلمة معرّبة.

(٥) لقد قيل إن أحدهم قال:

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
وقاضي قضاة المسلمين يلوطُ

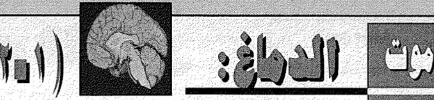
أيام العمر

حسين منصور
- القطيف -

أيام العمر المفقودة
من عمري ليست معدودة
أيام ما كانت فيها
دنياي لعيني مشهودة
وليالي الأشواق الحرّى
والظلمة حولي ممدودة
لم أشهد فيها أحلاماً
طافت بجفوني المكدودة
أيام تمضي في همٍّ
وتمرّ الليلة مسهودة
والدنيا حولي سرداب
سقف وجوانب مسدودة
أحزاني فيها غابات
أفراحي فيها موءودة
والعمر يضيع بلا ثمن
والروح بقيد مصفودة
لم تشهد إلا حرماناً
أو تملك إلا تنهيدة
صوتي لا يخرج من صدري
أو يسمع غيري ترديده
حسرات تبعثها عندي
آمال كانت منشودة
وأحاول منها إفلاتاً
فالنسر يقاوم تقييده
ويطير إلى رحب الدنيا
ويواصل فيها تصعيده
ماض والليل يعانده
والدهر تعمّد تجعيده
بيديه غضّن جبهته
بأظافر عمق تخديده
لكن مازال بداخله
خفاق يرسل تغريده
والنسر يحلق منطلقاً
ماض بخطاه المشدودة
لا الدهر الجافي يرعبه
أو يخشى الليل وتهديده
حتى لو أقصى أحباباً
كانوا في العمر كأنشوده
مازالوا كل أمانيه
بل نور القلب وتجديده
وله من ذكراهم أمل
وشموس فيه مولوده
لا الفرقة تطفيء جذوتها
أو تقصي الدنيا الموعودة

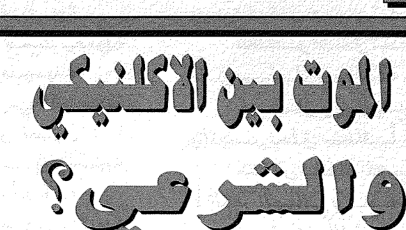
* * *

سيعود النسر لدنياه
وينال مناه المقصوده
وستزهر أشواق ظمأى
كانت كالنار الموقوده
وستشرق أيام أحلى
وتهل ليال محموده
والعمر الفاني تحييه
همم في الحاضر موجوده
كالفكر المبدع إذ يفنى
في الدنيا يكتب تخليده




بقلم:
د. **محمد على البار**
- مستشار الطب الاسلامي
- عضو مجمع الفقه الإسلامي
- أخصائى الامراض الباطنة
- جدة -



في أيامنا هذه كثر الحديث عن تعريف الموت، ذلك لأن أجهزة ومعدات العناية المركزة الموصلة بجسم مريض الغيبوبة المستديمة قد أحدثت وضعاً جديداً لهولاء المرضى جعلتهم في حالة بين حالتين كما يقولون بين (الحياة والموت) فلا هو حي ينتفع بحياته ولا هو ميت.

وهنا ، تدور مجموعة من علامات الاستفهام حول حقيقة الموت.

هل هو موت الدماغ، أم موت القلب، أم موتهما معاً، أم هو شيء آخر..؟.

لكل هذا نسعد بنشر هذه الدراسة القيمة المقدمة من قبل الاستاذ الدكتور محمد على البار، وهو الى جانب تخصصه العلمي في الطب فهو ايضاً عضو في مجمع الفقه الإسلامي في جدة، ومستشار الطب الاسلامي وله مشاركاته العلمية الجادة في مجال الدراسات الفقهية المتعلقة بجانب الطب.

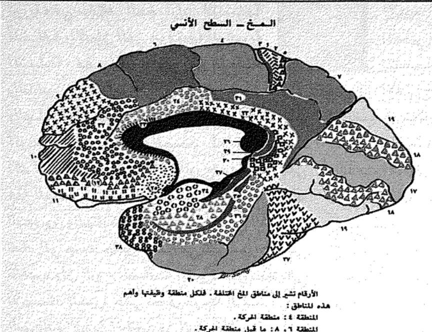
- المنهل -

لكي نبحث هذا الموضوع لابد أولا من تعريف الموت عند الفقهاء والاطباء ومعرفة علاماته عند كل منهما، ثم توضيح تلك الفروق بينهما.

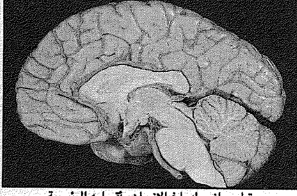
تعريف الموت (بصورة عامة):

إن تعريف الموت مثل تعريف الحياة أمر تكتنفه كثير من الصعوبات، رغم أن العلامات الفارقة بين الموت والحياة، وبين الكائن الحي والجماد أمر يدركه الانسان بنظرته كما يدركه بمعارفه، فالكائن الحي يتنفس ويتغذى وينمو ويتكاثر ويتحرك.. ثم تختلف بعد ذلك طرق التنفس والغذاء والنمو والتكاثر والحركة بأشكالها المتعددة المتباينة التي لا تكاد تعد ولا تحصى. وأصعب تلك الكائنات

تحديداً هي الفيروسات فهي كالجماد لا تتحرك ولا تنمو ولا تتنفس ولا تتغذى خارج الكائنات الحية بل تتبلور مثل بعض الجمادات، فإذا ما دخلت الى جسم الكائن الحي تحكمت في سر السرّ فيه (جينوم الخلية الموجود في الدنا DNA) ، وجعلته عبداً لمشيئتها، لا ينقسم الا حسب أوامرها، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يهب الأجسام الحية القدرة على مقاومة هذا الغزو الفيروسي لأبادت الفيروسات جميع الكائنات الحية ابتداء من البكتريا وانتهاء بالانسان.. ومع هذا كله فالفيروس داخل الخلايا الحية لا يتنفس ولا يتغذى ولا يتحرك ولا ينمو بل كل ما في الأمر أنه يتحكم في الخلايا فيجعلها تنقسم لتصبح فيروسات جديدة من جنسه بدلا من أن تنقسم الى خلاياها المعتادة.



الأرقام تشير إلى مناطق المخ المختلفة . فلكل منطقة وظيفتها وأهم هذه المناطق :
المنطقة ٤ : منطقة الحركة.
المنطقة ٦، ٨ : ما قبل منطقة الحركة.
المنطقة ١، ٢، ٣ : منطقة الإحساس.
المنطقة ١٧، ١٨، ١٩ : منطقة الإبصار.



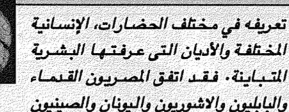
قطع جانبي لدماغ الانسان بأقسامه الرئيسية

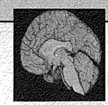
وفي جسم الكائن الحي المتعدد الخلايا مثل الانسان أو الحيوان أو النبات تموت ملايين الملايين من الخلايا في كل لحظة وأن، ويخلق الله بدلا عنها ملايين مثلها. ويبقى الكائن الحي على قيد الحياة ما دامت عملية البدء والاعادة مستمرة. قال تعالى {إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده} (يونس/٤) وقال تعالى {قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده. قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنّي توفكون} (يونس/٣٤).

ولقد صدق الامام الغزالي حين قال: نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة معرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها. ولم يؤذن لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول (الروح من أمر ربي)، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف سرّ الروح وإن اطلع عليه، وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت»[١].

الموت عند المسلمين (التعريف الشرعي للموت):

إن تعريف الموت عند المسلمين لا يختلف عن





تعريفه في مختلف الحضارات، الإنسانية المختلفة والأديان التى عرفتها البشرية المتباينة. فقد اتفق المصريون القدماء والبابليون والاشوريون واليونان والصينيون والهنادكة واليهود والنصارى والمسلمون على أن الموت هو مفارقة الروح الجسد. ثم اختلفوا بعد ذلك اختلافات كثيرة في هذه الروح؟ وهل تعود الى هذا الجسد أم تعود الى جسد آخر حيث يعتقد البوذيون والهنادكة والشنتو أن الروح الشريرة تعاد الى جسد حقير، وتظل في تلك الدورات حتى تتطهر، وأن الروح الصالحة الخيرة تظل تنتقل في الأجساد الخيّرة حتى تصل مرحلة الزفانا، وهي السعادة الأبدية المطلقة في الروح المتصلة بالأزل والأبد.

والمفهوم الاسلامي للموت هو انتقال الروح من الجسد الى ما أعدَّ لها من نعيم أو عذاب، والروح مخلوقة مربوبة، خلقها الله تعالى، ثم هي خالدة، والمقصود بموتها مفارقتها الجسد.

هذا هو مفهوم جمهور علماء المسلمين للموت وإن خالف فيه من خالف من المعتزلة وغيرهم. قال الامام ابن القيم في كتابه الروح[٢]: «والصواب أن يقال أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار».

وقال الامام الغزالي في الاحياء: «إن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد، إما مُعذَّبة وإما مُنَعَّمة. ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عنه بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء الآت للروح تستعملها حتى إنها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين. وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب هنا عبارة عن الروح. والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة.. والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها، وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها. وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح. ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات، وذلك لا يموت أي لا ينعدم - ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له»[٣].

قال الامام ابن تيميه: «قد استفاضت الأحاديث عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأن الأرواح تُقْبَضُ وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ. ويقال لها: أخرجي أيتها الروح الطيبة»[٤].

ويقول الامام الطحاوي في عقيدته: ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين» قال الشارح: «والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها»[٥].

ويقول فضيلة الشيخ بكر أبو زيد رئيس مجمع الفقه الاسلامي في بحثه القيم: «أجهزة الانعاش وحقيقة الوفاة بين الفقهاء والاطباء»: «إن حقيقة الوفاة هي مفارقة الروح للبدن. وأن حقيقة المفارقة خلوص الأعضاء كلها عن الروح بحيث لا يبقى جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية»[٦].

ويقول الامام الغزالي في «سكرات الموت وشدته» من كتاب «الاحياء»: إن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر الى الروح، فبقدر ما يسرى الى الروح يتألم.. والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن الا وقد حلَّ به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده انما يجرى في جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذي

أصابته الشوكة.. فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه»[٧].

إخراج الروح:

وقد وكل الله سبحانه وتعالى ملائكة يقومون باخراج الروح من البدن قال تعالى: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم ثم الى ربكم ترجعون} (السجدة/١١) وملك الموت الموكل بأرواح الأدميين هو عزرائيل عليه السلام ويساعده في ذلك عدد غير معروف من الملائكة. قال تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا فيم كنتم. قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا} (النساء/٩٧). وقال تعالى {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم} (الأنعام/٩٣). ولو رأينا ذلك لرأينا أمراً مهولا مرعبا.. وعلى العكس من ذلك تقوم الملائكة بتبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات وتسلم عليهم وتنزع أرواحهم نزعا رفيقا. قال تعالى: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم} (النمل/٣٢). ولا ينفي ذلك كرب السياق وآلام النزع فقد تألم خير الخلق وأكرمهم على الله سبحانه تعالى محمد {صلى الله عليه وسلم} وكرب في نزعه حتى قالت فاطمه رضي الله عنها «واكرب ابتاه» فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم[٨]، ولكن ما يخفف عن المؤمن آلام النزع وكرب السياق ما يراه من البشائر عند قدوم الملائكة. قال تعالى {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} (الفجر/ ٢٧ ـ ٣٠) قال المفسرون يقال لها ذلك عند النزع وعند البعث[٩]، وقال ابن القيم: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الموت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبه كانت في الجسد الطيب. أخرجي حميدة وأبشري بروْح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج[١٠] الحديث.

أما الكفرة والعصاة المردة فانه ينكل بهم، ويرون سوء مصيرهم عند الموت، وتضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.. قال تعالى: {ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجْزَوْنَ عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون} (الانعام/ ٩٣) وقال تعالى: {ولو ترى إذ يتوفي الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم} (الانفال/ ٥٠). وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: «وإذا كان الرجل السوء قال (أي الملك) أخرجي أيتها النفس الخبيثه كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغسّاق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج»[١١].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} توضح كيفية اخراج الملائكة لروح المؤمن وروح الكافر. وما في الأول من تيسير حتى تسيل مثل الماء من فم السقاء، وما في الثاني من تنكيل حتى تخرج كما يخرج السَّفُّود المبلل من كومة من الصوف كما جاء في حديث البراء بن عازب وغيره الذي أخرجه ابن منده وذكره ابن القيم بطوله في كتاب الروح[١٢]. وقد استوفى ابن القيم في الروح ذكر الكثير من هذه الاحاديث (ص ٤٦ ـ ٥٠).

ويأتي الاسناد في اخراج الروح في بعض الآيات الى الله سبحانه وتعالى مباشرة حيث الفاعل على الحقيقة هو الله ولا أحد سواه. قال تعالى {الله يتوفى الأنفس حين موتها} (الزمر/

٤٢)٠ والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لكل شيء في هذا الكون صغيره وكبيره٠ والملك مأمور يفعل ما أمره به ربه سبحانه وتعالى٠

الروح وتأثيرها في البدن:

اتفق جمهور علماء أهل السنة على أن الروح هي المحركة للبدن وأنها هي المتصرفة فيه والموت هو مفارقة الروح للجسد وانقطاع تصرفها عنه بخروج الجسد عن طاعتها فإن الاعضاء آلات للروح كما يقول الامام الغزالي٠ والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء عن فعل الروح٠ والروح هي المدركة للعلوم وآلام الغموم ولذّات الافراح، كما يقول الغزالي في الاحياء (سبق أن نقلنا قوله كاملا)٠

والروح التى نفخها الله في آدم عليه السلام هي أمر علوي سماوي لا تدركه الأبصار ولم ينفخ الله الروح في آدم الا بعد أن سواه جسدا من الطين٠ {فإذا سوَّيْتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين}٠

الروح في الجنين:

وكذلك الروح في الجنين لا تنفخ فيه الا بعد كمال تسوية الجسد٠ قال تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين٠ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه} (السجدة/ ٦ ـ ٨)٠ وقال تعالى: {ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة٠ فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين} (المؤمنون/ ١٢ ـ ١٤)٠

قال المفسرون (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح٠ وذلك لا يكون الا بعد المرور بالتارات السبع تكون ترابا ثم تكون نطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما ثم تكون لحما يكسو



العظام ثم ينشؤها الله خلقا آخر فينفخ فيها الروح[١٣]٠

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في غير ما آية من القرآن الكريم هذه المراحل والاطوار التي يمر بها الجنين قبل أن تنفخ فيه الروح التي بها يصير الجسد إنسانا٠٠ قال تعالى {ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا} (نوح/ ١٣، ١٤) ثم فصّل هذه الاطوار فقال عز من قائل: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نُطْفَة ثم من عَلَقة ثم من مُضْغة مُخَلَّقة وغير مُخلَّقة لنُبيِّن لكم٠ ونُقرّ في الأرحام ما نشاء الى أجل مُسَمَّى ثم نُخْرِجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم٠ ومنكم من يتوفى ومنكم من يُرَدُّ الى أرذل العمر لكي لا يَعْلَم من بعد علم شيئا} (الحج/٥)٠

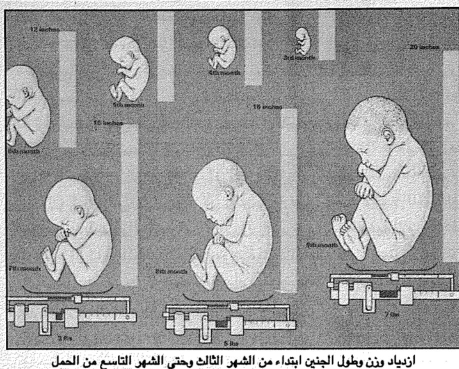
حديث نفخ الروح:

وتضافرت الأحاديث الصحيحة على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد مرور الجنين بمراحل متتالية ابتداء من النطفة فالعلقة فالمضغة ثم ينفخ فيه الروح٠ أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أخبرني الصادق المصدوق أن أحدكم يُجمع خَلْقُه في بطن أمه أربعين يوما٠ ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك٠ ثم يُبْعث إليه ملكُ بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ثم يُنفخ فيه الروح٠

وهناك اختلاف طفيف جدا في رواية مسلم عن رواية البخاري بل هناك اختلاف طفيف يسير في روايات البخاري نفسه (كتاب الانبياء وكتاب القدر وكتاب التوحيد وكتاب بدء الخلق) وفي الأربعين النووية «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح»٠

وجمهور العلماء يجمعون على أن الروح لا تنفخ

الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ بدء الحمل (أى تكون الزيجوت أو اللقيحة أو النطفة الأمشاج).. ويقولون إن حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم لا يعارض ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود لأنه لا ذكر لنفخ الروح في حديث حذيفة بن اسيد ونصه: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال يارب أذكر أم انثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يارب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ما أُمرَ ولا ينقص!.



ازدياد وزن وطول الجنين ابتداء من الشهر الثالث وحتي الشهر التاسع من الحمل

وقد قام العلماء الأجلاء من أمثال ابن القيم والنووي وابن حجر العسقلاني وغيرهم بمحاولة الجمع بين الحديثين وقد استعرضت ذلك كله في كتابي «خلق الانسان بين الطب والقرآن» وكتاب «الجنين المشوه: أسبابه وأحكامه» فليرجع اليهما من أراد التفاصيل.

تَكُوّن الدماغ وعمله دليل على نفخ الروح:

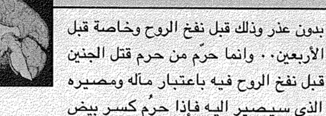
والخلاصة أن الفقهاء مجمعون على أن الجنين لابد أن يمر بمراحل متعددة قبل أن تنفخ فيه الروح وهي التي بها الارادة والفكر وبها يصير الانسان إنسانا.

قال الامام ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن: «فإن قيل الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا؟ قيل: كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم تكن حركة نموه واغتذائه بالاراده فلما نفخت (روحه) انضمت حركة حسيته وارادته الى حركة نموه واغتذائه»[١٤].

وقال الامام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وهو يتحدث عن أول الأعضاء تكونا في الجنين: «وقيل الكبد لأن منه النمو والاغتذاء الذى هو قوام البدن، رجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي لأن النمو هو المطلوب أولا: ولا حاجة له حينئذ إلى حسّ ولا حركة ارادية لانه حينئذ بمنزلة النبات. وانما يكون له قوة الحسِّ والارادة عند تعلق النفس به»[١٥].

والملفت للنظر حقا أن يجعل هذان الامامان العظيمان نفخ الروح مرتبطا بالاحساس والارادة أي بالجهاز العصبي بل بالدماغ. فإذا لم يكن هناك حسٌ ولا إرادة فلا روح هناك، وإن كانت بعض الاعضاء بل كل الأعضاء تعمل.

ولذا فإن بعض الفقهاء اعتبر الجنين كالجماد أو ما هو أشبه بالجماد وأباح بعضهم الاجهاض حتى





بدون عذر وذلك قبل نفخ الروح وخاصة قبل الأربعين.. وانما حرّم من حرم قتل الجنين قبل نفخ الروح فيه باعتبار مآله ومصيره الذي سيصير اليه فإذا حرُم كسر بيض الحرم باعتبار مآله فمن باب أولى يحرم قتل الجنين باعتبار مآله وما سيصير اليه.

قال الامام الغزالي في الاحياء: وليس هذا (أي العزل) كالاجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل والوجود له مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة. وافساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة مخلقة كانت الجناية أفحش. وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة إزدادت الجناية تفاحشا. ومنتهى التفاحش في الجناية هي بعد الانفصال حيّا.

وقال الشيخ الجليل يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام في الاسلام: «واتفق الفقهاء على أن اسقاطه بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة لا يحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهر الحياة».

الجنين قبل نفخ الروح فيه ليست فيه حياة إنسانية:

وأما قبل نفخ الروح ففيه الخلاف حيث ذهب بعض الفقهاء الى السماح بالاجهاض وخاصة قبل الأربعين باعتباره كالجماد أو أشبه بالجماد.. وأما جمهور الفقهاء فلم يسمحوا بالإجهاض باعتبار مآله ومصيره وإن لم ينفخ فيه الروح. ومع ذلك سمحوا بالاجهاض متى كان الحمل يشكل خطرا على حياة الحامل أو على صحتها أو كان الجنين مشوها تشويها شديدا. وفي هذا الصدد أباح المجمع الفقهي لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة في دورته الثانية عشرة (١٥ ـ ٢٢ رجب ١٤١٠هـ/ ١٠ ـ ١٧ فبراير ١٩٩٠م) إسقاط الجنين المشوه قبل نفخ الروح (١٢٠ يوما منذ التلقيح)، إذا ثبت وتأكد بتقرير لجنة طبية من الأطباء المختصين الثقات وبناء على الفحوص والوسائل المختبرية أن الجنين مشوه تشويها خطيرا غير قابل للعلاج، وأنه إذا بقي وولد في موعده ستكون حياته سيئة وآلاما عليه وعلى أهله فعندئذ يجوز اسقاطه بناء على طلب الوالدين».

والمجمع الفقهي الموقر لم يبح إسقاطه الا لأنه لم تنفخ فيه الروح (الانسانية) بعد ولا حسٌ ولا إرادة له.. وحتى من اعترض من الفقهاء على ذلك قبل الاسقاط قبل الأربعين أخذا بالأحوط وبحديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم والذي ذكرناه قريبا.. فهولاء جميعا أباحوا الاجهاض لأن الجنين لم تنفخ فيه الروح بعد. وإن كان الجنين قد مرّ بمراحل متعددة من الخلق وتعدى مرحلة النطفة الى العلقة فالمضغة فالعظام فاللحم يكسو العظام.. وتصورت كثير من أعضائه وهي كلها حيّه ولكن لا يحكم له بالحياة الانسانية بذلك الا بعد نفخ الروح.. ولا يحرم قتله (بدون سبب) الا باعتبار مآله ومصيره لا باعتبار انه حي حياة انسانية.

حكم المولود إذا لم يستهل:

بل إن الفقهاء لم يحكموا للجنين بعد ولادته بالحياة الا إذا استهل صارخا وعلمت فيه آثار الحياة واستدلوا على ذلك بقوله {صلى الله عليه وسلم} «إذا استهل المولود ورث»[١٦] وقول جابر بن عبد الله والمسور ابن مخرمه رضي الله عنهما: «قضى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لا يرث الصبي حتى يستهل»[١٧].

فإذا كان المولود حديثا وقد نفخت فيه الروح منذ أشهر عديدة لا يحكم له بالحياة الا عندما يستهل صارخا أو يستدل على حياته بأمارات موثقة عندهم فإنه من العجيب جدا أن لا يحكم لمن مات دماغه وبالتالي فقد الاحساس

والحركه والارادة بالموت.

جاء في الموسوعة الفقهية[١٨]: «وتعرف حياته (أي المولود) بالاستهلال صارخا واختلف الفقهاء فيما سوى الاستهلال. فقالت طائفة: لا يرث حتى يستهل صارخا. وهو المشهور عن الامام أحمد[١٩]. وروي عن كثير من الصحابة والتابعين مستدلين بأن مفهوم قول النبي {صلى الله عليه وسلم} (اذا استهل المولود ورث) أنه لا يرث بغير الاستهلال[٢٠] ولأن الاستهلال لا يكون الا من حي. والحركة تكون من غير حي»[٢١].

«وروى عن أحمد انه قال: يرث السقط ويورث إذا استهل فقيل: ما استهلاله؟ قال: إذا صاح أو عطس أو بكى. فعلى هذا كل صوت يوجد منه تعلم به حياته فهو استهلال، وهذا قول الزهري والقاسم بن محمد لأنه صوت علمت به حياته فأشبه الصراخ، وعن احمد رواية ثالثة بصوت أو حركة أو رضاع أو غيره ورِّث وثبت له أحكام المستهل لأنه حي. وبهذا قال الثورى والاوزاعي والشافعى وأبو حنيفة وأصحابه»[٢٢].

الامام مالك لا يعتبر الجنين حيا ما لم يستهل ولو تنفس أو تحرك أو بال - ويقول فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي: يرى الامام مالك بن أنس رضي الله عنه أن المولود إذا لم يصرخ لا يعتبر حيا ولو تنفَّس أو بال أو تحرك. ومعنى هذا أنه لا يحكم له بالحياة بمجرد التنفس حتى يقرن بها البكاء. وقال ابن الماجشون: إن العطاس يكون من الريح والبول من استرخاء المواسك (أي العضلات العاصرة) ، فما لم يكن الفعل اراديا استجابة لتنظيم الدماغ لا يعتبر امارة حياة. (الزرقاني على الخليل ج٢/١١٢). انتهى كلام فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي. ويقول فضيلته أيضا في بحثه المقدم الى الدورة الثالثة لمجمع الفقه الاسلامي مفصلا وموضحا أقوال المذهب المالكي:

«يقول خليل بن اسحاق (ولا سقط ما لم يستهل صارخا، ولو تحرك أو بال أو رضع) إن هذه الفقرة تجعل مقياس الحياة الصوت. وقد فصَّل اللخمي ما تكون به الحياة فقال: اختلف في الحركة والرضاع والعطاس فقال مالك: لا يكون له بذلك حكم الحياة. قال ابن حبيب: وإن أقام يوما يتنفس ويفتح عينيه ويتحرك حتى يسمع له صوت وإن كان خفيا. قال اسماعيل: وحركته كحركته في البطن لا يحكم له فيها بحياة. قال عبد الوهاب: وقد يتحرك المقتول. وعارض هذا المازري وقال: لا معنى لانكار دلالة الرضاع على الحياة لأنا نعلم يقينا أنه محال بالعادة أن يرضع الميت. وليس الرضاع من الأفعال التى تكون بين الطبيعة والاختيارية، كما قال ابن الماجشون أن العطاس يكون من الريح، والبول من استرخاء المواسك (العضلات العاصرة)، لأن الرضاع لا يكون الا من القصد اليه. والتشكك في دلالته على الحياة يطرق الى هدم قواعد ضرورية. والصواب ما قاله ابن وهب وغيره: انه كالاستهلال بالصراخ»[٢٣].

ما لم تكن حياة مستقرة فلا حياة:

ويقول الدكتور محمد سليمان الأشقر في بحثه نهاية الحياة المقدم الى ندوة الحياة الانسانية في الكويت[٢٤]: «ولابد للحكم بموته من أن تنعدم كل أمارات الحياة. ويذكرون ذلك في استهلال المولود ليرث، قالوا: لابد أن ينفصل حيا حياة مستقرة، فلو مات بعد انفصاله حيا حياة مستقرة فنصيبه لورثته. ويعلم استقرار حياته عند الحنابلة والشافعية إذا استهل صارخا أو عطس أو تثاءب، أو مص الثدي، أو تنفس وطال زمن تنفسه، أو وجد منه ما يدل على حياته، كحركة طويلة ونحوها فلو لم تكن حياة مستقرة بل كالحركة اليسيرة والاختلاج والتنفس اليسير لم يرث، لانه لا يعلم بذلك استقرار حياته، لاحتمال كونها كحركة المذبوح، أو كما يقع للانتشار من ضيق أو استواء الملتوي (العذب الفائض في

الفرائض) ج ٣/٩١) انتهى.

تعريف الحياة المستقرة:

ويعرف بدر الدين الزركشي في كتابه «المنثور من القواعد» الحياة المستقرة بقوله: «الحياة المستقرة هي أن تكون الروح في الجسد ومعها الحركة الاختيارية، دون الاضطرارية كما لو كان إنسان، وأخرج الجاني أو حيوان مفترس حشوته وأبانها لا يجب القصاص في هذه الحالة».

«وأما حياة عيش المذبوح فهي التي لا يبقى معها ابصار ولا نطق ولا حركة اختيارية»[٢٥]، وقال الرملي في نهاية المحتاج: «وإن أنهاه (أي المجني عليه) رجل الى حركة مذبوح بأن لم يبق فيه ابصار ونطق وحركة اختيار، وهي المستقرة التي يبقى معها الادراك ويقطع بموته بعد يوم أو أيام، ثم جنى عليه الآخر، فالأول قاتل لأنه صيّره إلى حالة الموت، ومن ثمَّ أعطي حكم الأموات مطلقا ويعزّر الثاني لهتكه حرمة ميّت»[٢٦].

ويعلق على تلك العبارة الدكتور محمد نعيم ياسين فيقول: «وهذا الذي ذهب إليه الفقهاء في هذه المسألة يشير إلى أنهم اعتبروا فقدان الاحساس والحركة الاختيارية علامات تورث غلبة الظن بوصول المجني عليه الى مرحلة الموت، وأن الحركة الاضطرارية الصادرة من المجنى عليه لا تعطي غلبة الظن ببقاء الروح في الجسد إذا كانت وحدها، ولم تقترن بأي نوع من الاحساس أو الحركة الاختيارية والا لجعلوا القصاص من نصيب الجاني الثاني، إذ يكون فعله القاتل واردا على جسد فيه روح، ولعلهم في هذا تأثروا بما قرره علماء الطائفة الاولى أمثال ابن القيم والغزالي من أن الروح ترحل عن جسد صاحبها في اللحظة التي يصبح فيها الجسد عاجزاً عن الانفعال للروح بأي نوع من الاحساس والاختيار»[٢٧].

حركة المذبوح:

وقد أجمع الفقهاء على عدم اعتبار حركة المذبوح بل لو أن حيوانا مفترسا أو شخصا قام بالاعتداء على آخر وأفقده النطق والابصار والاحساس والادراك ولم يبق منه الا ما يسمى حركة المذبوح ثم جاء آخر فاجهز عليه فإن القاتل هو الأول وانما يعزر الثاني لانتهاكه حرمة الميت.. فمهما كان قلبه ينبض وهو يتنفس ويتحرك الا أن هذه الحركات اضطرارية فلا يحكم له فيها بحياة.

بل وصل بعض الفقهاء الى ما هو أعجب وأغرب من ذلك. فقد زعم ابن القاسم أن عمر رضي الله عنه لما طُعنَ كان معدودا في الأموات وأنه لو مات له مورث لما ورثه، وانه لو قام رجل بالتذفيف على عمر فقتله لا يعتبر الثاني قاتلا لأن القاتل هو الأول وهو أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبه. وقد استدلوا على موت عمر بزعمهم ذاك أن الطبيب سقى عمر لبنا فخرج اللبن من الجرح ومعنى ذلك أن الطعنة كانت نافذة حتى وصلت الى الأمعاء أو المعدة، ومثل تلك الحالة لا تعيش في ذلك الزمان ورغم أن عمر كان يتكلم ويعهد وبقى ثلاثة أيام على ذلك الا أن ابن القاسم اعتبره فى عداد الاموات[٢٨] !! ولم يعتبر كلامه وإدراكه ومنطقه دليلا على الحياة باعتبار ما سيؤول اليه، وهو الموت. والحق أن ما ذهب إليه ابن القاسم كان شططا ولم يقبله جمهور الفقهاء بل اعتبروا أن عمر كان لا يزال حيا عندما كان يعهد ويتكلم ويدرك الأمور، ولذا أمضوا وصيته[٢٩].

مما سبق يتبين الآتي بالنسبة الى الروح:

(١) أن دخول الروح الى الجنين لا يتم الا بعد مرور فترة زمنية تكون أعضاء الجنين قد تكونت والقلب ينبض (منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) والدورة الدموية موجودة ومع هذا فقد

أجمع الفقهاء وعلماء الاسلام أن الجنين قبل نفخ الروح بمثابة الجسد ولا يحكم له فيها بالحياة الانسانية التي بها الاحساس والادراك (وهي التى لا تظهر الا بعد تكون الدماغ واتصال المناطق المخية العليا بالمناطق السفلى. وذلك لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ التلقيح كما اثبته الدكتور كورين في بحثه الرائد الذي ألقاه في مؤتمر أخلاقيات زرع الاعضاء المنعقد في اوتوا بكندا في ٢٠ ـ ٢٤ أغسطس ١٩٨٩م حيث ذكر أن الاتصالات والتشابكات بين المناطق المخية العليا والمناطق الاسفل منها لا تبدأ الا بعد مرور الجنين بفترة مائة وعشرين يوما).

وحتى لو قلنا بفترة الأربعين التي وردت في حديث حذيفة بن أسيد، وفي هذه الفترة يبدأ جذع الدماغ بالعمل، واعتبرنا ذلك علامة على بداية الحياة ونفخ الروح فإن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئا.. وهي أن الجنين يبقى فترة أربعين يوما لا يعتبر فيه حيّا حياة انسانية.

اعجاز أحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم}:

وهذه الاكتشافات الحديثة تكون اعجازا لاحاديث النبي {صلى الله عليه وسلم} في هذا الباب. ففي حديث حذيفة ابن أسيد الذي رواه مسلم يؤمر الملك بتشكيل كافة الاعضاء بما فيها الاعضاء التناسلية بعد الأربعين الاولى من عمر الجنين. وفي هذه الفترة المعروفة لدى علماء الأجنة بفترة تكوين أو تخليق الأعضاء Organogene-sis.

يبدأ جذع الدماغ في التكون ويبدأ أول نشاطه في اليوم الثالث والأربعين وقد أمكن تسجيل نشاطه الكهربائي. أما المناطق المخية العليا فتظل بدون نشاط وهي مثل اللمبة (المصباح) بدون كهرباء ولا يتم توصيل الكهرباء اليها الا بعد مرور مائة وعشرين يوما وآنذاك تعمل. وبما أن المخ هو مركز الأحاسيس والارادة والفكر والروية وهو ما اتفق عليه علماء الاسلام باعطائه صفة الروح، لأنها هي المدرك وهي المحاسَبْ والمعاقَبْ والمعاتَبْ والمطالَبْ.. فإن وجود هذه العلامة الفارقة العجيبة، وتطابق الطب الحديث مع ما جاء في الاحاديث الصحيحة يجعل لهذه الأحاديث إعجازا وفهما عجيبا.

(٢) تضافرت النصوص القرآنية والحديثيه في أن آدم عليه السلام لم تنفخ فيه الروح الا بعد أن اكتمل بناء جسده من الطين. وإن ابليس اللعين كان يتعجب من خلقه ويصوّت فيه قبل نفخ الروح ويقول «لأمر ما خلقت!!».

(٣) أن أهم وظائف الروح هي العلم والادراك. يقول الامام الغزالي: «الروح هي المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح» والروح تؤثر في البدن الانساني وتتحكم فيه. والأعضاء آلات للبدن فإذا استعصت الأعضاء على عمل الروح فإن الروح تغادر البدن. فكل الاعمال الاختيارية والادراك والاحساس من عمل الروح والأبدان آلات للروح.

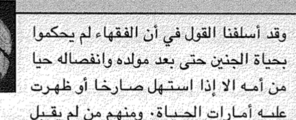
ولكن هذا لا يعني أن خروج الروح يستتبع فقدان كل حركة في الجسم وموت كل خلية فيه. فقد اتفق الفقهاء كما أسلفنا أن الجنين قبل نفخ الروح فيه كانت فيه حركة النمو والاغتذاء. بل إن القلب ينبض ويعمل منذ اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح وتبدأ الدورة الدموية عملها منذ تلك اللحظة ومع هذا لم يقل أحد من علماء الاسلام أن الروح قد نفخت في هذا الجنين في هذه الفترة بل أجمعوا أو كادوا على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد مرور مائة وعشرين يوما منذ بدء الحمل ولم يشذ من ذلك الا فئة قليلة لم تحدد وقتا لنفخ الروح ولكنها أخذت بحديث حذيفة بن اسيد الذي رواه مسلم وحددت بالتالي بداية الحياة بعد مرور الأربعين الأولى.

وقد أسلفنا القول في أن الفقهاء لم يحكموا بحياة الجنين حتى بعد مولده وانفصاله حيا من أمه الا إذا استهل صارخا أو ظهرت عليه أمارات الحياة. ومنهم من لم يقبل التنفس ما لم يستمر وقتا طويلا. وكذلك لم يقبلوا الحركة دليلا على الحياة. بل ولا البول لأن ذلك يكون من استرخاء المواسك (العضلات العاصره) وبالغ بعضهم في عدم قبول العطاس والرضاع دليلا على الحياة كما أسلفنا.

وأما حركة المذبوح أو من اعتدى عليه وحش أو انسان حتى فقد الادراك والنطق والبصر والاحساس فإن حركته لا اعتبار لها عند الفقهاء واعتبروه ميتا رغم أن قلبه لا يزال ينبض ودورته الدموية لا تزال كاملة ومعظم أعضاء جسمه لا تزال تعمل.

بل بالغ بعضهم مبالغة شديدة مثل ابن القاسم عندما زعم أن عمر رضي الله عنه بعد أن طعن اعتبر في عداد الموتى رغم أن عمر رضي الله عنه كان يعهد ويتكلم وبقي على ذلك ثلاثة أيام كاملة وهو يحس ويدرك.. ولا شك أن من قال بذلك قد خرج عن الطور المعهود وجانب الصواب، فعمر دون ريب كان حيا. ولو عاش في زمننا هذا لأمكن بكل يسر انقاذ حياته باذن الله تعالى. وكم من حالات أشد بكثير من حالات عمر أمكن انقاذها. فقد امكن انقاذ الرئيس الامريكي الاسبق ريجان بعد ان اخترقت الرصاصة صدره ووصلت الى غشاء قلبه (التامور) وحطمت أجزاء من رئته. ومع ذلك أمكن انقاذه وحالته لا ريب أشد عسرا بكثير من حالة عمر رضي الله عنه.

(٤) اتفق الفقهاء جميعا على أن حركة المذبوح ليست دليلا على الحياة وأن الحركات الاضطرارية (الافعال الانعكاسية من الجسم) التى لا اختيار فيها ليست أثراً من أثر الروح. ورغم وجود هذه الحركة فإن من فقد كل إحساس وإدراك مع فقدان



النطق والارادة عند هؤلاء الفقهاء دليل على فقدان الحياة يقول الدكتور محمد نعيم ياسين في بحثه «نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء تحت عنوان خلاصة تصور علماء الشريعة عن الروح وعلاقتها بالجسد[٣٠]:

إن الانسان في تصورهم جسد وروح ولا يكتسب وصف الانسانية بواحد من العنصرين دون الآخر وأن الجسد مسكن الروح في هذه الدنيا طوال فترة الحياة المقررة للانسان وأن العلم والادراك والحس والاختيار أهم وظائف الروح.. وأن الجسد الانساني لا يصدر عنه أي نشاط اختياري في هذه الدنيا بغير أمر الروح وأن كل ما يصدر عنه هو بتأثيرها الذي أودعه الله فيها. وأن الموت معناه مفارقة الروح للجسد وأنه يحصل عند صيرورة الجسد عاجزاً عن انفعال الروح وأن وجود أي نوع من الحس والادراك والحركة الاختيارية يدل على بقاء الروح في الجسد. وغياب هذه المظاهر غيابا كاملا يدل على مفارقة الروح للجسد.

وأن مجرد وجود حركة اضطرارية لا معنى له سوى وجود بقايا الحياة المجردة عن معية الروح.

وفي موضع آخر من بحثه يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: «ويفهم من ذلك أن العلماء المسلمين يرون أن الحركة الاضطرارية التى لا اختيار فيها ليست أثرا من آثار الروح.. ومقتضى ما تقدم من تصورهم لوظائف الروح أن الحركة الاضطرارية الناشئة عن هذا النوع من الحياة ليس فيه دلالة على وجود الروح.

ثم يخلص الباحث الى محاولة الجمع ما بين أقوال الاطباء والفقهاء من اتفاق واختلاف الذي سنذكره فيما بعد عند الانتهاء من تشخيص الموت وعلاماته عند الفريقين. وما يهمنا ها هنا هو التأكيد على أن الفقهاء لم يجعلوا الحركة

الاضطرارية دليلا على وجود الروح، بل على العكس من ذلك. كما أنهم لم يجعلوا انتظام نظم القلب وضرباته ووجود الدورة الدموية في الجنين دليلا على نفخ الروح فيه، بل اعتبروا ذلك كله بمثابة النبات أو الحيوان وليس فيه أي دليل على نفخ الروح في الجنين. وقد أخبر المعصوم [صلى الله عليه وسلم] عن موعد هذا النفخ وأنه لا يكون الا بعد مرور الجنين بمراحل متعددة ابتداء من النطفة ومرورا بالعلقة والمضغة والعظام واللحم الذي يكسو العظام ووجود أمارات التخليق ووجود الأعضاء المختلفة من كبد وقلب ورئة وكُلى.. ورغم أن الدورة الدموية والقلب يبدأ عملهما مبكراً جدا (في اليوم الثاني والعشرين منذ التلقيح) الا أن الفقهاء لم يعيروا ذلك اهتماما لوجود النص.. واتفق جمهور الفقهاء وعلماء الشريعة والعلوم الدينية أن نفخ الروح لا يكون الا بعد وصول الجنين الى اليوم العشرين بعد المائة.

وهذا دليل قوي في عدم اعتبارهم للدورة الدموية كدليل على وجود الروح إذ يمكن أن تكون هناك دورة دموية كاملة والقلب ينبض دون وجود الروح وهذا بالضبط ما يقول الاطباء حيث إن القلب يمكن أن يستمر في النبض والدورة الدموية بمساعدة العقاقير والاجهزة وبوجود منفسة تقوم بعملية التنفس ولا يعتبر الشخص في تلك الحالة حيا بل هو ميت إذا مات دماغه بشروط معينه لابد من توافرها في تشخيص موت الدماغ.

«للبحث صلة»

الهوامش:

(١) احياء علوم الدين باب حقيقة الموت ج٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

(٢) ابن القيم: الروح ص ٣٤.

(٣) محمد بن محمد الغزالي: احياء علوم الدين ج٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

(٤) كما ينقله عنه الامام ابن القيم في كتابه الروح.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الشيخ بكر أبو زيد: مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ مجلد ٣ ج٢/٥٢٩ ـ ٥٤١.

(٧) إحياء علوم الدين ج٤ /٤٦١.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي) وابن ماجه في سننه واحمد في مسنده.

(٩) الروح لابن القيم ص ١٨٠.

(١٠) الروح ص ١٨٤.

(١١) المصدر السابق (أخرجه الشيخان).

(١٢) الروح ص ٤٦.

(١٣) ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ص ٤٦ (دار المعرفة بيروت).

(١٤) ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٥٥.

(١٥) ابن حجر العسقلاني: فتح البارى شرح صحيح البخاري كتاب القدر ج١١/ ٤٨٢.

(١٦) أخرجه ابو داود ج٣/ ٨٣ والبيهقى ج٦/ ٢٥٧.

(١٧) أخرجه ابن ماجه حديث رقم ٢٧٥١.

(١٨) الموسوعة الفقهية وزارة الاوقاف الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٣ ج٣/٦٦.

(١٩) وهو أيضا قول الامام مالك.

(٢٠) يسمى هذا مفهوم المخالفة عند علماء الأصول.

(٢١) المقصود بالحركة هنا الحركات الاضطرارية مثل حركة المذبوح أو غيرها من الحركات الانعكاسية والتي قد تحدث حتى في حالات موت الدماغ وتعرف بالافعال الانعكاسية الشوكية .

(٢٢) المغني ج٧ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٢٣) محمد المختار السلامي: الا نعاش. مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٤٠٨ / ١٩٨٧م مجلد ٣ ج٢، ٦٨٥ ـ ٦٩٤.

(٢٤) محمد سليمان الأشقر: نهاية الحياة، ندوة الحياة الانسانية والمنشور أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة، مجلد ٣ ج ٢/ ٦٦٢.

(٢٥) بدر الدين الزركشي: المنثور في القواعد ج٢/ ١٠٥.

(٢٦) الرملي: نهاية المحتاج ج ٧/ ١٥ ، ١٦ نقلا عن د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات علماء المسلمين، ندوة الحياة الانسانية الكويت والمنشورة أيضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي ، مجلد ٣ ج ٢ ص ٦٣٥ ـ ٦٦٠.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) مفتى تونس الشيخ محمد المختار السلامي: مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة ١٩٨٧ مجلد ٣، ج٢: ٦٨٥ ـ ٦٩٤.

(٢٩) الزركشي: المنثور في القواعد ج٢/١٠٥، نشر وزارة الاوقاف، الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

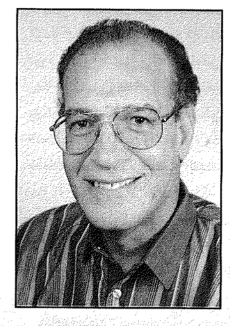
(٣٠) د. محمد نعيم ياسين: نهاية الحياة الانسانية في ضوء اجتهادات الفقهاء، ندوة الحياة الانسانية بدايتها ونهايتها. منشورة ايضا في مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد الثالث ج٢/ ٦٣٥ ـ ٦٦٠.

عبد الرحمن شلش: اسم تردد في الكثير من المجلات الأدبية والثقافية، والدوريات المتخصصة على مستوى مصر والأقطار العربية الأخرى وعُرف بكثرة كتاباته في القصة القصيرة ونقدها ومتابعته للحركة المسرحية وتعدد قراءاته النقدية للإصدارات الأدبية والثقافية، وهو أديب معروف، تعلم ودرس في أكاديمية الفنون وتخرج في المعهد العالى للفنون المسرحية بقسم النقد وأدب المسرح، أصدر أربع مجموعات قصصية: «زائر المساء - عندما يزهر الحب - للعشق رائحة الجنوب - المرافيء البعيدة» بالإضافة الى كتابين «مدخل إلى فن كتابة المسرحية» و«على شلش: الغائب الحاضر» عن شقيقه المرحوم.

ويسعدنا في هذه الصفحات أن نقف على بعض رؤى الأستاذ عبد الرحمن شلش في مجالات القصة والرواية والابداع الادبي.

حوار مع .. عبد الرحمن شلش:

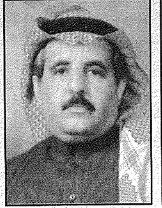
الرواية والقصة تطلعات وآفاق

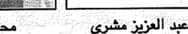


المنهل:

للإبداع معاييره في كتابة الرواية والقصة ومن خلال تجربتكم الشخصية يمكن أن نقف على بعض أبعاد هذه المعايير..؟

** لعل أبرز معايير الإبداع في كتابة القصة القصيرة والرواية وأي نوع أدبي آخر، هي الصدق في التعبير، وأقصد بذلك الصدق الفني والصدق الإنساني والصدق التاريخي، فحين يتسم العمل الأدبي والفني بالصدق بأبعاده المذكورة، يأتي هذا العمل إبداعاً متميزاً بعيداً عن الإفتعال، معبراً عن

عبد العزيز مشري — محمد علوان — ابراهيم الناصر الحميدان — جار الله الحميد

حوار: **عقيل بن ناجي المسكين**
ـ الرياض ـ

هموم الإنسان وقضاياه، ومؤكداً أهمية الإبداع بوصفه إنجازاً فذاً يتحلى بالصدق والجدة والأصالة والمرونة والمعاصرة.

المنهل:

هل من الصحة بمكان أن يقال بأن الرواية ديوان العرب في العصر الحديث أم أن هناك تحفظات على هذا القول حتى لا يفقد الشعر العربي مكانته التي توارثها منذ العصر الجاهلي وحتى عصرنا الراهن؟.

** ترددت في الآونة الأخيرة ـ مقولة «الرواية ديوان العرب في العصر الحديث» في آراء بعض كتابنا ونقادنا، إلا انني غير موافق على ما ذهب إليه أصحاب هذه الآراء، لأن الشعر هو ديوان العرب منذ القديم حتى اليوم، فالشعر هو الشعر.. والفنون الأدبية أياً كانت تحيا في ظل مناخ أدبي لا يعترف بالمنافسة وإحلال بعضها محل بعضها الآخر، ويبقى للشعر لدينا مكانته في الوجدان العربي وفي الأدب العربي مثلما كانت مكانته منذ العصر الجاهلي، ولا تستطيع الرواية أو غيرها من الفنون الأدبية أن تأخذ مكانة الشعر فله مكان الصدارة عربياً ووجدانياً.

المنهل:

هناك رأي عند بعض النقاد بأن القصة القصيرة قد استنفدت جميع أغراضها وحان وقت رحيلها عن السوق الأدبي، حتى إن بعضهم أطلق عليها مصطلح «حمار المبدعين» كما هو الحال في بحر الرجز الذي اعتبره الأوائل «حمار الشعر» لسهولة البحر وقابليته الكبيرة للتطويع لصالح الشاعر، ما رأيكم في ذلك؟.

** في ظني أن القصة القصيرة في أدبنا الحديث والمعاصر، تشهد رواجاً وازدهاراً في عصرنا الراهن باعتباره عصرها الذهبي.. وباعتبارها فناً من فنون النثر، فهي فن من الفنون التي لا تزال قادرة على مواكبة إيقاعات العصر المتسارعة، هذا العصر الذي يموج بحركة الحياة الموّارة، كما يتدفق نهر الواقع فيه موجة في إثر موجة بشكل يشي بالسرعة والتكثيف والإقتصاد.. وهو ما يتناسب مع إيقاع القصة القصيرة التي أراها فناً سيظل مواكباً إيقاعات الواقع والحياة اليوم، وربما الغد .. لكونها فناً لم يستنفد جميع أغراضه في عصر السرعة الذي يحيا فيه الإنسان العربي المعاصر.

المنهل:

لا نحسب بحال أن الكتابة الأدبية مجرد ابداع لا يتغيًا تنمية مجتمع أو اصلاح عرف أو غرس قيم اكثر في الحياة؟

** لعل من مهام الرواية والقصة القصيرة الإسهام في توعية المتلقي، وفي تعليمه، وفي رفع

مستواه الثقافي، لأن الفنون، بصفة عامة، تفتح آفاقاً جديدة ليس في التوعية أو التعليم فحسب بل في اكتشاف الحقيقة والوصول إلى مرافيء كانت مجهولة من قبل، من أجل رفعة شأن الإحساس بالواقع، والكشف عن مناطق جديدة من الحس المرهف بالأشياء والأمور، وطرح التساؤلات في الكون والحياة وفقاً لما ينادي به الدين الإسلامي الحنيف.

المنهل:

من الملاحظ أن الحركة النقدية للرواية والقصة غير قائمة على أسس ومرتكزات ثابتة وموحدة، فهل يرجع السبب الى تعدد المناهج النقدية؟ وما هو انطباعكم الخاص في العملية النقدية؟ وما هي الصورة المثلي في النقد لتناول أي نص روائي أو قصصي؟

** لو نظرنا الى المشهد النقدي لدينا في واقع الحركة النقدية للرواية والقصة القصيرة بصفة خاصة، والأدب والفن بصفة عامة، لوجدنا أن كثيراً من الجهود التي تقدم في الساحة العربية نقدياً لا تقوم على أساس متين قوي، إذ أنها تعتمد على جهود هشة وغير موضوعية، لأنها لا ترتكز على التحليل والتطبيق، والمقارنة والدراسة المتأنية، فضلا عن الإعتماد - أحياناً - على الأحكام العامة الجاهزة من قبل، أو الأفكار المستوردة التي لا تناسب بيئاتنا.. مع ميل إلى الهدم لا البناء.. مما يجعل المسألة تصيب مرة، ولكنها تخيب مرات. ومن ثم تصبح المسألة برمتها اجتهادات شخصية بعيدة عن الموضوعية والعلم، والنقد - في أساسه - إبداع مواز للعمل الإبداعي رصداً وتحليلا ومقارنة.. وليس انطباعاً عاماً وحكماً جائراً.

أما الصورة المثلى فى النقد حين يتناول نصاً أدبياً أيا كان نوعه، فهي أن ينطلق الناقد من داخل هذا النص مضيئا له ومحللا لجوانب القوة فيه وجوانب الضعف أو ماله وما عليه، بحثاً عن جماليات العمل الإبداعي ومقوماته، من أجل أن يقيم جسراً بين المتلقي والإبداع المنتقد، وربما يعود ما يحدث في واقعنا النقدي كله إلى حالة من الفوضى، والإنبهار بالغرب، والإستلاب، والإغراق في الذاتية المتورمة، والميل إلى الظهور والمخالفة والمعارضة في الرأي، ولا أدري لماذا لا نحاول أن نمد جسراً بين نقدنا اليوم ونقدنا القديم، وأن نسعى إلى إيجاد مناخ نقدي صحي يحفل بتعدد المناهج النقدية.. ويصل جديدنا بقديمنا.

المنهل:

يحبذ بعض كتاب القصة القصيرة بأن يخرجوا عن المألوف في كتاباتهم كالاسلوب السردي القديم والقصص القائمة على الحدث والعقدة والحل، والحيل التكنيكية الكلاسيكية، ولجأوا الى الرمز والاسطورة واللاوعي، ما هو السبيل القويم برأيكم في العملية الإبداعية إذا خرج القاص عن الأساليب المعتادة ولجأ الى الأساليب الأخرى؟.

** التجريب في الإبداع الأدبي عملية جائزة وضرورية في الكتابات الإبداعية الجديدة سواء عبر استحداث أشكال أو أساليب أو طرائق بشرط أن تأتي بجديد يثري الرؤية شعراً أو نثراً.. وذلك من أجل تواصل العملية الإبداعية تأصيلا وتجديداً، إنني مع التجريب ما دام هذا التجريب يسهم في إثراء الإبداع، وخروج القاص عن الأساليب والطرائق المألوفة أمر لا بأس به طالما جاء ذلك في نطاق التجريب والتجديد ولا يصح - في النهاية - إلا الصحيح.

المنهل:

ظهرت على الساحة الأدبية بعض القصص والروايات الغارقة في الغموض والرمزية المكثفة، فهل لهذه الأساليب جدوى في تقدم الرواية والقصة؟ أم أن ذلك من الأمور التي تدعو لها حركة الحداثة وما بعد الحداثة مع ما فيها من الغموض واللغة الإشارية وعدم تواصل الجمل المعبرة عن النص وظاهرة التعقيد المعنوي.

** ربما كان الغموض سمة من سمات الإبداع حتى يبعده عن المباشرة والتقريرية. أما الغموض من أجل الغموض، والإغراق في الرمزية التي

تستغلق على الفهم، فهما من الأساليب التي تعد فخاً يسقط فيه بعض شعرائنا وروائيينا وقاصينا في كتابات تندرج في عداد ما يسمى حركة الحداثة وما بعد الحداثة، كما يراها دعاتها في الغرب، إن ما يصلح في الغرب لا يصلح بالضرورة لبيئات أخرى بما فيها البيئة العربية التي عرفت بالمحافظة والتماسك والتعامل مع الوافد الجديد بحذر.

المنهل:

من برأيك يتصدر الساحة الأدبية على مستوى الوطن العربي بشكل عام في الرواية والقصة القصيرة؟

** كثيرون يتصدرون الساحة الأدبية في الوطن العربي في الرواية منهم على سبيل المثال لا الحصر: نجيب محفوظ، يحيى حقي (من مصر)، وحنا مينة (من سوريا)، والطاهر وطار (من الجزائر)، ومحمد زفزاف (من المغرب)، وعبد الرحمن الربيعي (من العراق)، وليلى العثمان (من الكويت)، وعبد العزيز مشري (من السعودية) وابراهيم الكوني (من ليبيا) والطيب صالح (من السودان).. وغيرهم.

وفي القصة القصيرة هناك: محمد المخزنجي وسلوى بكر (من مصر) وزكريا تامر (من سوريا) وجار الله الحميد (من السعودية) ومريم جمعة فرج (من الإمارات) ومحمد عبد الملك (من البحرين) وسواهم من فرسان الرواية والقصة.

المنهل:

من خلال خبرتكم الطويلة في العمل بالمملكة نود أن تلقي الضوء على هذه المرحلة العملية وما أثرها في أدبك وكتاباتك؟

** أقمت في بلدي الثاني المملكة العربية السعودية ما يقرب من أحد عشر عاماً وذلك على فترتين أولاهما من عام ١٣٩٩هـ حتى ١٤٠٥هـ والثانية من عام ١٤١٠هـ حتى الآن.. عملت في هذه السنين مستشاراً ثقافياً ومشرفاً وسكرتيراً لتحرير ملف الثقافة والفنون ومجلة «التوباد» بجمعية الثقافة والفنون بالرياض، كما عملت عضواً بهيئة تحرير «الأدبية» بالنادي الأدبي بالرياض، كانت التجربة مفيدة ومثمرة بالنسبة لي فقد فتحت لي أفقاً على واقع ثقافي وأدبي جديد.. وأضافت ثراء جديداً في تجربتي الأدبية إبداعاً ونقداً بشكل عام.

المنهل:

ما هو رأيكم في التطور النوعي والكمي في الساحة الأدبية بالمملكة وخصوصاً في الرواية والقصة والمسرحية، وما هي الأسماء البارزة في هذه المجالات الأدبية حسب اطلاعكم وملاحظاتكم؟

** أرى أن الساحة الأدبية بالمملكة تشهد في الوقت الحاضر تطوراً نوعياً وكمياً في فنون الرواية والقصة القصيرة والمسرحية على أيدي الأجيال الجديدة من الأدباء المبدعين الذين جاءوا امتداداً لجيل الرواد الأوائل الذين حملوا مشعل الريادة وأضاءوا الطريق أمام المبدعين الجدد، فالرواية والقصة القصيرة هما رافدان من روافد الرواية في الوطن العربي وكذلك القصة القصيرة، ولا يقل مستواهما هنا عن مثيله في بقية أقطار وطننا، وإن كانت المسرحية أقل تطوراً من حيث النوعية والكم نظراً لحداثة عمر تجربتها في الأدب السعودي، ومن البارزين في الرواية هنا مثلا وليس حصراً:

حامد دمنهوري، ابراهيم الناصر، عبد العزيز مشري، أمل شطا.

وفي القصة: عبد الله الساطي، حسين على حسين، محمد علوان، جار الله الحميد، تركي ناصر السديري، شريفة الشملان، خليل الفزيع، أميمة الخميس.

وفي المسرحية: ابراهيم الحمدان، محمد العثيم، علي السعيد.

المنهل:

هناك مقولة «كاتب متخصص» ومقولة أخرى «كاتب موسوعي» أين تضع نفسك من هاتين

المقولتين؟

** لست كاتباً موسوعياً لأن الكاتب الموسوعي يمثل دائرة معارف بشرية، ويلم بكل شيء في العلوم والآداب والفنون.. ولعلي أمثل واحداً من الكتّاب المتخصصين في النقد بوجه عام، وفي النقد الأدبي والنقد المسرحي بوجه خاص.. بحكم التخصص الدراسي العلمي.

المنهل:

يعتبر النقد عملية إبداعية أخرى منفصلة عن النص الذي يتناوله الناقد وكأنه يبدع نصاً جديداً خارج نطاق النص الذي تناوله على طاولة النقد، ما مدى صحة هذه الفكرة؟

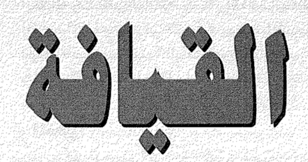
** يعد النقد عملية إبداعية موازية لعملية كتابة النص الأدبي سواء أكان قصيدة أم قصة قصيرة أم رواية أم مسرحية.. هذه العملية النقدية لا تبدأ من فراغ بل من داخل النص الأدبي إضاءة ورصداً وتحليلا وتقويماً.. أي أن مفاتيح التعامل مع النص الإبداعي - نقدياً - ينبغي أن تستخرج من داخله لا من خارجه فيعنى الناقد باستنطاق النص عبر معطيات هذا النص حتى لا تكون قراءة النص قراءة منفصلة أو محلقة في آفاق بعيدة عن معطياته ودلالاته.

المنهل:

هل لديكم كلمة أخيرة لقراء المنهل؟

** في الوقت الذي أستعد فيه للعودة إلى أرض الوطن بصفة نهائية، أقدم لقراء مجلة «المنهل» وللشعب السعودي الشقيق أرق التحايا.. مقرونة بعظيم التقدير مع أسمى التمنيات بدوام الخير والرقي.

قصة قصيرة:



محمد المنصور الشقحاء

- الطائف -

تَلَفَّتَ، رصد في نهاية الشارع عربة نقل النفايات وعمال شركة النظافة، فتح باب عربته، ادار المحرك..

السابعة من صباح يوم بارد من تشرين، أخذ مساره المعتاد الى المكتب، في داخله هاجس مجهول الهوية خلق بوادر ارتباك وقلق يعني انهما علامات يوم ملتهب، أول من قابله سكرتير الشيخ اقبال احد رجال الاعمال المعروفين.

- اهلا اسامة..

- اهلا استاذ حامد.

دخل المكتب، اخذ يقلب بعض الاوراق..

- استاذ حامد.. متى يتم تعميد المؤسسة بالعمل؟!

- اذا وصلت موافقة الادارة العامة..

- الحال متوقف..

- ليه..؟

- الشيخ مسافر من شهرين (وما فيه) احد يصرف رواتبنا. حديث اعتاد سماعه. اسامة

قرر دعوته لتشريف المنزل لزيارة حان وقتها.

انتــــهى الدوام ، ذات الطريق. والقلق والتوتر، استقبلته نجوى ضاحكة ثم طرحت أسئلتها المكررة. تذكر أنه نسي الخبز واللبن، استلقى على ظهره أمام شاشة التلفزيون.. مشاركا طفله ذا السنوات الأربع متابعة أفلام الرسوم المتحركه، حدد السابعة مساء للزيارة، اخـذ يتـذكـر العنوان، أوصل نجـوى لمنزل والدتهـا، اقتـرب من العنوان مع ارتفـا ع أذان العشاء. أسامه يقف في عرض الطريق، لوّح له.

أوقف العربة ..

سبقه إلى بوابة مشرعة لشقة في الدور الأول.. الهدوء مخيم، ولجا غرفة جلوس مليئة بالدمى والرسـوم ، توقف عند صـورة مـعلقـة فوق التلفزيون..

لاحظ أسامه ذلك فقال:

- المدام ليلة الفرح.

- متى ..؟!

جاءت ساذجة.. وصوت حركة في مكان آخر، خرج أسامة من الغرفة ثم عاد يحمل طبقاً فيه بعض البسكويت والمكسرات.

ودخلت خلفـه تحـمل دلّة القـهـوة بيـد والفناجين باليد الاخرى، تأملها والتـفت الى الصورة. كانت هي..

- تصـبب العـرق في داخله. تناول فنجـان القهوة بيد مرتعشة.

جلست ..

استأذن أسامة، لم يحسب الوقت، شعر أنه تأخر، انتهى من شرب القهوة ليجد أمامه كوباً من عصير الليمون.

تطلع في ساعـتـه ، نـهض، وقفت في فـتـحت الباب تحاول منعه من المغادرة، همهم بكلمات، صرخت فيه، انبثق باب الشقه عن خلق كثير.

تذكر طفله .. وزوجته.

حضـرت الشرطة .. أنكر أسامة معرفته بضـابط المركـز، شعـر بموقـفـه، أمر الآخرين بمغادرة الغرفة، دعاه الى الجلوس بالقرب منه .. انصت له:

طلب منه كتابة اقرار خطي باقواله ودُعي أسامة لإقفال ملف القضية.. حيث تنازل عن الادعاء مع حفظ حقوقه من التعدي عليه.

طلب منه الضابط البقاء.

- كيف وقعت ..؟!

- إنه معرفة .. ويراجع في أعمال..

- لابد أن وراء ذلك قصد !

- لقـد تأخـرت ، ابني لوحـده في الدار وزوجتي عند اهلها..

غادر مركز الشرطه..

كـانت نجـوى قلقـه على ابنهـا .. باب الشقة مفتوح، لا أحد هناك، اتجها الى غرفته الصـغيره، كـانت المربية ترقد على الارض وهو نائم في سريره.

شيء من الهـدوء سـرى في داخله، اخـذ يبدل ملابسه..

سمع نجوى تصرخ.

أسـرع، كـانت غـرفـة الجلوس خـاليـة من التلفـزيون وجـهاز الفديو والمسجل، عـاد الى غرفـة النوم فـتح الادراج لم يعثـر على علبة الحلي.

اتصل بالشرطة.

جبروت

للشاعر السفير/
عبد العزيز بن محيي الدين خوجة
سفير المملكة العربية السعودية
في المغرب.

يارب المشرق والمغرب
يارب الملكوت
جبروت في عينيها ياربي جبروت
أين المنجى منها أين المهرب
من علمها أسرار الكهنوت
وتمائم هاروت وماروت
فطربت ومالي لا أطرب
وتركت قيادي لرموش لا تتعب
بعثت في صدري آهات كانت ستموت
مسلوب بالله خذيني
خليني رهن الأهداب
فالشوق يدمدم في صدري
وجعلت عيونك محرابي
بحر عانقه من غير شراع مركب
وتسهد فيها فسقته الوجد وأسرار اللاهوت
ومضى في رحلة عمر يكتشف الملكوت
يارب المشرق والمغرب
يممت بأشرعتي فأبت سفني إلا المغرب
- إلا المغرب -



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة



سنغافورة أعياد لا تنقطع



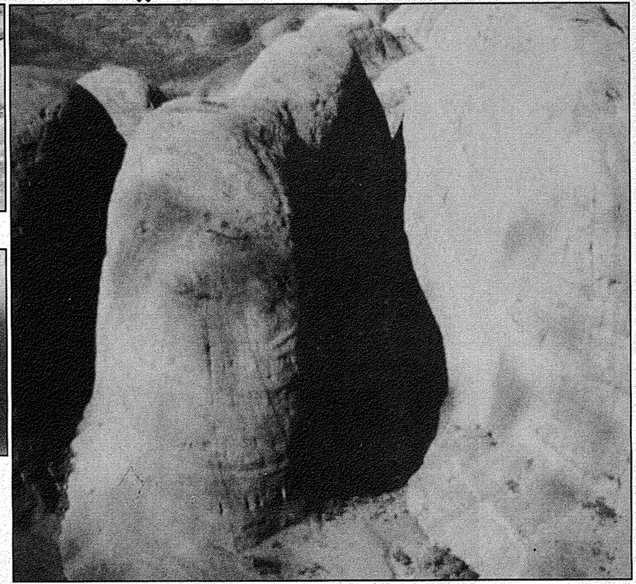
مشاهدات من فيتنام

في هذا العدد من



السائح

السرّ المكنون .. في الصـ



الصخرة الحمراء

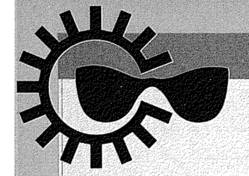
امتداد الصحراء، يعني امتداداً في الخيال، خيال بعمق المدّ غير المرئي لرمال الصحراء، تذهب بالرؤى بعيداً تلفها أمواج رمالها الحمراء، والصفراء البلورية.

لكن .. ! ماذا ينتج خيال أهل الصحراء؟

ينتج الأساطير والخرافات، وأحاجي الغيلان، وزائرات الصحراء المغروزة في رمالها من شياطين الجنّ.

وسط صحراء المقاطعة الشمالية لاستراليا توجد هناك (صخرة) تمثل مرتفعاً انقطع به السبيل عن رفقائه فأصبح وحيداً في هذا الامتداد المخيف.

هذه الصخرة أحاط بها جمع من سكان

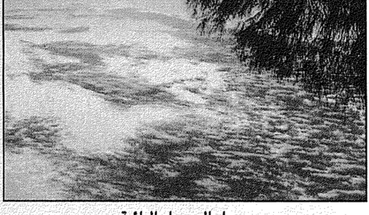


خرة الملعون

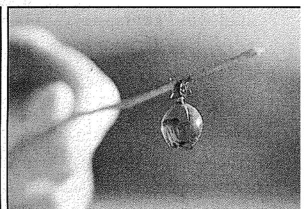




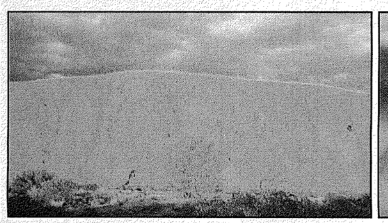
الصخرة الحمراء في وسط استراليا



سماء الصحراء الرائعة



نمل العسل



لحظة شروق الشمس في الصحراء

الصحراء، أحاطوها بقدر هائل، مخيف ومرعب من الأساطير، حتى بلغ حدَّ التقديس لهذه الصخرة من أهل هذه الصحراء.

ظنوا بها الخوارق، وافاضوا عليها من معجزات الخلق.. مَنْ قَطَعَ حجراً منها تصاحبه اللعنة، من صعد قمتها يهلك، من .. من .. هكذا حسب ظنهم وخيالهم.

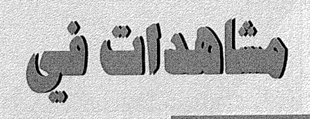
ومعلوم أن الانسان في بداوته يحتاج الى (انموذج) يتعلق به، ويتقرب إليه حتى وان كان حجراً، فما ظنك بصخرة كاملة.. فقد اعتبرها سكان الصحراء (نبع الحياة).

يبدو أن (أسطورية) هذه الصخرة لم تتوقف عند حدود الصحراء وأهلها، بل انتقلت أسطوريتها إلى أهل الحضر.. هذه الصخرة أصبحت طابع بريد يرمز للقارة الاسترالية بكاملها.. وأصبحت تتصدر الاعلانات والنشرات السياحية، حتى لقد هام بزيارة تلك الصخرة مئات الآلاف من الزوار والسائحين من داخل استراليا ومن خارجها.

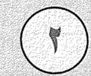
ترى .. ما السرّ المكنون في هذه الصخرة الملعون.

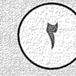
**** السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل.. في السلوك والمعاملات .. في الجماعات والافراد. في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم .. كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم.**

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام.









بقلم: الشيخ
محمد بن ناصر العبودي
الامين العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

١ حوانيت الاكتاف:

لم أسمع بهذه التسمية من قبل ولكنني أطلقتها على ما رأيته في بلاد الجنس الملايوي في إندونيسيا وقرى تايلند وأمثالها، وذلك في أن يجعل البائع أو البائعة البضاعة في وعائين اثنين معلقين بعصا غليظة ويحملها على كتفيه على هيئة الميزان بأن يجعل إحدى الكفتين تتأرجح في الأمام والأخرى في الخلف بالنسبة إليه، أو أن يحملها على كتفيه الاثنين ويمسكها بيديه فترى الكفتين يتأرجحان يمين جسمه ويساره، وهو يسير هكذا ببضاعته يعرضها على الناس، فمن أراد أن يشترى منه أوقفه ونظر في بضاعته. وغالباً ما تكون من الفواكه والخضار أو من الأطعمة القليلة.

والحوانيت - كما نعلم - هي الدكاكين.

ولم أر ذلك شائعاً إلا في بلدان الجنس الملايوي ومن شابههم، وقد رأيتها كثيراً في هذه المدينة.

والغريب أنه في مثل هذه البلدان يكثر أن تكون الحاملة لهذه الأشياء امرأة عليها قبعة عريضة تقيها أشعة الشمس التي تكون استوائية أو قريبة من الاستوائية، اضافة الى كون القبعة العريضة تثبت بنفسها على الرأس ولا تحتاج إلى تعهد وعناية.

القبعات الفيتنامية:

بالنسبة الى القبعات الفيتنامية فإنها ذات شكل متميز عن غيرها من قبعات الأندونيسيين والتايلنديين وإن كانت تجمع بين تلك القبعات صفة الاتساع وكونها تنسج من القش أو الخوص.

فالقبعة الفيتنامية تتميز بتقعيرها بمعنى أنها أشبه بغطاء الطبق الذي تراه مرتفع الوسط إذا وضعته على الأرض أو على طبقه، وليست مستوية التسطيح، كما أن مكان الرأس منها صغير إلى درجة تكاد معها أن تسارع فتجزم إذا رأيت القبعة



جني المحصول يتم بالميكنة الحديثة

موضوعة على الأرض بأن رؤوسهم صغيرة مع أن الفيتناميين متميزون بالذكاء وليسوا من صغار الرؤوس الذين لا يتميزون بذكاء غير معتاد.

ومررنا بمعبد بوذي ذي طبقات عديدة، والغريب في الأمر هنا ليس في وجود المعابد البوذية، وإنما الغريب في قلتها، فالقوم بأكثريتهم الساحقة بوذيون قدماء في اعتناق البوذية، والمفروض أن تكون المعابد لديهم كثيرة كثرتها في تايلند التي هي ذات أغلبية بوذية مثلهم، وقد قرأت أن في تايلند خمسمائة ألف معبد بوذي طبقاً لإحصاء تايلندي حكومي.

وربما كانت القلة الظاهرة في المعابد البوذية هنا هي بسبب استيلاء الشيوعيين على الحكم الذين يحاربون الأديان ويتبنون سياسة الإلحاد، (والبوذية ذاتها إلحاد) ولذلك لا تنشأ في ظلهم معابد جديدة، وإنما يبقون في الغالب على المعابد القديمة ذات الأهمية الأثرية.

مسجد جامع المسلمين:

كان أول ما أدهشنا من هذا المسجد رؤية منارته من على البعد.. وهي وان لم تكن شامخة فإنها متميزة، ثم رأينا اسم المسجد مكتوباً بالعربية على لائحته وواجهته (مسجد جامع المسلمين)، وجامع هذه ليست مرادفة لكلمة مسجد كما صار بعض الناس في لبنان مثلا يطلقونها على المسجد أي مسجد، وإنما المراد من ذلك أنه مسجد تصلى فيه الجمعة. وفوق اللافتة صورة الهلال تتوسطه نجمة وهو الشعار الذي صار

شعاراً للمسلمين على طول العالم وعرضه في مقابل الصليب الذي هو شعار المسيحيين.

ويقع المسجد على شارع رئيسي مليء بحركة الدراجات ومعها بعض السيارات لأنه الشارع الواسع الذي يفضي من قلب المدينة إلى المطار ويسمى (انقوين مان ترو).

بني المسجد في عام ١٩٧٣م، بناه الحاج عمر علي - رحمه الله - وكان مفتياً لفيتنام، ذكروا أنه أحضر النقود التي بناه بها من المملكة العربية السعودية، ومن ماليزيا وان (تانقو عبد الرحمن) رئيس وزراء ماليزيا السابق ساعده على ذلك.

والمسجد متوسط السعة ومع ذلك أخبرونا أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه لا يقل عن مائتين كل أسبوع، وأنه يضيق بهم وعللوا ذلك بأن بيوتاً للمسلمين كثيرة تحيط به، كما ذكروا أن عدد الذين يؤدون الصلوات الخمس المفروضة في الأيام المعتادة يتراوح ما بين ٣٠ إلى ٤٠ مصلياً. ويقع المصلى الرئيسي في الطابق العلوي إذ يتألف المسجد من طابقين أحدهما أرضي فيه المدرسة الإسلامية والثاني علوي فيه المصلى الرئيسي.

كما أخبرونا أن المصاريف المتكررة للمسجد من ماء وكهرباء وأمثال ذلك يحصلون عليها من تبرعات المسلمين وبخاصة بعد صلاة الجمعة حيث يتبرع المسلمون بما يتيسر فيجمعونه وينفقونه على المسجد، ولم ترد إليهم أية إعانات مالية من خارج بلادهم كما ذكروا لنا.

جمعية مسلمي هوشي منه:

توجهنا إلى مقر جمعية مسلمي (هوشي منه) ويقع في زقاق جانبي متفرع من الشارع الرئيسي، خلف المدرسة الإسلامية الواقعة في الطابق الأرضي من (مسجد جامع المسلمين هذا)، وهي كالمسجد تقع في حي فيه بيوت للمسلمين ذكروا أن مجموع سكان المسلمين فيه ٧٧٠ مسلماً واسم الحي (تون يانغ).

وجدنا الجمعية قد أعدت فوق مائدة مستطيلة، أوراقاً وأقلاماً لتقييد ما يحتاج إليه، كما أحضرت شاياً من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الشاي الصيني فهو خفيف لونه بين الخضرة والحمرة ساذج لا سكر فيه ولا حليب. ولا يحضرون ذلك لمن يطلبه لأن الشاي الأحمر المعروف لدينا ولدى الأوروبيين غير مستعمل عندهم.

وقد حضر الجلسة عدد من أعضاء الجمعية منهم رئيس المسلمين السابق عبد الحليم سليمان، أما الرئيس الحالي للجمعية، وهو بحكم رئاسته لها يعتبر رئيساً للمسلمين واسمه (إمام إبراهيم) فإنه لم يحضر لكونه موجوداً خارج المدينة، وذكروا أنه سوف يحضر بعد ذلك. كما حضرها نائب الرئيس الأخ الحاج إدريس ساميل وقد لازمنا طيلة وجودنا في (هوشي منه) وكان وجوده معنا دائماً لا سيما أنه يتكلم قدراً لا بأس به من الإنكليزية. كما حضر أمين الجمعية (طيب فهمي).

ذكروا أن جمعيتهم هذه تمثل المسلمين في هذه البلاد رغم كونها خاصة بمسلمي هوشي منه، ورغم وجود أعداد كبيرة من المسلمين في منطقة تشامبا على الحدود ما بين - كمبوديا وفيتنام - لكونها الجمعية المنظمة القائمة في هذه المنطقة.

وأخبرونا أن جمعيتهم تهتم بالأمور الدينية العائدة للمسلمين وإن من عملها اعداد طعام الفطور في أيام رمضان، حيث يجمعون المال والطعام من القادرين ويقدمونه للفقراء والمحتاجين، كما ذكروا أنهم يدفعون رواتب لاثنين وأربعين معلماً من معلمي الدين الإسلامي في الكتاتيب، وأن راتب المعلم منهم هو (٨٠) ألف دونغ ويساوي ذلك حوالي ٦ دولارات أمريكية.

ولذلك يعطون أئمة المساجد مبالغ أقل من ذلك لأن هذه هي قدرتهم التي يستطيعونها {لا يكلف

الله نفساً إلا وسعها}.

وأكدوا على حاجتهم للمساعدة بقولهم: إن ٦ دولارات في الشهر التي نعطيها لمعلمي الدين نعرف أنها لا تكفي ولكن ماذا نصنع؟ ونحن لا نستطيع الحصول على أكثر من ذلك.


علي جانب احدي الانهار التي تشق مدينة هوشي منه

ومن اللطيف الذي صنعوه رغم قلة إمكاناتهم أنهم أوضحوا أماكن المساجد الموجودة في هذه المدينة (هوشي منه) وعددها (١٤) مسجدا على خارطة للمدينة مفصلة قد ذكرت فيها أحياؤها بالتفصيل.

وقد استمرت هذه الجلسة المفيدة بعض الوقت معهم حصلنا فيها من المعلومات عن اوضاع الإخوة المسلمين في هذه البلاد على ما لم نكن نعلمه.

اللباس التقليدي:

وفي طريق العودة إلى الفندق رأيت امرأتين عليهما لباس النساء الخاص بهذه البلاد الذي تلبسه العاملات في الدوائر الحكومية التي تحافظ على المظهر الوطني ومن ذلك العاملات في المطار وهو سروال طويل غالباً ما يكون أزرق اللون يصل إلى القدم وليس ضيقاً كسراويل الأوروبيات ولا واسعاً كالذي يكون على الباكستانيات وفوقه قميص طويل من نفس لونه وفي مثل طوله إذ يصل إلى القدمين أيضاً، ولكنه يكون مشقوقاً من الجهتين اليسرى واليمنى، إلى ما فوق الورك، بل قد يصل شقاه إلى الجنبين، وذلك بحجة عدم عرقلة السير، ويبين منه السروال كله أو يكاد.

وقد غرقنا ونحن راجعون إلى الفندق في فيضان الدراجات الذي رأيته، بل يمكنه أن يتغلب في ذلك على الصين المعروفة بكثرة دراجاتها، وقد ذكرت مشاهداتي في الصين في عدة كتب أكبرها كتاب: (داخل أسوار الصين).

وأكد الإخوة المرافقون أن سبب الزحام الشديد من الدراجات وبخاصة منها النارية الكثيرة العدد هو أن هذا الوقت الخامسة إلا ربعاً هو موعد انصراف الموظفين من المكاتب الرسمية بين حكومية وغيرها إذ ينتهي العمل اليومي عندهم في الرابعة والنصف.

ويلاحظ من عادات النساء هنا الشائعة في الصين أيضاً أن تجعل المرأة وبخاصة من

الشابات شعر رأسها جديلة واحدة خلف رأسها مع طول شعرها.


المساقط المائية علامة مميزة في فيتنام

مائدة فيتنامية:

كان الأخ عثمان بن المفتي السابق عمر علي رحمه الله قد دعانا إلى مأدبة عشاء يقيمها في بيته هذه الليلة، ودعا أيضا الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير، وذلك لكون وجوده ضرورياً للترجمة إذ بدونه لا يمكن التفاهم معهم بشيء.

كانت المأدبة فيتنامية بطعامها الذي تألف من الأرز الأبيض الساذج الذي لم يخالطه مخالط غير الماء حتى الملح لا يضعونه فيه، ومعه نوعان من المرق الغليظ المسمى بالكاري في كل واحد منهما نوع من لحم الدجاج أعد بطريقة تختلف عن الطريقة التي أعد بها النوع الآخر. كما أحضروا بطاطس مقلياً على طريقة خاصة بهم، وكان الشراب فيتنامياً خالصا يشبه الكوكا كولا ولكنه يعتمد على الدارصيني وهو القرفة بلغة المصريين المعاصرين وهو ينتج من بلادهم بكثرة وكان معه نوع آخر من عصير أخضر اللون ذكروا أنه من فاكهة غير معروفة لنا، ولكنها تكثر عندهم!.

أما الفاكهة فكانت موزاً صغيراً لذيذ الطعم رقيق القشر، غالي الثمن بالنسبة إلى أنواع الموز الأخرى وقد عرفته بذلك قبل ذلك في البلدان التي تنتج الموز، ومعه نوع من الحلوى التي صنعت في البيت، وكانت المأدبة أسرية حضرتها أسرة المذكور وفيهم أمه وهي عجوز جيدة الصحة سليمة الحواس مع أنها في حدود الخمسين وزوجته وابنته مع زوجها وهما شابان ليس لهما إلا طفل واحد، وكانوا يؤانسون بالكلام، ويظهرون الود والاحترام.

ولم أر نساءهم المسنات يحتشمن من الرجال الأجانب فكن يجلسن معنا ويتحدثن بواسطة المترجم، ووجدنا أن أعظم امنياتهن أن يحججن بيت الله الحرام.

وقد استغرقت المأدبة حوالي الساعتين، وكانت مفيدة لنا لأننا سمعنا خلالها ما لم نسمعه من قبل عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة من جنوب فيتنام وعن أحوالهم في منطقة (تشامبا) التي هي الموطن الرئيسي للمسلمين وتقع على حدود فيتنام وكمبوديا ومنها أصل الأخوين كليهما وهما: الداعي عثمان، والمترجم محمد يوسف. وعندما

استأذنا في الإنصراف اعتذروا لنا بأنه لا توجد لديهم الآن إلا دراجة نارية واحدة سوف تنقلنا إلى فندقنا بالتناوب فتحملني أول الأمر حيث أركب خلف سائقها ثم تعود إلى مرافقي الشيخ علي عيسى، وبعد ذلك تعود لتحمل الشيخ محمد يوسف إلى الجامع، وذلك لعدم وجود سيارات الأجرة، ولان دراجات الركشا غير لائقة كما أنها فيما يقولون غير آمنة في الليل.

ومع أننا عدنا في الليل فإننا لم نسلم من فيضان الدراجات حيث ظللنا نخوض فيه من بيت الداعي إلى الفندق، ولم تكن توجد في هذه الساعة سيارات بل كان الزحام كله من الدراجات النارية.

جدد الفندق تحيته التي هي من الفاكهة التي تكثر في هذه البلاد، وكانت من الموز الأصفر الصغير ومن البرتقال الأخضر واليوم جاؤوا بها من التفاح الذي يأتيهم من مناطق جبلية في شمال بلادهم ومن ثمرة واحدة من جوز الهند وهو ثمار النارجيل. وعندنا أن أشجار التفاح والنارجيل لا يجتمعان في مكان واحد ولكن هذه البلاد ممتدة ولذلك اختلف الجو الجبلي في شمالها عن جنوبها الحار.

جمع الطعام:

اعتدنا في البلدان البوذية أن نرى صغار الرهبان وهم الشباب ومن في حكمهم يدورون في الشوارع ويقفون عند البيوت يلتمسون من الناس أن يعطوهم من الطعام الذي هو الأرز ما تيسر، ولا طعام في هذه البلدان البوذية إلا الأرز فلا أعرف شعباً بوذياً يأكل أهله الخبز بصفة رئيسية، ولذلك يمكن القول: إن البوذية والأرز متلازمان وهذا هو الواقع القديم وقت أن كانت كل البلاد يقتصر أهلها على الطعام الموجود أصلا لديهم.

وقد رأيت جمع الرهبان البوذيين للطعام واضحاً كل الوضوح في بورما وبعض المدن الصغيرة في تايلند. واليوم رأيت منه شيئاً مختلفاً في هذه البلاد، ففي الصباح بعد الباكر أي في حدود الساعة الثامنة والنصف رأيت صفا من الرهبان البوذيين الكبار الحليقي الرؤوس الحفاة الأقدام الذين يرتدون ملابس مصبوغة باللون الأصفر وهم في صف واحد كل واحد منهم يسير وراء الآخر بحذائه لا يميل عنه يسرة ولا يمنة، ومع كل واحد منهم وعاء من الخشب قد رفعه فوق يديه وقد مدهما كأنما تتهيآن لأخذ ما يلقى في هذه الإناء من طعام.

وهم يمشون الهوينا بخلاف الشبان من الرهبان الذين يسيرون بصفة معتادة، ولكنني لم أر أحداً وضع في الأواني التي معهم شيئاً مع أنني تابعتهم وصورتهم وهم يقطعون شارعين اثنين، وذلك بخلاف ما رأيته في بورما حيث يرى المرء في الأواني التي يحملها الرهبان أرزاً يكون مطبوخاً.

وملابس هؤلاء الرهبان مثل ملابس أولئك مؤلفة من قطعتين أشبه ما تكونان بلباس الإحرام المؤلف من إزار ورداء، وهم يلبسونها في العادة كما يلبس المحرم ثياب الإحرام.

جولة على المساجد:

ذهبنا إلى مكتب للسياحة واقع على ميدان ركس الجيد الذي يقع عليه فندقنا فاستأجرنا منه سيارة صغيرة مكيفة الهواء جديدة من الساعة التاسعة صباحاً حتى السادسة مساء بـ ١٦٠ ألف دونغ ويساوي ذلك (١٣) دولاراً أميركياً أو خمسين ريالا سعودياً على وجه التقريب، وهذا رخص بالغ، والغرابة جاءت في كثرة الإجراءات وتعقيدها حيث إن المكتب حرر عقداً بيننا وبينه أشبه بالإتفاقية الرسمية مكتوباً بالإنكليزية فأعده موظف ووقعته عن الشركة موظفة، ثم قبض النقود رجل آخر

وأعطتنا إيصالا بها موظفة أخرى.

جامع السعادة:

مررنا بالشيخ محمد يوسف الذي غدا لساننا الناطق في هذه البلاد فبدونه لا نستطيع أن نفهم من أحد ولا أن نُفْهِمَ أحداً ما نريد أن نقوله وذلك لعدم وجود من يتكلم العربية غيره، ولقلة من يتحدث الانكليزية من الإخوة المسلمين.

وانطلقنا إلى (مسجد السعادة) مع الشوارع بالسيارة ووسط فيضان الدراجات المعهود، وفوق هذه الدراجات النارية المعتادة الحجم أجسام ضئيلة لذلك غالباً ما تكون أكثر من واحد.

ولاحظت أنهم يمتون بصلة ولو صلة الموقع الجغرافي بالجنس الملايوي، من عادة الابتسام السريعة عند الفريقين فما أن يرى الواحد أو الواحدة منهم أنك تنظر إليه وهو راكب على دراجته وأنت راكب في سيارتك حتى تنفرج شفتاه عن ابتسامة عفوية معروفة عند الجنس الملايوي.

وفي هذه الساعات المليئة بالحركة لأنها ساعات الذهاب إلى العمل رأينا الحافلات كثيرة، والزحام فيها شديد، ولكنه دون شدة الزحام في كثير من المدن الكبيرة المزدحمة كالقاهرة مثلا، وعجبت لماذا لا تكون الدراجات كثيرة في شوارع القاهرة كثرتها في هذه المدينة، وذكرت أن السبب في ذلك هو سهولة تملك السيارات في مصر لمن يملكون ثمنها بخلاف هذه البلاد، وتعجبت من كثرة السكان الذين ضاقت بهم شوارع هذه المدينة وكأنهم لم يحاربوا من قبل ولم تقتل الحرب منهم أعداداً كبيرة، وتذكرت أن سكان مدينة (هوشي منه) وحدها هم أربعة ملايين ونصف المليون وأن عادة هذا الجنس الأصفر هي الإكثار من النسل.

ومررنا بحي يسمى (ني يو) متوسط أي ليس بالرديء ولا بالجيد كالذي فيه فندقنا الذي لم تنفعه جودته القديمة عند رداءته الجديدة بسبب الإهمال الناتج عن قلة المال والأعمال عند سائر الناس.

ومنازل حي (ني يو) هذا مبنية من الإسمنت لأن هذه المدينة كانت عاصمة لفيتنام الجنوبية وكانت مزدهرة من الناحية التجارية والاقتصادية.

وفي هذا الحي ميدان غير واسع اسمه على اسمه، وقد لاحظنا كثرة الميادين في هذه المدينة إلا أنها غير بالغة السعة، وذلك لكونها أنشئت قبل التطور الأخير الذي استمر في البلدان الرأسمالية الحرة، ووقف بل تجمد في البلدان الشيوعية.

كما مررنا بأماكن مستديرة وهي الواسعة كالميادين الصغيرة ولكنها تكون مفروشة بالأعشاب ومزينة بالزهور يجعلونها في مفارق الطرق المتشعبة يستغنون بها عن إشارات المرور لأنه ليست في بلدتهم جسور للسيارات.

ولمناسبة الحديث عن المرور أقول: إن أكثر المفارق غير المستديرة يكون فيها شرطة للمرور يديرونه بالإشارة بأيديهم، وذلك لعدم الجسور كما قدمت.

سوق شعبي:

مررنا بسوق شعبي مزدحم فأوقفنا السيارة ونزلت أصور ما فيه من أناس وبضائع ولكن المصورة خانتني فلم ينجح الشريط الذي صورت فيه.

والسوق الشعبي هذا أكثر ما فيه الأطعمة من خضروات ولحوم وبقول، وكل ذلك غض طري، وذلك لقلة الثلاجات الضخمة التي تحفظ فيها الأغذية أو لانعدامها عند التجار، فرأينا الموز أنواعاً منوعة، وهذا ليس بعجيب لأن البلاد حارة رطبة، وهذه هي أمنية أشجار الموز.

كما رأينا لحما عندهم من لحم الماعز الذي ذبح لتوه يبيعون الكيلو الواحد منه بـ ١٨ ألف دونغ أي بدولار وثلث أو نحو خمسة ريالات سعودية.

ولحم البقر يباع الكيلو منه بـ ١٦ ألف، والدجاجة الواحدة بـ ١٤ ألفاً أي حوالي الدولار، ولحم الأرنب عندهم بكثرة يباع الكيلو منه بـ ٣ آلاف دونغ أي أقل قليلا من ربع الدولار وهناك خضروات غريبة وأشياء معروفة الاسم مجهولة الرسم عندنا مثل ثمار التمر الهندي الطازجة وثمار الكاكاو الطازجة أيضاً، وهي في نهاية الرخص ومثل عروق الزنجبيل الطرية، وقل مثل ذلك عن الليمون (البنزهير) والبصل الصغير وكل البصل الذي رأيته هنا صغير وليس في جودة بصلنا، وثمن الكيلو منه ٨ آلاف دونغ أي أقل قليلا من ثلثي دولار، وكذلك الثوم كالموجود عندما وهو بعشرة آلاف دونغ أي حوالي ثلاثة ريالات سعودية للكيلو الواحد.

الدراجات تمثل الركن الاساسي في المواصلات في فيتنام

وهم كسائر أهل جنوب شرق آسيا يعتبرون من أكلة الثوم المكثرين حتى يتضايق الزائر لبلادهم من ذلك، وأذكر أنني كنت في كوريا أتضايق من رائحة المصعد عندما أدخله فأجد رائحة الثوم قد صبغته مع أنه ليس فيه أحد، ولكن كان الذين استعملوه قبلي يأكلون الثوم بكثرة.

وفي السوق لحم خنزير كثير لم يرض أخونا ومترجمنا الشيخ محمد يوسف أن نقف عنده أو أن نسأل عن ثمنه استقذارا له، مع أننا نعرف أن القوم من أكلة لحم الخنزير، وذلك لسهولة تربية الخنازير في مثل هذه البلاد الخضراء الكثيرة القمائم المتولدة من أوراق الأشجار المتساقطة على المستنقعات والأراضي الندية التي تألف الخنازير أكلها كما تألف أكل القمائم.

ويقع هذا السوق في حي اسمه (آن دونغ) أي الشرق الآمن فآن آمن، ودونغ تعني الشرق. وبيوت هذا الحي كسابقه من الإسمنت من طابقين وطابق واحد مسنمة السقوف اتقاء للمطر الكثير في هذه البلاد المطيرة.

وبعض البيوت المجددة هي من لبن الإسمنت لأنها بنيت أو جددت في هذا العهد الشيوعي الذي لم تبق فيه ثروة بيد أحد من الشعب.

وفي آخر هذا الحي كنيسة تبدو مبنية على طراز بعض الكنائس الموجودة في فرنسا، وذلك لكونها بنيت إبان الاستعمار الفرنسي لهذه البلاد.

وعلى ذكر الكنيسة نقول: إن نسبة النصارى

في هذه البلاد لا تتجاوز ٤٪ رغم جهود المنصرين في زمن الاستعمار الفرنسي ثم في زمن التحالف مع أمريكا، ومع ذلك فإنهم موجودون، وكنائسهم موجودة ويعرف بعض المثقفين الكبار السابقين الذين تسلموا وظائف عالية بأنهم كانوا من المسيحيين، لأنهم هم الذين أتيحت لهم فرص التعلم والمهارة في عهد الاستعمار.



يكثر الرعي حينما يكثر العشب

طريقة طريفة:

من ألطف ما رأيته في زحام الدراجات النارية وغيرها من الدراجات الركشاوية والهوائية أن رجلا راكباً على دراجة نارية ليس لها صحن توضع فيه الأشياء الثقيلة، وحتى لو كان فيها مثل ذلك الصحن فإنه لن يتسع لما معه، وذلك أن الذي معه هو إطارات السيارات غير المنفوخة، فما كان منه إلا أن أدخلها واحداً فوق الآخر من رأسه إلى أسفل بطنه فصارت حول جسمه حلقات متتابعة، وقد استطاع بهذه الطريقة أن يحملها على دراجته وإن شئت التظرف قلت: إنه حملها على جسمه وهي مع جسمه محمولة على دراجته، وهذا من لطيف الحيلة.

هذا وقد ظللنا فترة نسير في داخل هذه المدينة الكبيرة التي وان لم تكن من عمالقة المدن فإنها من أكثرها دراجات بدون شك، إن لم تكن أكثرها بالفعل وأقول هذا أنا الذي رأيت العالم كله تقريباً في أي اتجاه اتجه المرء إليه من الكرة الأرضية.

ولاحظت أن اللافتات مكتوبة بلغتهم الفيتنامية ذات الحروف الغربية التي قد تشبه على البعد بعض الحروف الصينية ولكنها غيرها. بل لا صلة لها بالصينية، وفي بعض الحالات يكتبون اللافتة بالإنكليزية وتحتها اللغة الوطنية. وهذا قليل.

أما اللغة الفرنسية لغة المستعمرين السابقين فإنه لم يبق منها من اللافتات شيء.

وعندما أمعنا في ضواحي المدينة قلت للشيخ محمد يوسف مرافقنا والمترجم لنا: إنني أعتقد أننا ذاهبون الآن جهة قرية (نام يو) التي هي قرية مسلمة للمسلمين الفيتناميين الأصلاء الذين هم من الجنس الفيتنامي الغالب على هذه البلاد فقال: هذا صحيح، هذه هي جهتها، فقلت له: ألا نستطيع أن نذهب الآن إليها لأنها لا تبعد عن مدينة (هوشي منه) إلا بـ ٢٧ كيلو متراً وهذه السيارة معنا؟.

فقال: وهذا أيضاً صحيح، ولكننا لا نستطيع أن نذهب إليها، لأنها خارج المدينة، ولا يستطيع أحد من الأجانب أن يذهب خارج المدينة إلا بإذن ونخاف نحن من الحكومة إذا ذهبنا بدون إذن، وكنت أردت أن نزور أولئك الأخوة المسلمين الفيتناميين ونشجعهم ونقوي الصلة بهم عسى أن يكون في ذلك ما يكون سبباً في دخول أناس جدد من بني قومهم في الإسلام خاصة إذا ساعدناهم علي توسعة مسجدهم، أو على إرسال مدرس أو مدرسين لهم لتدريس صغارهم وإرشاد كبارهم وترجمة الموضوعات الإسلامية المهمة إلى لغتهم التي هي لغة الأكثرية من أهل البلاد.

حي كاي فو:

مررنا بحي شعبي آخر ذي منازل متصلة وأحياناً تكون متلاصقة اسمه (كاي فو)، وهو حي شعبي أكثر ما فيه ظهوراً بسطات أي بضائع قليلة تعرضها النساء للبيع كما هي العادة في الأحياء الشعبية في بلاد الصفر في جنوب شرق آسيا كله، وفي البلدان الإفريقية. والحوانيت متصلة في الشوارع وأكثرها كما أخبروا مملوكة لسائر الناس والمراد بذلك أن البضائع التي فيها هي ملك لأشخاص وليس للحكومة. وإن كان بعض أهل الحوانيت هذه إنما هم بمثابة وكلاء البيع للحكومة التي تحتكر الاستيراد والتصدير كما تحتكر المشروعات الكبيرة من الصناعة والزراعة.

ولاحظنا أن الزفت في الشوارع ليس في حالة جيدة كما هي في قلب المدينة التجاري مثل الحي الذي فيه فندقنا، فذلك شوارعه جيده الزفلته.

وكذلك الأرصفة التي تكون في أكثر الأحيان موجودة ولكنها على حالة رديئة من بعد عهدها بالصيانة والعناية.

حي نام كاو:

تركنا الشارع العام الذي كنا نسير فيه في حي (نام كاو) الذي وصلنا إليه بعد (كاي فو)، ودخلنا في شارع فرعي يسمى (ين تن) وذلك من أجل الوصول إلى مسجد السعادة الذي يسكن حوله ما لا يقل عن ستمائة من الأخوة المسلمين.

ويكثر الصينيون في حي (نام كاو) يظهر ذلك واضحاً من وجود الطلاسم وهي تماثيل منحوتة، وجمل مكتوبة بالصينية يضعونها على بيوتهم من أجل حمايتها من الأضرار، وهم بطبيعة الحال من الصينيين الكفار.

ولكن بيوتهم صغيرة حقيرة فتجد البيت وأغلبها من لبن الإسمنت من طابقين لا يزيد عرضه على الشارع عن أربعة أمتار أو ثلاثة، وفوقه طابق مثله، ويستعملون الشرفات في البيوت كثيراً وأغلبها مكشوفة ليس لها حيطان إلا قضبان من الحديد تمنع السقوط وذلك من أجل ألا تحجب الهواء الذي يكون رطباً في الصيف وحتى في هذا الفصل الذي يعتبر بارداً لا يكاد المرء يستغني عن المروحة أو المكيف، غير أن المكيفات والمرواح عندهم تكاد تكون معدومة بسبب الضيق الاقتصادي الذي فرضه عليهم الشيوعيون، وأما لباسهم فإنه لا يبعد عن ذلك فأكثرهم - والمقصود بهم الصينيون من سكان هذا الحي ليس على القسم الأعلى من أجسامهم شيء من اللباس بسبب الحر وعدم المبالاة وأطفالهم الصغار شبه عراة.

مسجد السعادة:

وجدنا في الاستقبال عند وصول المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من أهل الحي الذي ذكروا أن فيه ستمائة من المسلمين على رأسهم رئيس جمعية المسجد الأخ (الحاج عثمان) ولم يستطيعوا أن يزيدوا في اسمه على (الحاج عثمان) مع أن وصفه بالحاج قد اكتسبه بعد أن

كبر وأدى فريضة الحج، وقالوا: هذا هو اسمه الكامل عندما سألتهم عن اسمه الكامل.

وفيهم أيضاً الأخ (محمد يوسف) خازن جمعية المسجد.

حدثنا عن بناء المسجد بأن ذلك كان في عام ١٩١٨م وأنه بني في ذلك التاريخ لأول مرة يعني أنه لم يكن في مكانه مسجد قديم صغير جددوا بناءه.

وذكروا أنه بني من التبرعات - وهذا ظاهر - ولكن أي تبرعات، قالوا: إن بناءه وكذلك الإنفاق المتكرر عليه وعلى مدرسة إسلامية إنما هو من (خيرات) المسلمين.

وكلمة (خيرات) يراد بها هنا تبرعات أو صدقات، فسألتهم من أين لهم الصدقات وهم فقراء؟ فأجابوا: بأنها ليست منهم وإنما هي من إخوانهم المسلمين المهاجرين في فرنسا يرسلون إليهم الخيرات قبيل شهر رمضان من أجل توفير طعام الإفطار لفقراء المسلمين، كما يرسلون إليهم التبرعات للإنفاق على المسجد.

ولا شك أن ذلك قليل كما أخبرونا وأنه لا يفي بالحاجة ولكن هو الذي باستطاعتهم الحصول عليه.

كما ذكروا أنهم يستعينون أيضاً بتبرعات محلية صغيرة من المسلمين الموجودين في الحي على قلة ذات اليد عندهم.

وأخبرونا أن عدد المصلين في المسجد يوم الجمعة يتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠ وفي الأوقات المفروضة المعتادة ١٥ إلى ٢٠.

وهذا قليل بالنسبة إلى عدد المسلمين هنا، ولكن بعضهم بعيد عن المسجد، وبعضهم أثرت فيهم التربية الشيوعية القائمة على الإلحاد.

ولذلك عندما سألتهم عما إذا كان المسلمون يزيدون، ذكروا أنهم لا يزيدون وأنهم لا يعرفون أن أحداً من جيرانهم الصينيين الكفار دخلوا في الإسلام.

ولا شك أن السبب في ذلك هو ضعفهم في الدعوة، وتدني أحوالهم الاقتصادية الذي يجعل الناس من غير المسلمين ينظرون إليهم وكأن دينهم دين الفقر والتخلف، وإلا فإن الفقر وحده ليس مانعاً من الدعوة إلى الإسلام ولا صاداً عن الدخول فيه، لأن كثيراً من المسلمين الفقراء ذوي البصيرة في الدين قد ادخلوا أعداداً من الناس في الإسلام حتى من الأغنياء.

وذلك بتمثلهم الإسلام حقيقة. ثم بتمثيلهم له أمام الناس قولا وعملا واعتقاداً ونشاطاً في الدعوة إلى الله.

أحضر هؤلاء الإخوة الكرام دفتر الزيارات الخاص بالمسجد والمدرسة فلم أر فيه ولا كتابة واحدة بالعربية، وليس فيه ذكر لأي شخص عربي زارهم قبلنا، مما جعلنا نعتقد أنهم منسيون أو كالمنسيين من إخوانهم المسلمين في الحواضر الإسلامية.

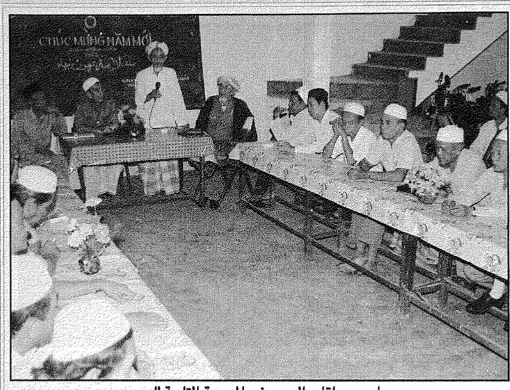
ولذلك سألتهم عما إذا كانوا قد تسلموا تبرعات من اخوانهم المسلمين من خارج البلاد غير قومهم الفيتناميين؟ فأجابوا أنهم لم يتسلموا أي شيء إلا أنهم يذكرون أن رابطة العالم الإسلامي كانت قد أرسلت قبل ٩ سنين عشرة آلاف دولار أمريكي تم توزيعها على المساجد والمؤسسات الإسلامية في فيتنام.

المدرسة الاسلامية:

وبجانب المسجد مدرسة إسلامية في مقر متصل بالمسجد بل هو جزء منه رأينا فصلا فيه مقاعد خشبية جيدة وسبورة عليها كتابة بالعربية مع أننا جئنا إليهم دون موعد مسبق، وإن كانت الكتابة تدل على عدم معرفتهم بالشهور العربية وهي السبت ٤ ربيع الآخر ١٤١١هـ، بسم الله

الرحمن الرحيم: وتحت ذلك بالعربية أيضاً، الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، قبلنا ودون معرفة ربنا.

يراد أنهم قبلوا بالإسلام ديناً دون أن يروا الله سبحانه وتعالى، وهذا مثل قول العامة في بلادنا: (الله ما شيف بالعين لكن عرف بالعقل) وشيف: رؤي.



احدي حلقات الدرس في المدرسة التابعة للمسجد

أخبرونا أن تلاميذ المدرسة عددهم (٥٠) وهم مختلطون ما بين الذكور والإناث، وعدد المدرسين ثلاثة، ومع ذلك يعانون صعوبة في توفير الرواتب للمدرسين ويستعينون على ذلك ببعض ما يدفعه القادرون من أولياء أمور الطلبة.

ورأيت سبورة أخرى قد كتب عليها بالحروف العربية (لا كاو فاتحه) ذكروا أنها من لغة تشامبا وأن معناها قراءة الفاتحة على أرواح الموتى من المسلمين.

وقد تجولت في الحي بعد ذلك وألح عليَّ طائفة من الأطفال عندما رأوا المصورة بيدي في التقاط صورة لهم وانضم إليهم بعض النسوة، وصفقوا عندما لمع نور المصورة ورقصوا فرحاً كما يفعل بعض الإفريقيين.

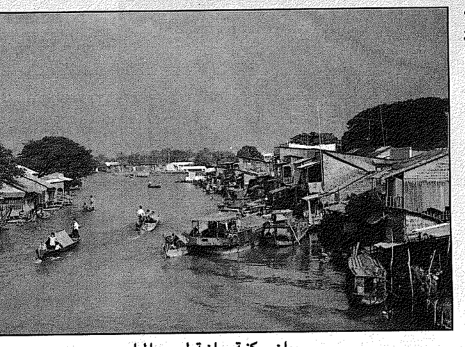
ولاحظت أن في هذا الحي كما في أكثر الأحياء الشعبية شبهاً كبيراً بأحياء التايلنديين، فالنساء يطبخن الطعام في الشارع يبعنه على المارة، ومن ذلك: قالية الموز وهي التي تبيع الموز المقلي بالزيت حاراً، بل إنها تقليه أمامك وهو رخيص ولذيذ اشترى أحد الإخوة المرافقين لنا شيئاً منه. وهو منظر مألوف في أكثر بلدان تايلند، بل هو مألوف في أكثر البلدان الاستوائية في آسيا وإفريقية.

وهنا لابد للسائح أن ينظر في وجوه الناس ليقارن في نفسه بينها وبين من رآهم قبل ذلك، فكانت المقارنة أن البائعات لسن على شيء من الجمال وأن عيون الناس هنا صغيرة تكاد تختفي من وجوههم عند الضحك بل حتى عند الابتسام.

ويبعد هذا الحي ٨ كيلات عن فندقنا، وكل ذلك عبر شوارع مكتظة بالناس والدراجات، لذلك استغرق وصولنا إليه من الفندق ٥٠ دقيقة.

كررت السؤال عن قرية (تام بو) قرية الفيتناميين المسلمين الأصلاء التي ذكروا أن فيها مسجداً لهم، وأنها تقع إلى هذه الجهة التي فيها

مسجد السعادة هذا، ولكنها خارج مدينة (هوشي منه) فذكروا صعوبة الوصول إليها لأنه لابد من إذن من حكومة فيتنام التي تحظر على الأجانب أن يغادروا العاصمة الى البلدان التي تقع خارجها إلا بإذن خاص، ذكروا عائقاً آخر وهو أن طريق السيارات التي يذهب جهتها لا يصل إليها وإنما ينقطع قبل الوصول إليها بثلاثة كيلوات لابد للمسافر أن يقطعها على قدميه لأن السيارات لا تستطيع السير عليها.



مبان سكنية موازية لمجري المياه

وقال آخرون: إن هناك طريقاً آخر بعيداً يحتاج فيه إلى ركوب قوارب في النهر.

الى حي نونيغ تاي:

ويبعد عن مسجد السعادة هذا بثلاثة كيلومترات ويعتبر في وسط مدينة (هوشي منه)، والقصد من ذلك زيارة مسجد كبير هناك، ذهبنا إليه مع شارع واسع ذي اتجاهين تفصل بينهما جزيرة فيها حشائش وحشية أي غير مزروعة ومع ذلك هي مهملة.

واشتد الزحام كالعادة من الدراجات بأنواعها في هذه الشوارع ولكن الملاحظ أن عدم السرعة هو الغالب عليهم سواء من كان منهم على سيارة مثلنا وهو قليل أو من كان على دراجة نارية.

وصلنا للجامع الذي يقع على شارع مهم اسمه (ون داي) فوجدنا اسمه عليه بالعربية (جامع المسجد) ويراد بذلك (مسجد الجامع) أو (المسجد الجامع) وتحته بالعربية ١٣٥٥هـ، ١٩٣٢م

وفوق ذلك البسملة أي (بسم الله الرحمن الرحيم)، ولكنها غير مكتوبة بالحروف وإنما بالأرقام التي ترمز إليها وهي (٧٨٦)، وهذه عادة رأيتها مستعملة كثيرا في بورما، حيث يكتب المسلمون على الأبنية الضخمة التي يملكونها هذه الأرقام (٧٨٦) التي تعني (بسم الله الرحمن الرحيم) بحساب الجمل.

والمسجد فخم المظهر له أربع مآذن عالية وقبة، وقد بناه الهنود كما كانوا قد بنوا المسجد الأول الذي رأيناه، فهذا هو ثاني مسجد لهم في هذه المدينة (هوشي منه) التي كانت تسمى (سايقون) في السابق، وليس لهم مسجد ثالث.

ومصلاه الرئيسي مستطيل كما هو طابع المساجد في هذه البلاد بأن يبنوها مستطيلة نوعاً ما وليست عريضة أو مربعة كما يفعل بعض الناس في مساجدهم وبجانبه بركة للوضوء مليئة بالماء على عادة أهل الهند وبخاصة في الجنوب هناك حيث أكثر المسلمين يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي، وفيه رواق خارجه يصلى فيه أيضاً إذا

امتلأ المسجد بالمصلين مع أنهم أخبرونا أن عدد المصلين قليل بالنسبة الى ضخامة المسجد، وبالنسبة إلى عدد المسلمين الذين كانوا موجودين في هذه البلاد قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم، إذ رحلوا مثلما رحل غيرهم من التجار وأرباب الأموال.



الركشا اداة النقل المنتشرة في فيتنام

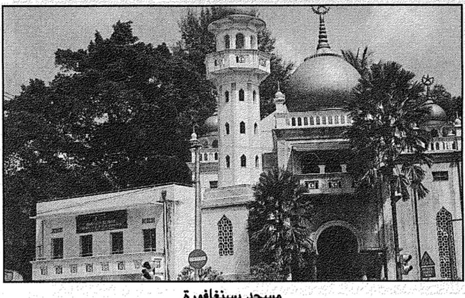
عقدنا جلسة مفيدة في داخل المسجد مع رئيس جمعية المسجد الأخ محمد صالح بن يوسف وهو موظف حكومي يعمل في الكهرباء وإمام المسجد (حاجي محمد إدريس بن يوسف)، وعدد غيرهم من المسلمين.

ذكروا أن المسجد يحتاج إلى إصلاح فسقف الرواق يكف أي ينزل منه المطر، كما يحتاجون إلى إصلاح آخر مجموعه (٢٠) مليون دونغ ويساوي ذلك ألفاً ومائة دولار أمريكية، وأنهم عاجزون عن توفير هذا المبلغ، مع أن المسجد كانت له أوقاف كثيرة منها خمسون بيتاً، ولكن الحكومة الشيوعية صادرتها وأسكنت فيها أناساً من الذين تقول إنهم لا بيوت لهم مع أن توفير حاجتهم من البيوت من مسئولية هذه الحكومة التي تعلن أنها شعبية جاءت لتوفير ما تحتاجه عامة الشعب من مأكل وملبس ومسكن، وقد وعدناهم بإرسال هذا المبلغ من رابطة العالم الإسلامي وبأننا سوف ندفع مبلغاً رمزياً من المال لمساجد هذه المدينة سنسلمه للجمعية الإسلامية هنا غداً، أما الإمام الأخ (محمد إدريس يوسف) فيتقاضى راتبه من (الخيرات) كما يقولون أي من التبرعات، وهو ذو مظهر جاوي فهو من قبيلة تشامبا ويضع (غترة) على كتفه.

وقد أخبرونا أن الذين يصلون الجمعة فيه لا يزيدون على ٤٠ والصلوات اليومية ١٠ مصلين، وذلك لكون المسلمين الهنود الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة الغالية من وسط المدينة قد رحلوا ويصلي الآن فيه أخوة من (تشامبا) القبيلة المسلمة المشهورة في هذه البلاد.

وللمسجد فناء مكشوف غير واسع ولكنه مظلل بأشجار ضخمة باسقة رأيت تحت أحدها عجوزاً من المسلمات قد جلست فوق أرجوحة معلقة في غصن قوي من أغصان الشجرة ما أن رأت أننا وصلنا إليها حتى بادرت بتغطية رأسها وشعرها، أما الحجاب بمعنى تغطية الوجه فذلك غير موجود في هذه البلاد بين المسلمات، بل غير موجود في المنطقة كلها.

«**للرحلة صلة**»


مسجد بسنغافورة



سنغافورة .. أعياد لا تنقطع

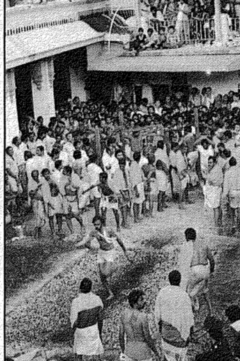
ترجمة واعداد:
الحسان الرزاقي
- المغرب -

ربما تكون سنغافورة - بثقافاتها المتعددة - اكثر جزر العالم احتفالا بالاعياد، تضاف الى ذلك المنافسات الرياضية الدولية والعديد من التظاهرات الغنية وستكتشف حدوث شيء متميز كل يوم في سنغافورة.

يحتفل هنود الجنوب بعيد الحصاد (البونغال) في معبد «سري سرينيڤاسا بيرو مال» الواقع على طريق سيرانغون، ويتميز الاحتفال بالاغاني والصلوات التي تصاحبها اصوات الاجراس الصغيرة والطبول والمزامير واصداء الاصداف البحرية الكبيرة التي ينفخ فيها، بينما يقدم الارز والخضروات وسكر القصب والبهارات الى الآلهة - حسب اعتقادهم الوثني -.

ويعتبر مهرجان «ثايبوسام» عرضا مدهشا للروح على الجسد، فالخارجون عن اطوارهم يحملون مذابح ثقيلة من الحديد و«الكافاديات على اكتافهم او يشكون اجسادهم بالاسنة الحادة والاسياخ في موكب طويل يمتد ثلاثة كيلومترات من معبد «سري سرينيڤاسا بيرومال» الى معبد «سري ثاندايو ثاباني» على طريق تانك ، والغريب انه لا يبدو انهم يحسون بالالم ولا تسيل قطرة دم من السنتهم أو من خدودهم التي تخترقها الاسياخ الحادة.

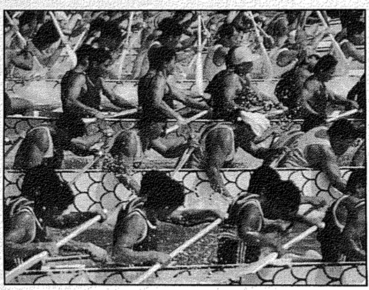
ويعتبر رأس السنة الصينية من اكثر الاعياد حيوية وروعة في سنغافورة، وتقع التظاهرات في كل أرجاء الجزيرة لكنها تتجمع بشكل أساسي في الحي الصيني، وطوال ١٥ يوما تقوم الجالية الصينية باستقبال السنة الجديدة بالفوانيس



ـ المشي على الجمر المتقد، أحد مظاهر الفرح عندهم.



ـ التنين أحد معالم عيد رأس السنة الصينية.



ـ مسابقات التجديف خاتمة مهرجاناتهم.

الورقية والمصابيح وبالموسيقى والرقص التقليدي وبالبسطات الملونة لبيع أدوات الصناعة اليدوية وقطع الحلوى فابحث عن الكتابات التي تعلق في البيوت لجلب الحظ واكتشف البسطات المغطاة بزهور الصفصاف الابيض والليمون والاقحوان.

تحتفل تشينغاي بالسنة القمرية الجديدة بموكب صارخ الالوان لا يمكن نسيانه، وعلى «اوركيد رود» وفي المنطقة المحصورة بين «سكوتس رود» و«دهوبي غاوت» تتوقف حركة المرور لفسح المجال امام الجمهور، وتجلب العربات الزاهية ورقصات الاسد والبهالين ويشيع المصارعون والممثلون على العكاكيز الخشبية والفرق الموسيقية والراقصون الماليزيون والمشاركون الاجانب جوا دوليا للحدث.

ويعتبر رمضان ـ الشهر التاسع من التقويم الاسلامي ـ شهرا للصوم المفروض من طلوع الفجر حتى غروب الشمس عند المسلمين، وهو ايضا من افضل ايام السنة لتذوق الحلويات الماليزية حينما توضع هذه المأكولات المغرية على الاطباق عند حلول الظلام في الاحياء المسلمة كشارع البصرة.

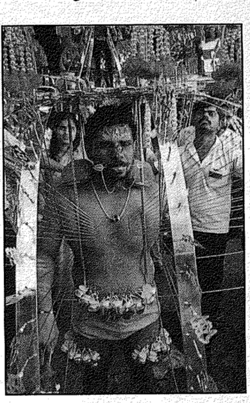
ويطبع «هاري رايا بواسا» (عيد الفطر) نهاية شهر رمضان، وهو الفرصة المختارة لتوثيق الروابط الاسرية في احتفالات خاصة، ويضاء

الحي القديم في جيلانغ بصفة خاصة باكمله وتزين البيوت الماليزية بالفوانيس كما ترتاد البازارات في الشوارع.

وفي عيد ميلاد الامير الثالث يكرم إله طفل - هكذا في معتقدهم - يمتطي «دواليب الريح والنار»، ويحمل سوارا سحريا ورمحا، ويقوم وسطاء خارجون عن اطوارهم بطعن أجسادهم بالخناجر والسيوف، وتراق دماؤهم على طلاسم من ورق اصفر يحتفظ بها المتدينون بحرص شديد، وتقام هذه الطقوس في المعابد الصينية او في اماكن اعدت على عجل في الهواء الطلق.

اما «يوم فيساك» فهو يوم احياء ذكرى ميلاد بوذا - عند البوذيين - ودخوله «النيرفانا» وهي حالة من السكينة - فالرهبان في ثيابهم الزعفرانية ينشدون «السوترا» وغيرهم يصلون ويتأملون في المعابد، والطيور تحرر من أقفاصها وعندما يحل الليل تؤذن مواكب الشموع بنهاية الاحتفال.

ويذهب معتقد صيني إلى أن أبواب الجحيم تفتح على مصاريعها في الشهر السابع من السنة القمرية وان ارواح الموتى تكون حرة في التجول عبر «عالم النور» لمدة ٣٠ يوما، وخلال «عيد الاشباح الجائعة» يقدم الصينيون القرابين ويوقدون الشموع والاوراق المعطرة وعيدان البخور خارج المنازل والمكاتب لتهدئة الارواح المخلوعة والتائهة وخلال شهر، وفي ملتقيات الطرق في الحي الصيني وايضا خارجه في المدينة تقام الولائم تحت الخيام الكبيرة والحفلات الموسيقية والعروض المسرحية (وايانغ) في الهواء الطلق.

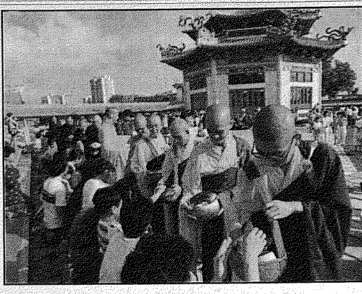


- يقاوم الألم والسهام مغروزة في صدره وفمه.

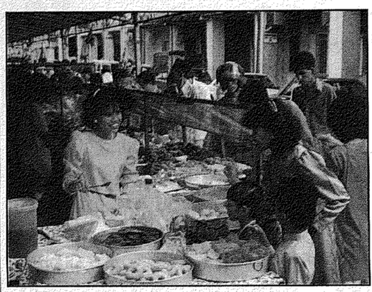
وفي التاسع من اغسطس (آب) تحتفل سنغافورة بعيدها الوطني «اليوم الوطني» ففي هذا اليوم تتتابع بشكل مؤثر المواكب والالعاب النارية ويستمر كرنفال اليوم الوطني عشرة ايام وهو اكبر التظاهرات التي تتضمن الالعاب والملاهي في سنغافورة وتجذب اكثر من مليون من الناس وفي نفس الفترة يحتفل بـ «سوينغ سينغابور» وهو الطبعة السنغافورية لثلاثاء المرفع او عيد الجعة، ويغلق اوركيد رود في وجه حركة المرور لفسح المجال امام موكب ضخم يعج بنصف مليون شخص من المقيمين والسياح، انه موعد للموسيقى والانوار والرقص طوال الليل.

ويجري مهرجان كعكة القمر في الليلة الخامسة عشرة للشهر القمري الثامن ويرتبط هذا العيد الصيني بكل انواع القصص الغريبة، وتروي كل سنة، يكرم مهرجان قوارب التنين شاعرا قديما ورجل دولة صينيا كان قد اغرق نفسه احتجاجا على الفساد السياسي والظلم، وتروي الاسطورة ان الصيادين يتسابقون في محاولة لانقاذه وانهم يقرعون الطبول والصنوج والاجراس بنشاط ويرمون الارز في البحر ليمنعوا الاسماك من التهامه، وأهم لحظات الاحتفال هي مسابقة التجديف العالمية حيث تتواجه فرق الجدافين من عشرين دولة.

احدى الاساطير ان الرسائل السرية تخفى في الحلويات المصنوعة على شكل البدر من طرف الوطنيين الصينيين الذين يرومون الاطاحة باسرة يوان المغولية، وكيفما كان اصله فانه يعتبر من اكثر الاعياد طرافة، فالاطفال يتجولون بفوانيس ذات اشكال حيوانية، وفي المساء تعرض الفوانيس الصينية من كل الاشكال ومن كل الاحجام في الحديقة الصينية، وتحشى كعكات القمر بسكاكر غريبة وتوجد في جميع اشكالها بدكاكين الحلوى وفي المخازن الكبرى وفي الحي الصيني.



من الاحتفالات لديهم



شراء الحلويات استعدادا للعيد

كل سنة ، واثناء الحج الى جزيرة كوسو يأخذ الصينيون زورقا الى «جزيرة السلحفاة» (كوسو) لالتماس الرفاهية والسعادة والخصب في معبد «توابيكونغ».

وتكرس الليالي التسع لـ «نافاراثيري» للصلوات الحارة لزوجات الثالوث الهندوسي بينما يسعى الاتباع الى الارتقاء ويبلغ ذروته بالموكب الى معبد «تانك رود» وترافق الصلوات في المعابد الهندوسية كل مساء، الموسيقى الهندية والرقصات التقليدية.

ويعتبر «ثهيميتي» احتفالا سنويا للمشي على النار، وتفزع الجماهير الى معبد «سري ماريامان» على طريق الجسر الجنوبي لمشاهدة المتعبدين الهندوس وهي مندهشة يمشون دون ان تخور قواهم على الجمر المتقد وتبدأ الاحتفالات في الساعة الثانية صباحا حين توقد النيران ويبدأ المشي على النار حوالي الساعة الثانية بعد الزوال.

اما «ديبافالي» او عيد الانوار وهو تظاهرة هندوسية سارة تبرز انتصار النور على الظلمات والخير على الشر، وتقصد المعابد للصلاة لكن عطر الحلوى يملأ معظم المنازل وتزين المعابد والشوارع في الحي الهندي بأشرطة الزينة والانوار والازهار.

(*) هذا المقال مترجم عن كتاب:
Surprenante Singapore, Singapore Tourist Promotion Board, PP: 16 - 19

صور مشرقة
قصص من
التاريخ السعودي

إعداد:
عبد الله بن ناصر الحديب
ـ السعودية ـ

أمن وعدل:

في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد[١] أتى حاج من العجم ونزل قرب واد تقيم حوله احدى القبائل فَسُرِقَ من الحاج غرارة[٢] فيها من الحوائج ما يساوي عشرة قروش وكانت للعشرة قروش آنذاك قيمة ـ فكتب صاحب الغرارة إلى الإمام عبد العزيز ـ إمام الدولة السعودية الأولى ـ يخبره بذلك، فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة، فلما حضروا عنده قال لهم: إن لم تخبروني بسارق الغرارة وإلا جعلت في أرجلكم الحديد وأدخلتكم السجن، وأخذت نكالا[٣] من أموالكم، فقالوا: ذرنا نصل إلى أهلينا ونسأل عنه ونخبرك، ولم يكن بُدّ من إخباره، فلما أخبروه به، أرسل إلى ماله وكان سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال وجيء بالغرارة لم تتغير، وكان صاحبها قد وصل إلى وطنه فأرسلها الإمام عبد العزيز إلى أمير الزبير، وأمره أن يرسلها الى صاحبها في ناحية العجم.

وفي حادثة أخرى وقعت في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد أيضاً يقال إن رجالا من سُرّاق الأعراب وجدوا عنزاً ضالة في رمال نفوذ السر المعروفة في نجد، وهم جياع وكانوا مقيمين يومين أو ثلاثة في جوع شديد، فقال بعضهم لبعض لينزل أحدكم على هذه العنز، فيذبحها لنا لنأكلها فكُلّ منهم يقول لصاحبه إنزل إليها، فلم يستطع أحد منهم النزول خوفاً من العاقبة على الفاعل، فألحوا على رجل منهم فقال: والله لا أنزل إليها فتركوها وهم في أشد الحاجة إليها[٤].

حق قديم وعدل مقيم:

يحكى أنه في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود خرجت امرأة من أهل بريدة كانت ذات مال وجاه، إلى البرية أيام الربيع، ومعها بعض خدمها، فلما أرادوا الرجوع إلى البلد جنّ عليهم الليل فضلّوا الطريق، فلما قرب الصباح انفردت هي عن جواريها لوقوعهن بين تلال فصادفها رجل سارق ، فيه سمات الخبث والإثم، فقال لها: من أنت؟ قالت: فلانة، وكانت مشهورة بالصدق أيضاً، فلما سمع بها وهو يعرفها بالاسم والصيت، قال لها: أهلا وسهلا، وكان طامعاً بها فلم تجبه إلى أكثر من قولها: انظر مَنْ خلفك؟ فخاف، فالتفت ملياً فلم ير أحداً فقال لها: من ذا الذى ترهبيني به؟ قالت: عبد العزيز آل سعود، فإن كنت عاقلا فلا تطمع ،



فأخذ يتملق ويلتمس منها المقاربة حتى غلب على أمرها بأخذ المال الذي معها من الحلي وتخلية سبيلها، فاستغنمت ذلك، وهي عارفه أن المال لا يفوت، فلما بزغت الشمس، عرفت السبيل المفضي بها إلى البلد، فسلكته حتى انتهى إلى بيتها، وكانت ذات زوج فسُئلت عن حالها بالأمس، وسبب التخلف، فقصّت عليه القصة، فما كان منه إلا أن رفعها إلى الإمام عبد العزيز فجعل عبد العزيز يسأل ويتفحص ويبحث ويلح في البحث معلناً ومسراً، وكلما مرت الأيام اقتربت منه المعرفة وكشفت الجريمة عن بعض ملامحها. أما السارق الأثيم فكان كلما مرت الأيام ومرت الشهور والسنين اطمأن وهدأ وأيقن أن الجريمة قد ماتت في أكفان الزمان.

وبعد أربعة عشر عاماً، عرف الإمام عبد العزيز خبر ذلك السارق وأنه ينتمي لقبيلة معروفة في نجد، فأرسل في طلبه، فلما جاءه قال له:

أتدري مالنا عليك من الدين؟

قال: أيها الإمام، إني لم أقترض منك ديناً!

قال الإمام عبد العزيز: بل الحُلي التي سلبتها! فإنها دين يجب أن يؤدى، لكن الرجل حاول المراوغه والاحتيال والكذب، فحاصره الإمام بالأدلة، ولم يزل به حتى خارت قواه فأقرّ بجريمته، فحكم عليه الإمام برّد ماليه من الحلي.

وضمان ما فُقد منها، ثم أوقع به عقوبة الدَّين[٦].

غاليه:

اثناء الحملات العثمانية التي سعت للقضاء على الدولة السعودية الأولى، توجهت حملة سيرها حاكم مصر محمد علي باشا باتجاه «تربه»[٧] في صيف ذلك العام بقيادة ابنه طوسون فعادت هذه الحملة تشكو الحرّ والجوع، وأمّا الحملة الثانية فقد عادت تتحدث عن بدوية باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم على القتال هذه البدوية هي غاليه وقد هاجمت بنفسها جيوش «مصطفى بك» قائد الحملة فهزمتهم شرّ هزيمة[٨]. فتعال لتعرف خبر وقصة غالية:

ولدت غالية في «تربة» قرب مدينة الطائف الواقعة غربي شبه الجزيرة العربية، وعاصرت الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وتغلغلت دعوته في قلبها فبذلت من أجلها الغالي والنفيس ومكثت زمناً تدعو إلى الحق وترك زيارة القبور للدعاء أو التبرك وحذّرتهم من الشرك والخرافة.

وبسبب مناصرتها لدعوة الشيخ لقُبت بـ «غالية البقمية أو الوهابية» وكما هي سُنّة الصراع بين الحق والباطل فقد شن أعداء الحق حربهم على الدعوة التجديدية المباركة[٩].

يقول محمود فهمي المهندس متحدثاً عن غالية: «لم يحصل من قبائل وعشائر العرب القاطنين بالقرب من مكة المكرمة مقاومة ولا مبارزة أشد مما اجراه عرب البقوم في تربه.. وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب، وصارت تربة نقطة تجمع انصار الدعوة المباركة الموجودين في الجهة الجنوبية - كما أن الدرعية نقطة تجمعهم في الجهة الشمالية - وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت امرأة أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة وكانت على غاية من الغنى والثروة ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يريدون القتال»[١٠].

«وكانت مائدتها دائماً معدة لكل اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المخلصين الذين يعقد زعماؤهم مجالسهم في بيتها، وبما أن هذه السيدة الكبيرة كانت مشهورة بسداد الرأي

والمعرفة الدقيقة بأمور القبائل المحيطة بها فإن صوتها لم يكن مسموعاً في تلك المجالس فقط وإنما كان هو المُتَبَنَّى بصفة عامة[١١].

وفي ذي الحجة ١٢٢٨هـ (نوفمبر ١٨١٣م) هاجم طوسون تربة ومعه ٢٠٠٠ نفس ولكن أهلها - الذين كان وجود غالية بينهم يزيدهم حماساً وإصراراً - تصدوا بشجاعة للهجوم، واضطر جنود طوسون إلى التقهقر وتركوا خيامهم وأسلحتهم وقتل منهم ٧٠٠ شخص ومات كثير منهم جوعاً وعطشاً[١٢].

لقد أبلت «تربة» بلاء حسناً في مقاومة العدو.. وتألقت «غالية» بحكمتها وبذلها وتنظيمها للصفوف وتحريضها على القتال حتى لقبت بـ «الأميرة» لم تكتف غالية بتربية الناس وتعليمهم، بل حرضتهم على الجهاد، وضربت لهم أروع الأمثله في التضحية والعطاء[١٣].

وقال مؤرخ مصر «الجبرتي» في حوادث صفر ١٢٢٩هـ: وفي يوم الاثنين الثاني من شهر صفر وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج الى مصر وسبب حضوره أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة، والمتأمّر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شرّ هزيمة، فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل[١٤] «وقد ذاع اسم غالية في كل البلاد منذ الهزيمة الأولى لمصطفى بك قرب تُربّة. وسرعان ما ضاعف مخاوف الجنود الأتراك منها نفوذها وأهميتها ورووا اسخف القصص عن قواها»[١٥]، واعتقدوا أنها ساحرة وأن لها قدرة على إخفاء رؤساء واتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أعينهم[١٦]. وما إن تسمع جيوشهم باسمها حتى يجبنوا عن القتال، ويعودوا القهقرى، وبدأوا يروون عنها العجائب والخرافات وربما كان رؤساء الجيش الغازي يروجون هذه الخرافات والأكاذيب ليبرروا سبب هزيمتهم ظناً منهم أن هذه الحرب الإعلامية ستكون من صالحهم، ولكن ما حدث كان خلاف ذلك فقد ثبطت هذه الاكاذيب من همم جيشهم، وباتوا في هلع وجبن وخوف وخور عن مقاتلة غالية وجيشها[١٧]. وجاء في حوادث جمادي الأولى ١٢٢٩هـ (٢٤ أبريل ١٨١٤م) من تاريخ الجبرتي ما يلي: وفي اليوم الرابع وصلت هجانه من ناحية الحجاز، وأخبر المخبرون أن طوسون باشا وعابدين بيك ركبا بعساكرهما على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام، ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل[١٨].

وفي مطلع سنة ١٢٣٠هـ جرت معركة «بسْل» المشهورة - مكان قرب تربة - بين الجيش السعودي والجيش الغازي بقيادة محمد علي باشا الذي أقبل بعدد هائل من مصر لما رأى ابنه يتجرع الهزيمة تلو الأخرى وتولى محمد علي القيادة العامة للجيش وتقابل الطرفان الجيش السعودي ثلاثون ألفاً وجيش محمد علي يفوق هذا العدد بكثير علاوة على تفوق جيشه في العدة والعتاد والآلات الحربية، وجرت معركة يشيب لهولها الوليد وانجلت عن انتصار جيش محمد علي وبعد هذا الانتصار بدأ الغزاة بتتبع قادة الجيش السعودي ليتم ترحيلهم إلى القسطنطينية ليتم إعدامهم، وحرصوا أشد الحرص على القبض على غالية، التي كانت قد لجأت بعد الهزيمة إلى إحدى القبائل واختفت بينهم، فراسلها الغزاة وأمّنوها بالوعود وأعطوها المواثيق والعهود لتخرج ولكنها أبدت رفضها، لأنها اعتادت منهم الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود، ولأنها توقعت أن مصيرها سيكون مصير العشرات قبلها ممن أعطاهم هؤلاء الغزاة

العهود والمواثيق والأيمان المغلظة ثم غدروا بهم شر غدرة، واختفت غالية واختفى خبرها معها فلا ندري عنها شيئاً بعد ذلك إلا ما ذكره صاحب «الدر المفاخر في أخبار العرب الأواخر» من أنها ذهبت إلى الدرعية وعاشت فيها[١٩] إلا أن هذا الاحتمال غير مؤكد[٢٠].

من خان لك خان عليك:

أثناء حصار الدرعية على يدّ ابراهيم بن محمد علي باشا سنة ١٢٣٣هـ الذي استمر أكثر من ستة أشهر أبدى أتباع الإمام عبد الله خلالها شجاعة فائقة، وتكبدوا - كما كبدوا عدوهم - خسائر فادحة، لكن موقف هؤلاء الأتباع كان يضعف تدريجياً بسبب طول الحصار وما يصل إلى قوات ابراهيم من إمدادات متوالية من جهات مختلفة، وبدأ اليأس يدّب في نفوس بعض المدافعين، فترك جماعة منهم الدرعية ولم تقف الحال ببعضهم عند حد الهروب من الدرعية نجاة بأنفسهم من المصير المخيف، بل إن منهم[٢١] من خرج وانضم إلى ابراهيم باشا وكان من ابرزهم رجل ثار على الإمام عبد الله بن سعود نتيجة خلاف بينهما، ولا شك أن ذلك كان ضربة قاسية للمدافعين السعوديين، إذ أن ذلك الثائر كان يعرف مواطن الضعف في دفاعات الدرعية، ومن المرجح أنه أرشد إبراهيم إلى تلك المواطن فركز نيران مدفعيته عليها[٢٢] ولهذه الخيانة قصة حيث نصح القائد الثائر - بحكم معرفته مواطن الضعف في اسوار الدرعية - قائد الحمله ابراهيم باشا بأن يضع فوهات المدافع على ربوة مرتفعة ومحاذية لاسوار الدرعية وبالفعل عمل ابراهيم بتلك النصيحة ورأى آثارها بتهدم جزء كبير من سور الدرعية - حاضرة الدولة السعودية الأولى - ومكافأة من إبراهيم لذلك الناصح له فقد امره بالمثول أمام المدفع ذاته الذي هدم اسوار الدرعية ثم اطلقت عليه نيران المدفع نفسه لترديه قتيلا، وكان ابراهيم باشا يردد: «من خان لك خان عليك»[٢٣] ويقصد إبراهيم باشا بذلك أن هذا الثائر على الإمام عبد الله بن سعود قد خان قائده وإمامه لذلك فإنه سوف يأتي اليوم الذي يخون فيه ذلك الثائر ويغدر بابراهيم باشا، ولذلك كان مصير ذلك الخائن القتل.

قصر لا يهدم:

بعد أن تم لمحمد بن عبد الله بن رشيد النصر في معركة حريملاء سنة ١٣٠٩هـ على آخر حكام الدولة السعودية الثانية الإمام عبد الرحمن بن فيصل كانت هذه المعركة بمثابة الإعلان عن نهاية تلك الدولة فأمر محمد بن رشيد بهدم قصر الحكم بالرياض[٢٤] الذي كان مقر حاكم الدولة السعودية الثانية - والتفت ابن رشيد إلى أحد أصحابه وقال: أترى هذا البيت يقوم ثانية؟ قال له الرجل مجاملا: لا يا الأمير ولا يوم يبعثون.. وكان ابن رشيد عاقلا حصيفاً فقال: لا يا بعد حيي والله الذي لا إله إلا هو إنه سيقوم وستسمع «لبنة طينة»[٢٥] فتعجب الرجل من ردّ ابن رشيد وقال: وماذا عندك من استنباط؟ قال: يا بعد حيي آل سعود مؤسسون على نية صادقة وعلى دعوة ابن عبد الوهاب وهي المستمدة من أصول الإسلام وتعاليمه[٢٦].

وصدقت توقعات ابن رشيد عندما تمكن صقر الجزيرة الملك عبد العزيز من انتزاع الرياض واستعادتها سنة ١٣١٩هـ من عبد العزيز بن متعب بن رشيد ومن ثم شرع البطل عبد العزيز في بناء ما تهدم من قصور الرياض واسوارها خلال بضعة أسابيع من استعادته لها.

ابن سعود وأهل القصيم:

أثناء معارك الملك عبد العزيز مع خصمه الكبير الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد في

القصيم اشتد الأمر على أهلها، وقد كانت القصيم مسرح العمليات للمعارك بين ابن سعود وابن رشيد لا سيما وأنها قد شهدت معركة البكيرية، ومعركة الشنانة، وأخيراً معركة روضة مهنا. وأحس الملك في عبقرية نادرة ما يجول في بعض النفوس من التململ وأراد أن يشد أزر القوم بأن يقودهم بقلوبهم وليس بأبدانهم فقط، وأراد الإعذار وتبيين الأمر لهم بأنه ليس في صالحهم أن يتركهم الإمام عبد العزيز ويتولى عليهم الأمير الصارم، فجمع أهل الحل منهم مثل آل أبا الخيل وآل الرشودي، وآل الجربوع، وآل الربدي، وآل الشريدة. وبقية رؤسائهم وقال لهم: «يا أهل القصيم أنا أحبكم ولا أضمر لكم إلا كل خير، وقد رأيت ما فعلت الحروب بنا وبكم وأنا لا أكرهكم على الحروب، وأود الصلح بيني وبين هذا الرجل - يعني ابن رشيد - فأنا عازم على الرحيل وابعثوا من تثقون به منكم ليكلم الأمير عبد العزيز بن رشيد، فان رحل وترككم فهذا والله خير لنا جميعاً، يذهب إلى الجبل - أي جبل شمر - وأذهب إلى الرياض وأنتم أحرار في بلدكم[٢٧]. وقد لقي هذا الاقتراح من الإمام عبد العزيز قبولا في النفوس، وفعلا أرسل أهل القصيم فهد العلي الرشودي - احد الاعيان وكان ذكياً عاقلا شجاعاً - كمندوب لمحادثة ابن رشيد في هذا الموضوع، وذهب إليه الرشودي وكان معسكراً قرب قصر ابن عقيل بعد معركة الشنانة، وما أن وصل الرشودي حتى بادره ابن رشيد قائلا: ماذا تريد يا فهد الرشودي؟ فأجابه قائلا: أيها الأمير نريد منك أن تضع الحرب عنّا ويضع ابن سعود الحرب كذلك وكل يبقى في بلده، فزمجر ابن رشيد وقال: تبقى لي «جبه» يا بعد حيي لينسحب عنكم ابن سعود وأبقى أنا. فقال الرشودي: أخشى أن أهل القصيم لا يريدون ذلك، فصاح: هذا رأيك فقط! وأخذ ابن رشيد يتوعد الرشودي وأهل القصيم، فقام من عنده الرشودي فزعاً وابن رشيد يقول له: والله لو أن الله ولاني عليكم لأفعل كذا وكذا.

ثم عاد الرشودي إلى الملك عبد العزيز فقال له: ما عندك يا فهد؟ قال: أريدك على انفراد، قال: لا، قل ما عندك لقومك علناً فالأمر يهمكم أنتم يا أهل القصيم قبلي، فتحدث الرشودي بما سمع ورأى ثم قال عبد العزيز: هاه يالمسلمين[٢٨] ؟ فقالوا بصوت واحد: الآن جد الجد وأنت يا عبد العزيز ونحن معك على السراء والضراء، وعزموا على الحرب بجهد مضاعف في دفع الرجال والأموال حتى تم لهم ما أرادوا[٢٩] وبذلك دخلت القصيم في طاعة الملك عبد العزيز سنة ١٣٢٤هـ حيث قتل في هذه السنه عبد العزيز بن رشيد في معركة روضه مهنا ليسدل الستار عن منافس خطير للملك عبد العزيز في نجد.

يطلب مُلكاً لا تجارة:

يقول الاستاذ: صالح الزمام حدثني والدي محمد الزمام رحمه الله أنه حدثه من يثق به قال: لما فتح جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله الأحساء سنة ١٣٣١هـ وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة الدولة العثمانية وجد مبلغاً كبيراً من المال فأمر خادمه الخاص ويقال له «شلهوب» بأن يوزع المال على الرجال الذين مع الملك في ذلك اليوم، فوزع شلهوب المال وأراد أن يبقى جزءاً منه احتياطاً إذا دعت إليه حاجة يقول شلهوب: فذهبت لأستأذنه في ذلك فغضب ونظر إليّ شزرا وأهوى إليّ برجله فلو أصابتني لقتلتني وقال ليّ: وزّع المال كله، أتراني أريد الملك أم التجارة لا أم لك؟! فوزعها كلها ولم يبق منها شيئاً[٣٠].

ويروي أن الملك عبد العزيز كان في وقت من

الأوقات في عسرة ضانكة من قلة المال، وفجأة وصلت إليه مبالغ تفوق ما كان يتوقعه فأخذ يفرقها، وكانت ذهبا أحمر، فنظر إليه أحد محبيه وجلسائه نظرة عتاب، وفهم الملك عبد العزيز قصده، فقال له رحمه الله: أردت أن أجرّب نفسي، هل «أقواها» أو «تقواني؟» وأني هل أتغلب عليها وهي تدعوني إلى الامساك أم اغلبها بالانفاق؟[٣١].

صنائع المعروف تقيّ مصارع السوء:

في وقعة الشعيبة التي وقعت سنة ١٣٣٧هـ بين جنود الملك عبد العزيز وقبيلة شمر وكان من بينهم رجل من الويبار يقال له «حداد بن مجلوب» قال: كنت من النفر الذين أصيبوا في تلك المعركة إصابات قاتلة عديدة، ولكن أحياني الله بالرغم من أن الأعداء لم يتركوني إلا وهم يعتقدون أنني في حساب القتلى. والواقع أنني بقيت أياماً في وسط القتلى كواحد منهم بلا شعور ولا إحساس، اللهم إلا شعوراً نسبياً لا أستطيع أن أعبر عنه إلا أن أقول إنه شعور أكمل من شعور النائم وأقل من شعور الإنسان عندما يكون في يقظته الكاملة، وعندما أبلغ هذه الدرجة التي بين النوم واليقظة أشعر كأن إنساناً يحلب ناقتي التي لا أنكرها، فاذا انتهى منها ناولني حليبها الذي لا أذكر بالدنيا طعماً ألذّ منه، وبقيت تلك المدة أنعم بهذا الغذاء إلى أن عاد إليّ إحساسي وشعوري وكامل صحتي، فوجدت نفسي أشبه ما يكون بالمرء الذي استيقظ بعد رقاد طويل، وعند ذلك ذهبت أفكر في سرّ حليب هذه الناقة التي كنت أسقى حليبها عندما كنت في تلك الحالة الخطرة وإذا بي أذكر أنها ناقتي التي وهبتها لأيتام توفي والدهم وهو لا يملك من حطام الدنيا درهماً، فذهبت ووهبتهم هذه الناقة فظلوا يشربون حليبها.. وهكذا زاد إيماني بالله بأنه لا يضيع أجر المحسنين ومن تلك الحادثة إلى يومنا هذا آليت على نفسي أن لا أدخر وسعاً من فعل الخير ما استطعت إليه سبيلا[٣٢].

دهاء ملك:

في إحدى الليالي كان الملك عبد العزيز ساريا نحو أحد أعدائه، ومعه ثلّة من جنده، وكان راكبا فرسه، ومستعدا لأي طارىء أو مفاجأة تحدث، وعثر على رجلين من رجال البادية على جمل لهما، فأوقفهما وسألهما عن الجهة التي يقصدانها، والجهة التي أقبلا منها، فأخبراه، فلم يقتنع بما قالا، وشعر بفطنته وتجربته أنهما غير صادقين، وأنهما بما قالا يغطيان عن الجهة الحقيقية التي قدما منها، والجهة الحقيقية التي يقصدانها. ففاجأهما باتهامهما أنهما «سبور لعدوّه»[٣٣] فأنكروا، فانتزع أحدهما من مكانه، ودكه بين يديه على سرج الحصان وذهب به بعيدا حتى أخفاهما الظلام. فسمع أصحابه طلق نار مرتين من مسدس، وبعد لحظات عاد عبد العزيز، وأهوى لينتزع الثاني، فانهار، وأقر بالحقيقة. وأخبر أنه وزميله كانا في مهمة تجسس لعدو الملك عبد العزيز، وأنه في المكان الفلاني. فسأله الملك عبد العزيز: ما اسم زميلك الذي انتزعته من خلفك قبل قليل؟ قال: فلان. قال الملك عبد العزيز ناده. فناداه فجاء يجري، ولم يكن أصيب بسوء. وقد استعمل الملك عبد العزيز هذه الخدعة ليقر هذا بما لم يقرا به من قبل وأوهم هذا أنه قتل زميله، وأنه سوف يلحقه به، ونجحت كما رأينا وقد أبقاهما الملك عبد العزيز معه. وقال لهما إنه سوف يُغير على عدوه هذه الليلة، فإن وجد أنهما صادقان فيما أخبرا عن محلّ عدوه، فسوف يُخيرهما بين أن يذهبا أو يلتحقا بخدمته هو وإن تبين له أنهما كاذبان فسوف ينالهما عقابه[٣٤].

مقتلة حواشيش :

في سنة ١٣٢٣هـ وبعد معركة البكيرية بشهور يمم عبد العزيز بن متعب بن رشيد أطراف بريدة بقواته ونزل «روضة مهنا» وهي مرعى خصيب ممرع تسيم فيه الابل والأنعام كما يقصدها فقراء القصيم والمعوزون يأخذون الاعشاب والحشائش يرتزقون ببيعها في المدن والقرى، حتى اذا نزلها ابن رشيد - وهو ممتلىء غيظاً وحنقاً من توالي الهزائم عليه وخسائره الفادحة في الحرب وتمكن خصمه منه - وجد بها أربعين كهلا فانياً من الفقراء العاجزين، ومع بعضهم اطفال لا يتجاوز أكبرهم العاشرة من عمره، أتوها كعادتهم يحصدون الحشائش ويبيعونها وينفقون ثمنها على أنفسهم، وكانوا من أهل القصيم - والقصيم قد دخلت تحت طاعة الملك عبد العزيز - فما كان من ابن رشيد إلا أن أمر رجاله أن يأتوه بهم ووقفوا بين يديه وبِيَد كل منهم منجله يحصد به والمكتل يضع فيه الحشائش، وقد عرف هؤلاء المساكين مصائرهم من معاملات رجال ابن رشيد القاسية وأذاهم اياهم فوجموا، كما انتفض بعضهم هلعاً، وأجهش الاطفال بالبكاء والتوسلات·· فلم يلن ابن رشيد لبكائهم، ولم يرق قلبه لادمعهم·· لقد أتى بالاربعين الطاعنين في السن ورصدهم على أبعاد متساوية وجزّ رؤوسهم، كما قتل أولئك الأطفال الابرياء، واذ أتى دور شيخ بيّض الدهر مفرقه، وتيقن أنه لا محالة قتيل نظر إلى ابن رشيد بعينين مكدودتين، ودمعة حزن واشفاق تنحدر على وجنتيه المتجعدة وأمسك بطفله وقال: أيها الأمير، أفعل بي ما تريد وابق على هذا الصبي، فان وراءنا أيامى لا يعولهن غيرنا! فما كان جوابه إلا رأس الطفل يتدحرج على الأعشاب·· رأى الشيخ ما حل بفلذة كبده، فما كان منه إلا أن انبجست عيناه الغائرتان بالعبرات الحارة وتحركت شفتاه الضامرتان بألفاظ تمتم بها، فجذبه ابن رشيد بتلابيبه جذبة قوية ظن منها ان روحه انتزعت منه انتزاعا وهوى السيف على عنقه فسقط على الأرض ودمه يسيل عليها[٣٥]·

لم يلتذّ ابن رشيد بنوم من يوم تلك المذبحة حتى يوم مصرعه·· فكان يهب فزعاً صائحاً من نومه كأنما يتراءى له الشيخ والطفل والشهداء في أيديهم البواتر والرماح يسددونها إلى مقتله أو يخزونه بالابر، أو يضعونه في سفود ثم يضعونه على جاحم يتضرم[٣٦]·

مكث ابن رشيد على هذا الحال سنة كاملة يتعذب قلبه وروحه فلا يهنأ بطعام ولا يجد للنوم سبيلا وتنقضي سنة ١٣٢٣هـ وتطل السنة التالية، وفي ليلة الثامن عشر من صفر من سنة ١٣٢٤هـ تدور معركة «روضة مهنا» بين الملك عبد العزيز وعبد العزيز بن متعب بن رشيد ويُقتل في هذه المعركة ابن رشيد، وتشاء عدالة السماء أن لا يموت ابن رشيد إلا في الموضع الذي قتل فيه اولئك الابرياء الكهول فارتمى جسده فوق الصعيد الذي حصدهم فيه، وكذلك جزاء الظالمين[٣٧]·

الهوامش:

(١) هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولد سنة ١١٣٣هـ حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة والده الإمام محمد بن سعود - مؤسس الدولة السعودية الأولى - سنة ١١٧٩هـ وكان عبد العزيز تلميذاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان لعبد العزيز ثلاثة من الابناء هم الإمام سعود، وعبد العزيز وعمر، توفي الإمام عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ رحمه الله·

(٢) الغرارة: عبارة عن كيس مصنوع من شعر المعز توضع فيه الحوائج·

(٣) النكال: هي غرامة مالية من نقد أو بهيمة الأنعام·

(٤) الشيخ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ط ٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الجزء

الأول، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩.

(٥) المقصود به الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٦) مؤلف مجهول، لمع الشهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ص ٥٢، ٥٣ ، وكتاب عبد العزيز سيد الأهل، «داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب»، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، ص ١١٨ ، ١١٩.

(٧) تقع بوادي تربة بمنطقة مكة المكرمة على دائرة عرض ١٣ ، ٢١ شمالا وخط طول ٣٩ ، ٤١ شرقاً.

(٨) أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته مؤسسة دار الريحاني، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م ص ٨٢.

(٩) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ - مارس ١٩٩٥م ، العدد ٢٠.

(١٠) محمود فهمي المهندس، البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والاواخر، الجزء الأول، المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ص ١٨٣.

(١١) الرحالة جوهان لودفيج بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض.

(١٢) خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، آيار - مايو ١٩٨٠م، الجزء الخامس، ص ١١٥.

(١٣) مجلة الأسرة، شوال ١٤١٥هـ - مارس ١٩٩٥م، العدد ٢٠.

(١٤) العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت، الجزء الثالث، ص ٤٧٧.

(١٥) الرحالة جوهان لودفيج بوركهارت، مرجع سبق ذكره، ص ١٤١.

(١٦) خير الدين الزركلي، مرجع سابق الذكر ١١٥/٥.

(١٧) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(١٨) الجبرتي، مرجع سبق ذكره، ٤٥٣/٣.

(١٩) إن أشد ما يعجب منه القارىء حينما يعلم أن مؤرخي نجد والحجاز لم يترجموا لغالية ولم يذكروا شيئا من أخبارها - وللأسف - حتى قال الزركلي: «لم أجد في كتب مؤرخي نجد والحجاز ذكراً لصاحبة الترجمة»، وممن حفظا تاريخ غاليه وبطولاتها المؤرخان المصريان الأول: عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «تاريخ عجائب الاثار» والثاني: محمود فهمي المهندس في كتاب «البحر الزاخر»، كذلك تحدث الرحالة السويسري جوهان بوركهات عن غالية، أما الرحالة الفرنسي موريس تاميزية فقد ذكرها في نص مقتضب مفيد.

(٢٠) مجلة فواصل، فبراير ١٩٩٦م، العدد ٢١.

(٢١) يذكر ابن بشر أن هناك عدداً من القادة الذين انضموا لابراهيم باشا، ومنهم رئيس الخيالة في الدرعية.

(٢٢) د. عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مطابع الشريف الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، الجزء الأول، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢٣) رواية شفوية عن ناصر بن محمد الحديب.

(٢٤) يقع قصر الحكم القديم في قلب مدينة الرياض على ساحة الصفاة من الجنوب، وهو قصر آباء الملك عبد العزيز وأجداده ومنذ أن تولى جلالته الحكم والقيادة، سكن في القصر المذكور هو وعائلته بعد تعديله وإصلاح ما لزم إصلاحه آنذاك.

(٢٥) يقصد بها ما يردده العمال من غناء اثناء البناء مع المعلم للحث على سرعة البناء وانجازه خاصة حين يتم صف اللبن وبناء الجدار.

(٢٦) صالح محمد الزمام، نوادر من التاريخ، شركة مطابع نجد التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، ص ٥٥، ٥٦.

(٢٧) تكشف لنا كلمة الملك عبد العزيز هذه عن حنكه سياسية رائعة هذا من جانب، ومن جانب آخر يمنح أهل القصيم «حق تقرير المصير في بلادهم» تحقيقاً لحرية الرأي واقرار مبدأ العدل.

(٢٨) أراد الملك عبد العزيز بذلك أن يتبين رأي اهل القصيم بعد مقابلة الرشودي لعبد العزيز بن رشيد.

(٢٩) صالح محمد الزمام، نوادر من التاريخ، الجزء الثالث، ص ١٥٨، ١٥٩، كما وردت القصة ذاتها مع اختلاف يسير في كتاب «صقر الجزيرة» المجلد الأول الجزء الثاني ص ٣٦٤ - ٣٦٨.

(٣٠) صالح الزمام، نوادر من التاريخ ، الجزء الأول ص ٤٨.

(٣١) أي بُني، د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، مطبعة سفير، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٥٢.

(٣٢) صالح الزمام، نوادر من التاريخ ، الجزء الرابع ص ١١٢ ، ١١٣ ، و«من شيم العرب» فهد المارك، المكتبة الأهلية، بيروت، الجزء الثاني ص ٢٩٢ ، ٢٩٣.

(٣٣) هم الذين يتقدمون الجيش لسبر حالة العدو قبل الهجوم عليه.

(٣٤) أي بُني، مرجع سبق ذكره ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣٥) لقد رنّ دوي هذه المذبحة في الآفاق، ووردت صداها جزيرة العرب كلها، فقد هزت مشاعر القبائل العربية سواء من يسكن منها الصحراء أو المدن والقرى وأصبحت تُعرف مذبحة الروضة باسم «مقتلة حواشيش» كما يسميها البدو حتى أن جماعة من رجال ابن رشيد قد انفضوا من حوله لكي لا يكونوا على مقربة من الظالم ينظرون أعماله الوحشية ولا يستطيعون نصحه أو منعه.

(٣٦) نظم الأستاذ خالد بن محمد الفرج في ملحمته أبياتاً رائعه تصور مقتله حواشيش.

(٣٧) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ص٥، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٧١ - ٣٧٦.

من الكلمة إلى الفكرة (٨)

الحكمة وينابيعها

بقلم:
محمد العربي الخطابي
- الرباط -

الحكمة مرتبة فوق المعرفة، وهما مع ذلك مرتبطان ارتباط الشعاع بمصدر الضوء.

الحكمة مجالها النظر في الحقائق الكلية واكتشاف جواهرها من طريق الحواسِّ الباطنة، وأما المعرفة فميدانها فحص الجزئيات التي لا سبيل إلى حصرها، ولا قُدرة لمخلوق على الإحاطة بها.

يقول الغزالي:

«الحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الإختيارية» وقد يبدو بشيء من التأمل أن هذا التعريف ليس بكاف من حيث إن الحكمة ليست مجرد حالة نفسية تقف عند حد الإدراك النفسي وذلك أن أحوال النفس من شأنها التغير، والحكمة من طبيعتها الثبات في طريق نشدان الكمال الذي يقتضيه إحكام القول وإتقان العمل.

وإذا كانت الحكمة تجمع بين القدرة على إدراك الحق والصواب وبين الاستعداد النفسي للعمل بهما، فإن المعرفة سعي إرادي غايته اكتشاف المسائل الغامضة ومحاولة تفسيرها، فهي بمثابة المشي في طريق مجهول، وأما الحكمة فوصول إلى غاية الطريق.

تشترك الحكمة في جذرها اللغوي مع ألفاظ أخرى هي امتداد لها ودوران في فلكها، ومن هذه الألفاظ: الحُكم، والإحكام، والتحكم، والحكمة (بفتح الحاء والكاف)، وهي اللجام.

فالحُكْمُ قوامُه إنعام النظر في شيئين أو عدّة أشياء متعارضة بقصد استخلاص وجه الحق والصواب من تعارضها، ولا يكون الحكم صحيحاً إلا إذا انبنى على الإنصاف وسلامة التمييز ودقة الترجيح مع التبصر والأناة.

والإحكامُ غايتُه منع اختلال الفعل بسد الثغرات وشد حبال الربط تجنباً لعوارض النقص والضعف والتفكك.

وأما التحكم فسبيله امتلاك القدرة على التصرف القويم في الأشياء القابلة للانفلات والتشتت.

والحَكَمَةُ (بفتح الحاء والكاف) المراد منها ضبط وتيرة السير، وتوجيه حركته نحو غاية مقصودة بلا جماح ولا تعثر.

الحكمة تعطي بالصمت أكثر مما تعطيه بالكلام وبيان ذلك أن صاحب الحكمة مجبول على

التأمل، مدفوع بفطرته إلى الغوص في عمق الحقائق، طويل النفس في التنقيب عنها والتقاط جواهرها، وهو يزن الأشياء كلها بميزان القلب والعقل، ولذلك نراه يطيل الصمت ويجدُ في اللغو آفة تضعف التفكير وتقطع حبل التدبر، وربما أورثت الشك وزعزعت اليقين.

الحكمة شعبتان: شعبة تنطلق من كمال العقل، وشعبة تنبثق من فضيلة النفس، فإذا اجتمعتا في إنسان بانت له الحقائق، واستقر في وجدانه اليقين، واقتدت بسيرته وعمله الخلائق.

الخشية رأس الحكمة، والعدل نبراسها، والجمال صورتها، والمحبة مادتها، وإشاعة الخير والفضيلة مطلبها. فمن خاف الله أحبه الله، وأدخله في زمرة أوليائه، وجعل بينه وبين طغاة الإنس حجاباً مستورا، ووهبه القوة حتى لا يخاف في الحق أحداً من دونه.

ومخافة الله إقرار بوحدانيته، وتسليم بمشيئته ومطلق تدبيره، واهتداء بشرائعه ورضا بقضائه وقدره، وإنصاف لذوي الحقوق من خلقه حتى ينتشر العدل ويعم الأمان.

الحكمة من الله إبداع دائم، وآيات بينات لا ينقطع سناؤها ولا يخبو نورها، فهي تتوالى على مخلوقاته وتنتشر كالنجوم النيرات في عوالمه، فعيون تبصرها فتهتدي ، وعيون يصيبها العماء دونها فتضل، وقلوب تستوعبها فتعلوها السكينة، وقلوب تغفل عنها فيلفها الظلام.

{أفمن يمشي مُكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم} (الملك/٢٢).

مصدر الحكمة هو الخالق - عز وعلا - فمنه تنبثق أنوارها وتسري في عوالم ملكه كي تستقر في نفوس من يشاء من خلقه «يؤتي الحكمة من يشاء» فإذا نفذ نورها في قلب بشر تفتحت بصيرته، واستقام فعله حتى لا يرى إلا الحق، فإذا رآه اطمأنت نفسه إليه، وسار على هديه، وعمل على نشره. يقول الحق - سبحانه: {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} (الأعراف/ ١٨١)، فهؤلاء هم أهل الحكمة، وقد أوتوا خيراً كثيراً.

وإذا كان مصدر الحكمة واحداً فإن لها مع ذلك ينابيع تجري بإذن مؤتيها لترويها وتتعهد غرسها بالسقي والترطيب كي ينمو ويزدهر. فمن ينابيعها الجارية: الحق، والخير، والعدل، والإحسان، والبر، والمحبة، والسماحة، والرضا، والذِّكر.

الحكمة مطلوبة لذاتها ولما تؤدي إليه من صلاح وسعادة، وهي من أجل ذلك عزيزة المنال، ومثلها كمثل شجرة يتيمة يانعة الزهر طيبة الثمر، نابتة وسط غابة موحشة تعمرها الضواري المتربصة بفريستها آناء الليل وأطراف النهار. فكيف الوصول إلى شجرة الحكمة إذا كان هذا مَثَلُها وكان الطريق إليها محفوفاً بالمخاطر، مفروشا بالأشواك، محجوباً عن إدراك البصر؟.

عالمنا الاسلامي والعربي على امتداده يزخر بنماذج بشرية مثلت القدوة في الاداء والعطاء من اجل الدين والوطن والأمة.. وهم باعمالهم تلك نماذج يقتدى بها.. وعطاءات مخلصة رائعة ينبغي النسج على منوالها.. وهذه الشخصيات وأمثالها ينبغي ألا تُغيَّب وراء ضبابيَّة النسيان ونكران الجميل.
هذه الاعلام ينبغي الكشف عنها.

أعلام.. وأعمال:

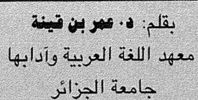
أبو العباس أحمد المقري

من (روضة الآس) إلى (نفح الطيب)

من أعلام الفكر العربي في الجزائر أثناء عهدها العثماني (٩٣٠ - ١٢٤٦هـ/ ١٥١٤ - ١٨٣٠م) شخصية متميزة فكريا، توزع هواها بين أقطار العروبة مشرقا ومغربا، ولد في الجزائر، وهام بالمغرب الأقصى كما كبر وجده بالحجاز، وأحب (دمشق) وأهلها. والقاهرة ورجال علمها، حيث لقي ربه، وفي نفسه حنين إلى وطنه الأول (الجزائر) وشوق الرحلة إلى (دمشق) التي حالت دونها المنية، بعد ما ارتوى صدره من أريج الأرض الطاهرة في البقاع المقدسة.

إنه العلامة الأديب اللامع: أحمد المقري (٩٨٦ - ١٠٤١هـ/ ١٥٧٨ - ١٦٣١م) صاحب عملين فكريين جادين، بدأ بأولهما حياته في التأليف. وهو كتاب «روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس»[١] وكان الثاني خاتمة مؤلفاته، عشية وفاته، وهو كتاب «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب»[٢].

والمقري من أسرة علم بالجزائر، عاشت في قرية (مقرة) شرق مدينة (المحمدية) أي (المسيلة) حاليا، بنحو ثلاثين كيلومترا، وهي لا تزال تنطق هكذا (مقرة) حتى اليوم، بسكون القاف، فشيوع نسبته إليها اليوم بفتح على



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وآدابها
جامعة الجزائر

تشديد القاف «المقري» خطأ لا مبرر له، غير جهل بضبط النسبة إلى القرية المذكورة حتى في كتابات باحثين جزائريين منذ أوائل هذا القرن، مثل (الحفناوي) الذي بقي مترددا فقال: «المقري بفتح الميم وتشديد القاف .. وقيل بفتح الميم وسكون القاف لغتان .. قرية من قرى تلمسان»[٣] أو (الزاب) فنقل مكان القرية من جنوب الجزائر الشرقي إلى غربها.

انتقل جد (أحمد المقري) الأعلى من (مقرة) قرب (المسيلة) إلى (تلمسان) وبها برز علماء أجلاء في الأسرة، من بينهم عم (أحمد) العلامة (سعيد المقري) وفيها ولد المؤلف (أحمد بن محمد المقري) المكنى (أبا العباس) سنة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) ودرس، على أمثال عمه السالف الذكر. وفي وقت كانت (الرحلة) إلى (العلم) من مكملات التكوين العلمي.

انتقل المقري إلى (فاس) سنة (١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م) للدراسة، حيث لفت أنظار رجال العلم والسياسة، ومنهم الشيخ (ابراهيم بن محمد الآيسي) الذي اصطحب (المقري) من (فاس) إلى (مراكش) حيث قدمه للسلطان (أحمد المنصور الذهبي) الذي أجله، كما أعجب (المقري) به، مثلما طرب للجو العلمي في (مراكش) ورجاله، ولم يكد يعود إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ/ ١٦٠١م) حتى شرع يبرح به الشوق إلى (فاس) ومناخها العلمي الزاخر، فسافر إليها سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) إماما ومفتيا وخطيبا ذا مكانة مرموقة، غير أن هناءه وراحته نغصهما عليه الجو السياسي، في الصراع بين أبناء السلطان (أحمد المنصور) على السلطة، بعد وفاته (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) فقرر الرحيل تاركا أسرته بمدينة (فاس) في رمضان (١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م) متجها نحو الحجاز، لأداء فريضة الحج، فمر بوطنه، وتونس برا ثم إلى (مصر) بحرا، ومنها إلى الحجاز، فوصل (مكة) المكرمة في ذي القعدة (١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م) فاعتمر، ثم حج، وفكر في الإقامة، التي حالت دونها عوائق أشار إليها ولم يحددها، فعاد إلى (مصر) في شهر محرم (١٠٢٩هـ/ ١٦٣٠م) حيث أعاد الزواج من (مصرية) وشرع يدرس في الأزهر.

ومن (مصر) شرع يكرر رحلاته إلى البقاع المقدسة، فقال سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٣١م) عن زيارته (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) و(بيت المقدس) أنه زار مكة «خمس مرات وحصلت بالمجاورة فيها المسرات، وأمليت فيها على قصد التبرك دروسا عديدة.. ووفدت على طيبة المعظمة ميمما مناهجها السديدة سبع مرات، وأطفأت بالعود إليها بالأكباد الحرار، واستضأت بتلك الأنوار.. وأمليت الحديث النبوي بمرأى منه عليه الصلاة ومسمع.. ثم أبت إلى مصر مفوضا لله جميع الأمور، ملازما خدمة العلم الشريف بالأزهر المعمور .. فتحركت همتي .. للعود للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرّشد وما احتجب، وألقيت عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة»[٤].

ومن هناك اتجه إلى (دمشق) حيث سرَّ كثيرا بأرضها وإنسانها، فدرَّس (البخاري) ولقي الإعجاب وحظي بتقدير عوضه ما عاناه في (مصر) فقرر الانتقال إليها من مصر بتشجيع من رجال دمشق أنفسهم فعاد إلى مصر للانتهاء من تحرير (نفح الطيب) وتصفية شؤونه فيها على نية السفر إلى (دمشق) لكن الأجل أدركه في (مصر) سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) وروحه في (دمشق) التي قال فيها أعذب المشاعر، كمشاعر

الحنين إلى وطنه، وهو القائل فيها «الاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة، ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة، وهو مقر الاولياء والأنبياء، ولا يجهل فضله إلا الأغمار الأغبياء»[٥].

وخلال رحلة الحياة الذاتية والروحية والعلمية، وجد (المقري) في (المغرب الأقصى) أولا وفي (المشرق العربي) ثانيا المناخ العلمي الصحي الذي فتق مواهبه الأدبية، وإمكاناته العقلية، فأثر في الحياة الدينية، خصوصا في (فاس) و(دمشق) وأنجز ما يقرب من ثلاثين كتابا، من بينها كتابان دلالتهما مهمة تعبيرا عن ميوله، وصلاته الفكرية أولهما كما سبقت الإشارة: «روضة الآس العاطرة الأنفاس» وثانيهما: «نفح الطيب».

بالكتاب الأول افتتح (المقري) حياته الفكرية والأدبية، وقد جاء من وحي المحيط العلمي الصحي الذي عاشه في (فاس) و(مراكش) فاختلط بعلماء البلد وفقهائه وسياسييه، وأعجب بهم، كما أعجبوا به، فشرع يكتب كتابه هذا في (فاس) بعد لقائه بالسلطان المغربي (أحمد المنصور) للتعريف بمن لقيهم من علماء المدينتين (فاس) و(مراكش) ليكون الكتاب هدية للسلطان في النهاية.

شرع يكتب عمله وهو في (فاس) وتابعه بعد عودته إلى (تلمسان) سنة (١٠١١هـ) لكنه حين عاد بالعمل جاهزا إلى (فاس) سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) كان السلطان المغربي، قد لقي ربه قبل ذلك بسنة فبقي الكتاب هدية للمكتبة العربية في أكثر من ثلاثمئة وخمسين صفحة عن رجال الحاضرتين المغربيتين الذين بلغ عددهم أربعا وثلاثين شخصية، وتكفل بالسهر على طبعه وإخراجه إلى الناس، الأستاذ: (عبد الوهاب بن منصور) مشكورا.

أما كتابه (نفح الطيب) فقد ختم به حياته العلمية، وأنجزه في (مصر) سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) فقامت عليه شهرته بمادته وأسلوبه، أما المحرض على تأليفه فهو المحيط العلمي (الدمشقي) حين كان (المقري) هناك سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م)؛ فلمس لدى القوم شغفا علميا، وودا صافيا طاهرا استحوذ على فؤاده، فيذكر أن حديثه لهم عن (الأندلس) و(لسان الدين بن الخطيب) جعل أحد علمائهم (ابن شاهين) يطلب منه تأليفا في الموضوع «كنا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة، وأثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة، كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار الملقوطة، ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها أهداب الآداب، ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لباب الألباب.. ونستدعي أعلام الأعلام، فينجر بنا الكلام والحديث شجون، وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون، إلى ذكر البلاد الاندلسية، ووصف رياضها السندسية.. فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني، من الفيض الرحماني، وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني.. ما تثيره المناسبة وتقتضيه، وتميل إليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجدّ والهزل.

فلما تكرر ذلك غير مرّة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم، وعلق بقلوبهم، وأضحى منتهى مطلوبهم، ومنية آمالهم وأطماعهم.. فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاك، وهو الماجد المذكور، ذو السعي المشكور أن أتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض أحواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره

وعلمائه وأدبائه»، فحاول (المقري) الاعتذار لكن صاحبه يلح فلم يقو على رد طلب ملح لعزيز، فأقدم على عمله، وكله عزم وحزم، فقدم للمكتبة العربية مرجعا هاما وتحفة أسلوبية ذات تميز عربي، ببيانها على لسان أحد أبناء الضاد في (الجزائر) خصوصا، وفي المغرب العربي عموما.

فكان (المجلد الأول) عن (الأندلس) تاريخا ومدنا وإنتاجا، وطوائف وفتحا، وأعلاما، في السياسة، والفكر والدين والشعر والأدب، (في ٧٠٤ صفحة).

وكان (المجلد الثاني) عن بعض «من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق» فشمل نحو (٣٠٧ شخصية) بينما ضم (المجلد الثالث) «بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق».

والحصيلة أكثر من (٤٧٥ شخصية) ويتلاحق ذلك في معظم صفحات (المجلد الرابع)، أكثر من (٧٠٠ شخصية) متبوعة بحديث عن «تغلب العدو على الأندلس واستغاثة أهلها معاصريهم لإنقاذها» في أكثر من (مئتي صفحة).

ثم يستأثر (لسان الدين بن الخطيب) بثلاثة مجلدات: (الخامس) و(السادس) و(السابع) عن أسلافه، ونشأته، ومشائخه ، وصلاته بالملوك والأكابر، مع جملة نماذج مطولة من إنتاجه؛ نثرا وشعرا ثم أولاده، وبعض صلاته الأخرى المختلفة.

وقد أفرد المحقق والناشر (المجلد الثامن) للفهارس المختلفة ذات النفع الكبير بالنسبة للباحثين عربا وأجانبا.

فالكتاب صورة أدبية فكرية سياسية قومية للأندلس التي أنجبت رجالا واستقطبت أعلاما فبنت لها مجدا أتلفه (ملوك الطوائف) فسحقوه تحت (حوافرهم) صراعا على المواقع و(المغانم).

لقد أحب (المقري) الأندلس وأديبها (ابن الخطيب) كما أحب (دمشق) وأهلها، مثل هيامه الروحي بالبقاع المقدسة مهبط الرسالة المحمدية مثلما بقي الشوق مقيما في نفسه إلى وطنه (الجزائر) التي تنفس هواءها وهواها، مثل (فاس) التي وضعت قدميه على طريق المجد عالما فقيها مصنفا أديبا.

فكان علما عربيا، بحس قومي تغلغل في أعماقه، وأنجز أعمالا خدمت أمته وعبرت عن إمكانياته، وظروف عصره سياسيا، وأدبيا.

فإن بقي أول عمل له (روضة الآس) إحدى الخطوات الأولى الناجحة له في معاجم الأعلام، فإن آخر عمل له (نفح الطيب) صورة متوهجة، حية، لآخر الأنفاس في (الأدب الجزائري) قبل أن يتدحرج نحو الهاوية في عصر (الظلمات) كما هو صورة في الوقت ذاته لمستويات الكلمة الشعرية في الأندلس بهذا الفيض من النماذج التي أشبع بها المؤلف صفحات (النفح) التي بلغت أربعة آلاف وثمانمئة وخمسين صفحة (٤٨٥٠ص) وهو تراث مشترك بين جناحي الوطن العربي (مشرقه ومغربه) له كله على (المقري) فضل، كما لهذا على وطنه الأكبر جميعه دين، في تقدير جهده، المقرون بالحب والإخلاص للذين يعطون أوطانهم بسخاء، من دون منٍّ ولا أذى.

الهوامش:

(١) مطبوعات القصر الملكي ، تقديم الأستاذ: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

(٢) من أهم طبعاته، الطبعة اللبنانية ، في ثمانية مجلدات، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٣) ابو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط٢، ص٥٨، المكتبة العتيقة، تونس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤) أحمد المقري، نفح الطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، ج:١، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٨.

قراءات في التراث:

قراءة جديدة .. لنص قديم

بقلم: **د. طاهر تونسي** جامعة الملك عبد العزيز - جدة -

تقى الدين المقريزي من أشهر مؤرخي الإسلام وقد افتتن الباحثون العرب والأجانب بكتابه الفريد «الخطط والآثار» الذى سمي أيضا بالخطط المقريزية. وقد ولد المقريزي واسمه تقى الدين أحمد بن على سنة ٧٦٦هـ في حارة برجوان بالقاهرة، وحارة برجوان تنسب إلى الوزير برجوان الذى كان يعمل في بلاط العزيز ثم فى بلاط ابنه الحاكم ثم أحدث برجوان من الأخطاء ما دفع الحاكم إلى قتله. أما سبب تسمية المقريزي فذلك نسبة إلى حارة المقارزة في مدينة بعلبك. وقد تربى المقريزى في كنف جده لأمه ابن الصائغ الحنفى وقد كان في بداية دراسته العلمية حنفيا ثم تحول الى المذهب الشافعى شأن كثير من أهل الكنانة: وقد درس العلم وتأثر بصديقه وأستاذه ابن خلدون ولعل تأثره بذاك الرجل هو الذي وجهه إلى علم التاريخ.

والتحق المقريزى فى شبابه بعدد من الوظائف الحكومية فعمل أول ما عمل وهو في الثانية والعشرين من عمره موقعا بديوان الإنشاء ثم تنقل في وظائف أخرى فعين نائبا من نواب الحكم عن قاضى القضاة الشافعي - أي قاضيا - ثم خطيبا بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن وإماماً بجامع الحكم ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفي سنة ٧٩١هـ اختاره السلطان برقوق محتسبا للقاهرة والوجه البحرى وقد ولي هذه الوظيفة وعزل عنها أكثر من مرة. يقول السخاوي: «وحمدت سيرته في مباشراته».

وفي عام ٨١٦هـ سافر المقريزي إلى دمشق في صحبة السلطان الناصر فرج بن برقوق وعاد معه وعقدت أواصر الصداقة بينه وبين الأمير يزبك الدوادار ونالته منه دنيا على قول الشيخ السخاوي في كتابه «الضوء اللامع في اعلام القرن التاسع».

وكان السلطان برقوق قد عرض عليه مرارا أن يوليه قضاء دمشق ولكنه أبى وفي عهد ابنه وُلِّي النظر على أوقاف القلانسى والبيمارستان النورى بمدينة دمشق ، وقام في نفس الوقت بالتدريس في عدد من مدارسها، وبخاصة في المدرستين الأشرفية والإقبالية وقضى بمدينة دمشق عشر سنوات عاد بعدها إلى القاهرة فعزف عن الوظائف الحكومية من ذلك الوقت ولزم داره حيث توفر على القراءة والدرس والتأليف.

وقد خرج إلى مكة في صحبة أسرته سنة ٨٣٤هـ لأداء فريضة الحج وجاور هناك نحو خمس سنوات شغل فيها بالتدريس والتأليف كذلك ثم عاد الى داره بحارة برجوان فلزمها الى آخر حياته يكتب ويؤلف فى علوم مختلفة وبوجه خاص في علم التاريخ حتى نبغ فيه وبز أقرانه ومعاصريه من

مؤرخي القرن التاسع الهجري.

وللمقريزي مؤلفات عديدة وانتاج تاريخي خصب وكثرة انتاجه تجعل القارىء يعتقد أن المقريزي كان ممتشقا قلمه على الدوام. فمن مؤلفاته العظيمة «الخبر عن البشر» و«إمتاع الأسماع بما للرسول من الابناء والحفدة والمتاع».. و«الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الاسلامية» أما مصر فكان نصيبها من المقريزي النصيب الأوفر.

فقد تناول التاريخ العمراني لمصر في كتابه العظيم «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وقد أرخ في هذا الكتاب للمدن المصرية الهامة وما كان يكتنفها من خطط وحارات ودروب وأزقة وأسواق وما كان يتناثر فيها من دواوين ودور وقصور للحكمة والعلم.

يقول المقريزي في مقدمته: «وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب أترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وموطن خاصتي وعامتي. ولازلت منذ شَدَوْتُ العلم وأتانى منه ربي الفطانه والفهم، أرغب في معرفة أخبارها وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطى في الأعوام الكثيرة وجمعت في ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب، إلا أنها ليست بمرتبه على مثال ولا مهذبة بطريقة ما نُسج على منوال، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية».

وبعد أن أرخ لمصر جغرافيا وعمرانيا توجه نحو التاريخ السياسي لمصر فألف فيه. وقد قسم المقريزى جهوده الى ثلاثة أعمال تاريخية هامه. أما عمله الأول فهو كتابه «عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط» وهو كتاب مفقود أرخ فيه لمصر منذ الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الإخشيدية. ثم توجه بيراعه الخلاب إلى العصر الفاطمى فألف «إتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا» ثم انصرف في أخريات أيامه الى تأليف مؤلفات صغيرة أشبه بالرسائل منها كتابه «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أميه وبنى هاشم» ورسالته «ذكر ما ورد في بنيان الكعبة المعظمة» و«ضوء الساري فى معرفة أخبار تميم الداري» و«الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك» و«البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب».

وسنقلب معا كتابه «إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» وقد قام بتحقيقه الأستاذ الكبير والمحقق السكندرى الشهير جمال الدين الشيال. والأستاذ الشيال معروف لقراء التاريخ الإسلامي فهو يعد في الرعيل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي شأنه شأن نظيره الآخر الدكتور حسن ابراهيم حسن صاحب التصانيف الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

وقد قام الاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق مخطوط «الذهب المسبوك بذكر من حج من الملوك» ومخطوط «إغاثة الأمه بكشف الغمه» للمقريزى. ومن اعظم أعمال الدكتور الشيال في مجال التحقيق التاريخى تحقيقه لمخطوط ابن واصل «مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب» ومن مؤلفاته كتابان أولهما: «أعلام الاسكندرية» وقد ترجم فيه لنفسه و«تاريخ دمياط» وليت احد الباحثين يجمع لقراء العربية ما تناثر من مقالاته التاريخية فى شتى الصحف والدوريات.

أما تحقيق الاستاذ الشيال لمخطوطة «إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» فقد أصدرته لجنة إحياء التراث الاسلامي في ذكرى القاهرة الألفية.

وقد قدم للتحقيق شيخ المحققين محمد ابو الفضل ابراهيم مقدمة قال فيها «وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التى عاشت في مصر أكثر من قرنين وكان لها تاريخ حافل ولخلفائها في

الحضارة أثر بعيد منهم الذين اسسوا القاهرة المعزية فكانت قبة الإسلام وحاضرة الأنام ومنارة للمعارف والآداب كما أقاموا دور الكتب والخزائن وجلبوا اليها الكتب والأسفار وأرصدوا لها الأموال واعدوا لطلاب المعرفة القوام والنساخ وهوت اليها افئدة العلماء من شتى الجهات ينهلون العلم من أعذب مورد وأصفاه، هذا إلى ما كان لهم من أثر فى بناء المساجد والقصور والبساتين في جنبات القاهرة على ضفاف النيل وما تجردت له همتهم في اعداد الجنود وانشاء الأساطيل تجوب المياه، فضلا عما كان لهم من عادات في المواسم تميزت بها دولتهم ومازالت بحياتنا الإجتماعية إلى اليوم». لقد كان تاريخ الدولة الفاطمية موزعا في كتب التاريخ والأدب والعقائد ممتزجا بغيره من تاريخ الدول إلى أن جاء الإمام المقريزى أحمد بن على فجمع شتاته وضم ما تفرق منه وأضاف إليه ما اجتمع لديه من ثمرات مطالعاته وما تهيأ له من المناصب التي تولاها ووضع هذا الكتاب الذى أسماه «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» أدارة على تاريخ من ملك القاهرة من الخلفاء وعلى جملة أخبارهم وسيرهم وجعله حلقة من سلسلة كتبه التى وصفها فى تاريخ مصر والقاهرة. والمقريزى شيخ مؤرخى الاسلام وفارس هذه الحلبة غير معارض في كل ما ألف وصنف وفي جميع ما نقل وروى مما جعل كتبه المصدر الأصيل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها وخططها وآثارها ومعارفها وفنونها وآدابها وعلمائها وأعيانها.

وقد سبق للمستشرق هو جو برنز أن قام بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٩م عن نسخة ناقصة مخطوطه محفوظة بمكتبة جوتا بألمانيا، وهي النسخة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك الحين. وفي سنة ١٩٤٥ قام الدكتور الشيال باعادة نشر هذه النسخة. ومع مضى الأيام وتتابع البحث وجد من هذا الكتاب نسخة أخرى كاملة محفوظة بمكتبة سراى أحمد الثالث باستنبول فجد معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في تصويرها ثم قام الدكتور الشيال باعادة تحقيق الكتاب عليها مرة ثانية بعد أن أضاف إلي جهده السابق مزيدا من التحرير والتحقيق وشرح المصطلحات والتعريف بالأعلام ما شاعت له معارفه التاريخية ومكانته العلمية واطلاعه الغزير الوافر.

وقد تحدث الدكتور الشيال عن النسخة الكاملة المخطوطة بمكتبة سراي أحمد الثالث بقوله: «المخطوطة الكاملة الموجودة في مكتبة سراى أحمد الثالث رقم ٣٠١٣ هي النسخة الوحيدة من هذا الكتاب في العالم. وقد كتبت بقلم تعليق، ونقلت من نسخة المؤلف الخاصة المكتوبة بخطه كما نص على ذلك في اكثر من موضع بالمخطوطة وفي نهاية الكتاب وقد تم نسخها سنة ٨٨٤هـ (أي بعد وفاة المقريزى بتسع وثلاثين سنة فقط) على يد محمد بن أحمد الجيزى الأزهري.

وكتاب «اتعاظ الحنفا» يؤرخ للدولة الفاطمية كلها مبتدئا بذكر ثبت كامل واف لأولاد على بن أبى طالب من نسل الحسن والحسين وتتبع الأسماء في هذا الفصل أمر شاق عسير. وعرض بعد ذلك المقريزى لمشكلة النسب الفاطمى ولهذا الفصل أهميته إذ أن المقريزي من المؤرخين القلائل الذين أيدوا النسب الفاطمى مثله في ذلك مثل ابن خلدون وعمارة اليمنى. ومنهجه في عرض القضية منهج منطقي.

فقد نقل أقوال الطاعنين في النسب كابن النديم وأخى محسن وأثبت أنهما ينقلان عن ابن رزام وأنه أول من أشاع قصة انتمائهم إلى عبد الله بن ميمون بن دلعبان الثنوى القداح ثم فند أقوال الطاعنين مستعينا بأقوال المؤرخين الآخرين المؤيدين للنسب مضيفا إليها براهينه الخاصة.

ومشكلة النسب الفاطمى مشكلة قديمة حديثة

شغلت كل من تعرضوا للتاريخ الفاطمي من عرب ومستعربين من قديم حتى اليوم. وأرخ المقريزي بعد ذلك لقيام الدولة الفاطمية في المغرب فتحدث عن جهود الدعاة الأوائل كأبى سفيان والحلوانى وعن رحلة ابن عبد الله الشعبي من اليمن إلى المغرب وجهده في التمهيد لاقامة الدولة ثم انتقال عبيد الله المهدى من سلميه بالشام إلى المغرب.

وفي فصل قال أرخ المقريزي للخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا فى المغرب وفصل الحديث عن الصعوبات التى اعترضتهم - وخاصة ثورة أبي يزيد - وعن الجهود التي بذلوها لتدعيم أسس الدولة الجديدة كانشاء المهدية عاصمتهم الجديدة ومد فتوحهم غربا إلى المحيط الأطلسى. ثم تحدث المقريزي عن الفتح الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة وبناء الجامع الازهر وعرض للخطر القرمطى الذى كان يهدد شعب مصر وقتذاك فعقد فصلا طويلا أرخ فيه للقرامطة وتحركاتهم وحروبهم على حدود مصر وفي جنوبي الشام على عهدى الخليفتين المعز لدين الله والعزيز بالله.

وأفرد المقريزي بعد ذلك لكل من الخليفتين - المعز والعزيز فضلا. والمعز والعزيز هما بلا شك أعظم خلفاء الفاطميين. ونقتطف من كلام المقريزي هذا النص الهام الذي يؤرخ فيه لمقتل مؤسس الدولة الفاطمية أبي عبد الله فيقول: «وكان سبب قتله أن المهدى لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله فقال ابو عبد الله للمهدي: لو كنت تجلس في قصرك وتتركنى مع كتامه آمرهم وانهاهم لأنى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك عند الناس. ثم علم أبو عبد الله أن المهدي قد تغير عليه فاتفق مع أخيه بجامعه على المهدي ودخلوا عليه مرارا فلم يجسروا على قتله ونقل ذلك إلى المهدى من رجل كان يوافقهم على ما هم فيه ثم يأتى المهدي فيخبره فأخذ المهدى في تفريق القوم في البلاد، وكان كبيرهم أبا زاكي فسيره واليا على طرابلس وكتب إلى عاملها سرا بقتله عند وصوله فلما وصل أبو زاكي قتله العامل وأرسل برأسه إلى المهدي فأمر حينئذ بقتل جماعة وأعد رجالا لأبي عبد الله وأخيه أبي العباس فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبى عبد الله فقال: لا تفعلوا فقالوا له: إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك.. فقتل هو وأخوه في اليوم الذى قتل فيه أبو زاكي وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ بمدينة رقاده وصلى عليه المهدى وقال: رحمك الله يا أبا عبد الله وجزاك الله خيرا بجميل سعيك.

ويتحدث عن المعز لدين الله الفاطمى فيقول: «واجتمع للمعز بمصر مالا يجتمع لأبائه فهزمت القرامطة في أيامه مرارا: مرتين في البر على باب مصر ومرتين في البحر وما تم عليهم هذا قط منذ ظهور أمرهم وأقيمت له الدعوة يوم عرفه في مسجد ابراهيم عليه السلام وبمكه والمدينة وسائر أعمال الحرمين ولم تهزم له رايه. وتتابعت له الفتوح ونصبت الستائر على الكعبة وعليها اسمه ونصبت له المحاريب داخل الكعبة وعليها اسمه. وكان المعز عالما فاضلا جوادا على منهاج ابيه في حسن السيرة وانصاف الرعية».

أما عن العزيز بالله يقول المقريزى: «كان أسمر طوالا أصهب الشعر أعين أشهل عريض المنكبين شجاعا حسن العفو والقدرة لا يعرف سفك الدماء حسن الخلق قريبا من الناس بصيرا بالخيل وجوارح الطير محبا للصيد تعرَّف به حريصا على صيد السباع خاصة وكان المثل يضرب بأيام العزيز في مصر لأنها كانت كلها اعيادا وأعراسا.. ثم تحدث عن الحاكم بأمر الله وعن الخلفاء الفاطميين الذين خلفوه حتى نهاية الحكم الفاطمي التي يصفها وصفا بليغا وكيف تم سقوطها على يد أسد الدين شيركور وابن أخيه يوسف بن شاذي الشهير بصلاح الدين الأيوبي.



سرّ الزجاجة (٦)

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة -

المتنحي والمتنحوي:

نشرت تعقيباً على الشيخ العلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في ملحق الأربعاء بجريدة المدينة (١٤١٧/٨/٨هـ) فأشار علي بعض الزملاء أن أنشر المقال في مجلة أدبية متخصصه كالمنهل أو المجلة العربية أو مجلة الفيصل أو المعرفة؛ لتتحقق فيه صفة المرجعية، فقلت إن ذلك متحقق في ملحق الأربعاء الذي يطلع عليه كثير من القراء.

ثم وصلت إليّ رسالة من قارئ من مصر يذكر فيها أنه اطلع على كلمة الشيخ أبي عبد الرحمن في المجلة العربية وعنوانها «كفى يا صاعدي» ويودّ هذا القارئ أن يعرف رأيي في تلك المسألة اللغوية الدقيقة.

فرأيت إعادة نشر المقال في مجلة المنهل ليطّلع عليه القراء الكرام في الوطن العربي الكبير من خلال «سر الزجاجة» ولأتمكن من إصلاح بعض الأخطاء الطباعية غير المقصودة التي وقعت فيه حين نشره.

وأرجو أن يعلم الشيخ الجليل أنني أهدف في كل ما أكتب إلى الرقي بهذه اللغة الشريفة، وتحبيبها إلى الناس وبيان أصولها إن لزم الأمر، وأرى أن الحوارات العلمية النزيهة تسهم في تحقيق ذلك، وهي فن علمي قديم كان يأخذ شكل الردود، خلّف لنا مؤلفات علمية نفيسة، كنقض الهاذور لأبي علي الفارسي، والرد على سيبويه للمبرد، والانتصار لسيبويه لابن ولاد، وفرحة الأديب للأسود الغندجاني، وهو ردّ على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، ومثل ذلك كثير جداً قديماً وحديثا، وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وليسمح لي الشيخ الكريم أن أطلع من سألني من القراء على تلك الكلمة، أما رأيي في كلمة الشيخ الأخيرة المنشورة في المجلة العربية التى كان عنوانها «الرمي في الهواء» فسيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فأقول وبالله التوفيق:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أما بعد: فإني أعلم - كغيري - أن الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل «محمد بن عمر» ظاهري المذهب، حزمي النهج والعواطف، إن هش بش، وإن سخط عبس وبطش، وأن لديه من البلاغه والأسلوب ما يستطيع به إقناع القارئ بالشيء وضده، ولا أزيد فيه عن قول ابن قتيبة في الجاحظ: إنه أشد الأدباء تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه (تأويل مختلف الحديث ٨١).

وأعلم أن أبا عبد الرحمن - كغيره من الناس - يُشجّ ويُبري، ويعرف وينكر، وله طعمان: أرْيٌ وشَرْيٌ، وكلا الطعمين قد ذاق كلٌّ - كما قال الشنفري.

وأعلم أنه مغرم بالغرائب والمبتدعات، وهو القائل: «أما بعد؛ فيا أيها الناس: إن من أمتع مبتدعاتي - ويا ما أكثرها (؟!) - أن تكون مقدمة

كـتـابي في أثنائه، وبعـد فـصلين من فـصـوله (القصيدة الحديثة وأعباء التجاوز ٧).

وهو مع ذلك طود شامخ في اللغة والأدب، وقد أثرى الساحة بكتبه ومقالاته، فقرأت كثيراً منها منذ أن توقد في قلبي حب اللغة والأدب، واستفدت مما فيها، وقد شرّق الشيخ وغرّب وأصعد وانحدر، وأخذتُ عليه أشياء في أصول اللغة وفروعها، أوشكت أن أخرجها في كتاب، ثم تراجعت إشفاقاً على نفسي، أما مذهبه الفقهي وسائر اجتهاداته فهو شأنه الخاص.

فيا أيها الشيخ الفاضل الذي نحترمه؛ ليس لك أن تلزمني برأيك الخاص، أو ما تختاره من غرائب الآراء والأقوال، إنما يلزمني ويلزمك ما استقر من مقاييس اللغة، وما قرره الجمهور من علماء العربية المتقدمين والمتأخرين، وليس لنا أن نخالفهم أو ننقض ما استقر إلا بالحجة والبرهان.

فاسمح لي - أيها الشيخ الكريم - أن أوجز لك مفهومي المتواضع في مسألة: (المتنحي والمتنحوي) ثم أعلق على بعض ما جاء في مقالتك الأخيرة (المجلة العربية: العدد ٢٣٤) سائلا المولى - عز وجل - أن يريني وإياك الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

فأقول: اسم الفاعل مما زيد فيه تاء في أوله وضعّفت عينه مثل: تأدّب وتفقّه يأتي على وزن (المتفعّل) فيقال: المتأدّب والمتفقّه، ويأتي من الرباعي المزيد بتاء في أوله من نحو تدحرج وتبعثر على وزن (المتفعلل) أو ما ألحق به، فيقال: المتدحرج والمتبعثر. ومما ألحق به: المتجلبب من تجلبب، وأصله (جلب) ثم ألحق بالرباعي بزيادة باء ثانية، فقالوا: جلبب، ثم زيدت التاء في أوله، ومثله: المتسعود من (تسعود) والواو للإلحاق.

ولاسم الفاعل أقيسة أخرى لا حاجة لذكرها هنا، وأنت تعرفها أيها الشيخ.

فاسم الفاعل مما نحن فيه هنا إما (المتفعّل) وإما (المتفعلل) الأول خاص بالثلاثي والثاني خاص بالرباعي وما ألحق به، وكلمة «النحو» كلمة ثلاثية، واسم الفاعل منها قبل الزيادة: (الناحي) وبعد زيادة التاء والتضعيف: (المتنحّي) مثل: المتأدّب والمتفقّه والمتبحر والمتعلم والمتديّن، كل ذلك ثلاثي الأصل.

فالمتنحي هو الوجه في اسم الفاعل من ذلك الفعل المزيد، مع أن المتنحوي - وهو الوجه الذي تختاره - قد يصح على وجه من وجوه اللغة، وهو الإلحاق، إلا أنه سماعي يحفظ ولا يقاس عليه إلا عن بعض النحاة، وخصه بعضهم بالضرورة، قال ابن يعيش في (شرح المفصل ٧/ ١٥٥): «وهذا القبيل من الإلحاق مطرد ومقيس حتى لو اضطر ساجع أو شاعر إلى مثل ضربب وخرجج جاز له استعماله، وإن لم يسمعه من العرب».

وهذا يعني أن (المتنحّي) هو الأفصح، وأنت تقول إن الصواب هو (المتنحوي) وتنكر (المتنحّي) في هذا المعنى، أي الذي يتكلّف النحو ويتعاطاه، وتصرّ على ذلك في مقالتيك الاثنتين، ومع ذلك تنكر الإلحاق في العربية، مع أنه مخرجك الوحيد فيما ذهبت إليه.

واسمح لي - أيها الشيخ الفاضل - بأن أبيّن للقارىء الكريم وجه الإلحاق في قولك (المتنحوي) ليكون على بيّنة من خلافنا هذا.

فأقول أولا: إن الإلحاق وسيلة من وسائل اللغة في صوغ أفعال جديدة ذات دلالات متجددة، ويكون الفعل الملحق عادة ثلاثياً، فيزاد حرفاً ليلحق بالرباعي المجرد، أو يزاد حرفين ليلحق بالرباعي المزيد بحرف، أو يزاد ثلاثة أحرف، مثل جهور وبيطر وشملل الأصل: جهر وبطر وشمل.

وأقول ثانيا: إن (المتنحوي) اسم فاعل من فعل ثلاثي ملحق بالرباعي، وتقديره مع فعله: (تَنَحْوَوَ) بواوين - فهو (المتنحوو) ثم قلبت الواو الثانية في الفعل ألفاً لعلّة صرفية معروفة، فأصبحت الكلمة

(تنحوى) على وزن (تفعلل).

وهذه الألف قلبت ياء في اسم الفاعل لكسر ما قبلها، فقالوا: المتنحوي، فإن جئت بها نكرة قلت: متنحو، حذفت الياء كما تحذفها في: داع وقاض وغواش.

وقد يجوز وجه آخر في الإلحاق، وهو أضعف من سابقه، وذلك أن يكون فعل المتنحوي ملحقاً بالرباعي بزيادة الألف مثل: سلقى، من قولك: سلقاه على ظهره، فيكون وزن الفعل (تنحوى) إن صح هذا التوجيه: (تفعلى) واسم الفاعل منه المتنحوي - أيضاً - ووزنه (المتفعلي).

ولولا وجه الإلحاق لقلت لك إن المتنحوي كلمة عامية، ونظيرها من كلام بعض العامة: المتخطوي، يريدون: المتخطي، ولو تدبرت ذلك - أيها الشيخ الكريم - لوجدت أن المتنحوي كلمة لا نظير لها في فصيح الكلام مما اعتلّ لامه كالنحو والدلو، أما المتنحّي من النحو فلها نظائر لا حصر لها؛ لأنها هي القياس، ومن ذلك قولهم من الدلو: تدلى فهو المتدلي وليس المتدلوي، ومن البدو: تبدّى فهو المتبدى وليس المتبدوي ومن اللهو: تلهى فهو المتلهي وليس المتلهوي، ومن العلو: تعلّى فهو المتعلّى وليس المتعلوي، ومن التربية: تربّى فهو المتربي، وليس المتربوي، وكذلك تفشى الخبر فهو المتفشي وليس المتفشوي، وتعنّى فهو المتعنّى وليس المتعنوي، وتصدّى للأمر فهو المتصدّي وليس المتصدوي، وتعرّى فهو المتعرّي وليس المتعروي، وتغشى فهو المتغشّي وليس المتغشوي، وغير ذلك كثير جداً يخرج في كتاب.

ولذا يقال من النحو على قياس كلام العرب: تنحى الأستاذ وتعمّق في النحو فهو المتنحّي وليس المتنحوي، إلا على ذلك الوجه الضعيف إن صح.

وقد ورد في مقالتك - أيها الشيخ - كلمات تحتاج إلى بيان أو تعليق، فمنها:

١ - تقول: «وكرّر عبارة: يا بني .. يا بني.. ولا أدري من أين جاءت هذه البنوة؟!»

فأقول: ورد هذا في حوار كان الخطاب فيه موجها لي أنا دون غيري، ولم أعنك بها إطلاقاً، ويبدو أنك تعجّلت في الفهم.

٢ - تقول: «قولي (المتنحوي) مأخوذ من (النحو) الفن العلمي القائم بذاته، فهو اشتقاق اسم من فعل، وأسميه اشتقاقاً على مذهب القوم، وإلا فهو تحوّل إلى صيغة، والصيغ غير مشتقه... الخ».

وهذا امتداد لرأيك في الاشتقاق إذ تقول في كتابك (اللغة العربية بين الواقع والمثال ص ١٦): «أما الألفاظ فليس فيها مشتق؛ لأن كل الصيغ وضعها العرب بدءاً ، فليس ضارب مشتق من ضرب».

فأقول: هذا قول ضعيف - أيها الشيخ الجليل - وأنت مسبوق فيه، قال السيوطي في (الهمع ٢١٣/٢): «وزعم قوم من أهل النظر أن الكلم كله أصل وليس منه شيء مشتق من غيره».

وقد ردّ الشيخ محمد الطنطاوي هذا الرأي، وأشار إلى ضعفه في كتابه (تصريف الأسماء ٤١) وذكر أنه لا يحتاج إلى تعليق، وأنه مدفوع بأن الصلة بين الكلم العربية محسّة وثيقة اللفظ والمعنى، فلابد من اعتبار الأصالة فيها والفرعية، والتعويل على هذا القول قاض بانفكاكها وعدم ارتباطها، ثم قال: «فالحق أنه في غاية الهزال».

وهذا إمام العربية ابن فارس يقول في (الصاحبي ٥٧): «أجمع أهل اللغة - إلا من شذ منهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض».

٣ - تقول: «قولي (المتنحوي) لا علاقة له بالمتنحي بمعنى المبتعد، لأني لا أريد معنى الابتعاد وإنما أريد معنى النحو الفن العلمي».

فأقول: مهما يكن المراد فإن القياس هو القياس، وإنّ تصريف اسم الفاعل لا يتبع ما في الكلمة من معان متعددة، وإنما يتبع قياساً لفظياً،

فينظر في لفظ الكلمة وبنائها، فمهما كان معنى كلمة «النحو» فإن اسم الفاعل منها يأتي - عند زيادة التاء - على وزن المتفعل، فيقال المتنحي وليس المتنحوي.

٤ - تقول: «.. لأن المشتق يستقل عن المشتق منه ويكون له عالمه الاشتقاقي الذي يؤخذ منه مباشرة..»

فأقول: ما رأينا هذه القاعدة من قبل، فمن قالها أيها الشيخ؟ إن كنت أنت صاحبها فأرجو أن تفصلها لتعميم الفائدة.

٥ - تقول: «كيف يطلب الأخ الصاعدي من العرب أن يوجد في كلامهم: المتنحوي (هكذا) وهم لا يعرفون في سليقتهم فناً اسمه النحو، وإنما هو مصطلح ثقافي طرأ على أميتهم كالفاعل والحال والمجاز».

فأقول: لم أطلب منهم ذلك أبداً، وإنما أطلبه مني ومنك ومن كل من يتكلم بلسان العرب ويريد أن يشتق اسم الفاعل من «كلمة» النحو عند زيادة التاء في أولها أن يقول: المتنحّي قياساً على كلام العرب، ويبدو أنك نسيت أنك اشتققت ذلك باختيارك، ولكنك اخترت الوجه الضعيف.

٦ - تقول: «أسألك بالذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك: في أي مصدر وجدت أن النحو - الذي هو الفن العلمي القائم - له فعل مسموع بإجماع العلماء، وهو نحا ينحو نحواً..».

فأقول: وجدت ذلك في معاجم اللغة، وهو نحا ينحو نحواً وناحية، وهو فعل قديم في اللغة، ومنه اشتق علم النحو، ولهذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مخاطباً أبا الأسود في نشأة النحو: «انحُ هذا النحو» (ينظر معجم الأدباء ٤/ ١٤٦٧) وقال له أيضاً مرة أخرى: «ما أحسن هذا النحو الذي نحوته».

قال ياقوت معلقاً على هذا: «فلذلك سمي نحواً» (معجم الأدباء ٤/١٤٦٧).

وقال الخليل في (العين ٣/٣٠٢): «وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية فقال للناس: انحوا نحو هذا فسُمِّي نحواً».

وقال ابن فارس في (المقاييس ٥/٤٠٣): «النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد. ونحوتُ نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به».

هذا جواب ما سألتني بالله عنه، وأنا أقول لك الآن: أسألك بالذي خلقك فسوّاك فعدلك أن تفسّر لي - على مذهبك - كيف جاءت تلك الياء في (المتنحوي) مع بقاء الواو؟ وأن تزن لي الكلمة.

٧ - تقول: «إن المشتق - وهو علم النحو - عالم آخر له فعله الخاص يجوز لنا أن نحدثه حسب أصول التصريف منذ استجدَّ الاصطلاح عليه في لغة العرب».

فأقول: ما هذا الفعل؟ لو أحدثته - أيها الشيخ - حسب أصول التصريف - كما تقول - لما اختلفنا هنا فيه وفي اسم الفاعل منه؛ لأن القياس طريق واحد، نلتقي فيه شئنا أم أبينا.

٨ - تقول لي: تشبثك بالإلحاق بالرباعي تشبث طالب لا يفقه من اللغة إلا ما لقّنه الأستاذ في مراحل الطلب، فحفظ العبارة بلا فقه..»

فأقول: صدقت أنا تلميذ لجميع أساتذتي في الجامعة - حفظهم الله - ولن أنسى فضلهم عليّ وما حفظته عنهم يغنيني إن شاء الله.

٩ - تقول: «والواقع أنه ليس هناك أصل اسمه الإلحاق بالرباعي».

فأقول: إنكارك الإلحاق بالرباعي من تلك الغرائب.

واعلم - أخيراً أيها الشيخ - أن الخطأ لا يحطّ من قدرك ولا يُنقص من علمك، فكل إنسان يؤخذ منه ويردّ إلا صاحب ذلك القبر {صلى الله عليه وسلم} ومن يسلم من التقصير وسوء الفهم والعثرة والزلة؟!!

كبرياء الحرمان

للشاعر: يس قطب الفيل
- مصر -

في ظلمة البوادى
أبحرتَ
لم تدع صدى
ولا استكنتَ
فوق راحة المدى
ولا استرحتَ
في مسيركَ الطويلْ
يا عابر السبيلْ
تحسَّس الطريقَ
.. لا تغامرْ ..
.. إياك أن تقامر
أو تنسف المعابرْ
فما تراهُ
إن يكن سرابْ
يقود للعذابْ
أو كانت البوادى
بداية البداية
في رحلة العناد
فقد تعود مُكْرَهاً
إلى عنائك القديم
متشحاً بألف كبرياء
.. فلم تزلْ ..
وما تزالُ وجبة
أو نصف وجبة
فى كل عام ..
خير من الطعام
ألف مرة
على موائد اللئامْ.

١٠١

النخلة: تمرها.. غذاء ودواء

أوراق زوجية
ابو عواد / ام عمرو

رسالة الى السيدة الجميلة

نداء الشجر

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



النخلة: تمرها .. غذاء ودواء

النخلة شجرة من الفصيلة النخيلية كثيرة في بلاد العرب، ولا سيما الحجاز والعراق ومصر، ويزرع لثمره المعروف بالبلح (Date) أو التمر، أو للزينة، مفرده نخلة وجمعه نخل ونخيل[١].

الاسم العلمي للنخيل فينكس داكتيلفيرا (Phoe-nix dactylylifera) والشجرة معمرة، يبلغ طول ساقها نحو ٣٠م. وتتوجها أوراق ريشية كبيرة، بقواعدها عدة أشواك حادة، ونخيل البلح ثنائي المسكن، أي أن الأزهار المؤنثة تحمل على نبات، والمذكرة على نبات آخر ويخصب بنقل عراجين من النخلة المذكرة ووضعها بين عراجين كبائس النخلة المؤنثة عقب انشقاق الأغريض وبروزها منه، وتكون ثمار البلح خضراء، ثم تتحول إلى اللون الأصفر أو الأحمر، ثم ترطب فيصير الأصفر بنيا والأحمر مسودا[٢]. وثمر النخل له أسماء متعددة حسب مراحل نضجه فيسمى بسراً ما دام غضا طريا، ويدعى بلحاً ما دام أخضر، وتمرا حينما يصير يابساً. ويتراوح طول البلحة بين ٢ر٥ - ٧ر٥ سم والبلح غذاء رئيسى لسكان البوادى والواحات[٣].

ونخلة البلح تكاد تكون الشجرة الوحيدة التى يستفاد من كل جزء منها، فبينما ثمارها تحتوى على معظم المركبات الغذائية الأساسية من كربوهيدرات وبروتينات وفيتامينات وأملاح معدنية، فإن جذوعها وسعفها تستخدم فى العديد من الصناعات الريفية وحديثا أمكن صنع ألواح من الخشب المضغوط من سعف النخيل[٤].

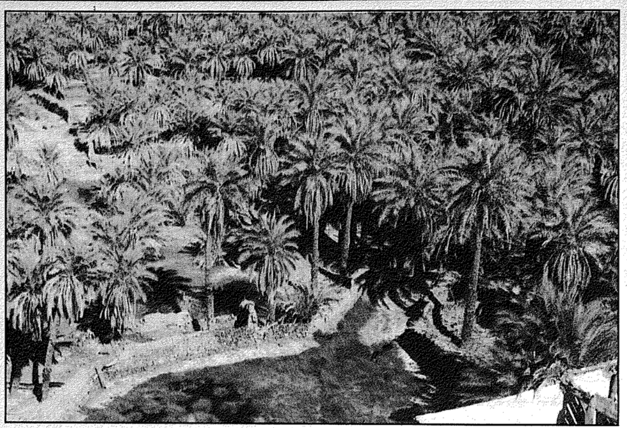
منزلة النخلة في الديانات السماوية المختلفة:

لقد حظيت النخلة بالتكريم من الله عز وجل والتفرد والتميز على بقية الزروع، ومن سمات تميزها ذكرها فى القرآن الكريم فى عشرين آية في مواضع مختلفة فى ست عشرة سورة، وقد احتلت مكانة سامية في جميع الأديان السماوية، فنجد اليهود يطلقون على بناتهم اسم تامار - من التمر - تشبيها لهن بالنخلة، لتمتع النخلة بالخصوبة، والقوام المشوق، والطعم الحلو[٣] وفي المسيحية شهدت هذه الشجرة وحدها دون سائر المخلوقات ميلاد المسيح عيسى عليه السلام وكان ثمرها غذاء ودواء.. وسكينة للنفس.. وقرة عين للسيدة مريم ابنة عمران.. أليس هذا أكبر دليل على تميزها.. ونيلها الشرف الرفيع، فليس من الشجر، شجرة أكرم على الله من شجرة حَنَّ جذعها إلى رسول الله {صلي الله عليه وسلم} لما فارقه: شوقا إلى قربه وسماع كلامه[٥].

وهذا ما ذكره القرآن الكريم فى قول الله عز وجل فى سورة مريم: (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسيا. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سَرِيّا، وهُزِّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقرى عينا} (الآية/ ٢٣ - ٢٦)[٦].

وفي الصحيحين، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «بينا نحن عند رسول الله {صلي الله عليه وسلم} (جلوس): إذا أتى بجمار نخلة، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم: لا يسقط ورقها: أخبروني: ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادى. فوقع فى نفسي: أنها النخلة ، فأردت أن أقول هى النخلة، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سنا: فسكت فقال رسول الله {صلي

بقلم: أ.د. سامية محمد مصطفى عامر
- مصر -



الله عليه وسلم}: هى النخلة. فذكرت ذلك لعمر. فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا(١٠) وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «بيت لا تَمْرَ فيه جياعٌ أهله» أخرجه أحمد فى مسنده (١٨٨/٦). وفي الصحيحين، عن عبد الله بن جعفر: رأيت رسول الله {صلي الله عليه وسلم}: «يأكل القثاء بالرطب» أخرجه ابن ماجة (٣٣٢٥)، وفي سنن أبى داود عن أنس، قال: كان رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء» أخرجه أحمد فى مسنده (١٦٤/٣). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - {صلي الله عليه وسلم} «إن فى العجوة العالية شفاء» أخرجه مسلم عن عائشة (١٦١٩/٣). وروى عن سلمة بنت قيس قالت: قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم} «أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فإن من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليما»[٨].

الإحتياجات البيئية الملائمة لنمو أشجار النخيل:

١ - درجة الحرارة:

تعتبر الحرارة من أهم العوامل المحددة لانتشار النخيل وإثماره بحالة إقتصادية. وهي العامل المحدد لتحديد المناطق الملائمة لزراعة الأصناف المختلفة، واختيار ما يناسب كل منطقة منها. ويحتاج النخيل بصفة عامة إلى درجة حرارة مرتفعة - كل أشهر الصيف لانتاج ثمار جيدة على اختلاف أصنافه فالأصناف الطرية مثل الزغلول والسماني والحياني والأمهات وبنت عيشة يحتاج درجة حرارة تزيد عن ٢٧°م.

والأصناف النصف جافة مثل السيوى (الصعيدى) والعمرى والعجلانى إلى درجة حرارة تزيد عن ٣٠°م بينما الأصناف الجافة مثل السكوتي (الإبريمى) والبرتمودة - الجنديلة - الملكابي تحتاج لدرجة حرارة أكثر من ٣٢°م[٤].

ب - الرطوبة الجوية والرياح:

يحتاج النخيل إلى جو جاف خال من الرطوبة والأمطار خلال فترتي التلقيح ونضج الثمار للحصول

على إنتاج جيد. وتتمتع أشجار النخيل بالقدرة على مقاومتها للرياح لمرونة جذوعها وقوة تثبيت جذورها الكثيفة في التربة إلا أنه قد تسبب الرياح والعواصف الشديدة في سقوط النخيل الطويل والضعيف. كما أنها تعيق عملية التلقيح، كما قد تضر الرياح المحملة بذرات الرمال التمر وخصوصا فى طور الرطب وتقلل درجته التجارية، ولذا يجب تغطية السباطات في المناطق التى تتعرض لهبوب عواصف شديدة كما في الواحات[٤].



التربة المناسبة وماء الرى وطرق التكاثر:

تنمو أشجار النخيل في جميع أنواع الأراضى، وإن كانت التربة الخفيفة والرملية هي المفضلة، كما ينجح النخيل في الأراضى الملحية والقلوية وذات المستوى المائي الأرضي المرتفع، ويعتبر توفر مياه الري عاملا هاما للتوسع في زراعته حيث يتوقف نجاح النخيل إلى حد كبير على إعطائه كفايته من الماء، على الرغم من أن النخيل يتحمل الجفاف بالمقارنة بأشجار الفاكهة الأخرى. ويتكاثر النخيل بالبذرة والفسائل، وتعتبر طريقة التكاثر بالفسائل هي الطريقة المثلى للحصول على أصناف مشابهة تماما للأمهات المأخوذة منها، وتفصل هذه الفسائل من جوار الأم بعد اكتمال نموها وبلوغها الحجم والسن المناسب[٤].

الأصناف:

يعرف فى العالم عدد كبير من أصناف البلح يزيد عددها على ألفي صنف ويوجد بمصر أصناف عديدة أهمها من الناحية التجارية:

١ ـ أصناف البلح الرطب: مثل الزغلول، السماني، الحياني، الأمهات، بنت عيشة.

٢ ـ أصناف نصف جافة: مثل العمري، العجلاني، السيوي.

٣ ـ أصناف جافة: مثل السكوتي، الملكابي، الجنديلة[٤].

القيمة الغذائية والتركيب التحليلي للتمر والرطب:

يحتوى البلح على المركبات الآتية:

١ ـ السكريات: يحتوى البلح على سكر الجلوكوز والفركتوز والسكروز وتصل نسبة السكريات في البلح إلى ٧٥٪.

٢ ـ الألياف الخام: تتراوح نسبة الألياف في البلح ما بين ٢ ـ ٤٪ على أساس الوزن الجاف، وتتكون هذه الألياف من البكتين واللجنين والسليلوز ولهذه الألياف دور هام فى تقليل كثير من الأمراض مثل سوء الهضم والإمساك.

٣ ـ البروتينات والأحماض الأمينية: تتراوح نسبة البروتينات فى البلح ما بين ٥ر١ ـ ٢٪ كما يحتوى البلح على الأحماض الأمينية الأساسية (essential amino acid) وهي التى لا يستطيع الجسم تصنيعها مثل الليسين (Lysine) والليوسين (Leucin) والفالين (Valine)، والأرجنين(Arginine)، والهستدين (Histdine) كما يحتوى أيضا على الأحماض الأمينية غير الأساسية مثل الأسبارتك، والبرولين، والسيرين.

٤ ـ الدهنيات: تتراوح نسبة الدهون في البلح من

* والجدول التالي يوضح القيمة الغذائية لمائة جرام من البلح الجاف:

العنصر	النسبة بالجرام	العنصر	النسبة بالجرام
ماء	٢٠ جرام	بروتين	٢ر٢ جرام
دهون	٦ر٠ جرام	كربوهيدرات	٧٥ جرام
ألياف	٢ر٤ جرام	فيتامين ١	٦٠ وحدة دولية
فيتامين ب١	٠٨ر٠ ملليجرام	فيتامين ب٢	٠٥ر٠ ملليجرام
حمض نيكوتينيك	٢ر٢ ملليجرام	كالسيوم	٦٥ ملليجرام
فوسفور	٧٢ ملليجرام	حديد	١ر٢ ملليجرام

وتعطي كل ١٠٠ جرام من البلح الجاف ٢٨٤ سعراً حراريا [٨].

٢٢ر٢ - ٤٢ر٧٪ ويحتوى البلح أساساً على الأحماض الدهنية ذات السلسلة الطويلة مثل أوليك، والبالمتيك.

٥ - الأحماض العضوية: مثل حمض الفوسفوريك والستريك.

٦ - الفيتامينات: تنقسم الفيتامينات الموجودة في البلح إلى فيتامينات ذائبة فى الماء مثل مجموعة فيتامين (ب) المركب وفيتامين (ج)، وفيتامينات ذائبة فى الدهن مثل فيتامين (أ)، وفيتامين (د) وتصل نسبة فيتامين (أ) إلى ٦٠٠ وحدة دولية/ كيلو جرام من البلح.

٧ - العناصر المعدنية: مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والكبريت والماغنسيوم والصوديوم والكلور والحديد. ويعتبر البوتاسيوم هو أكثرها وأوفرها. وقد وجد أن ارتفاع نسبة البوتاسيوم وانخفاض نسبة الصوديوم مناسب جدا للمرضى الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم.

٨ - الإنزيمات: يحتوي البلح علي بعض الإنزيمات التي يحتاج إليها الجسم في إتمام كثير من العمليات الكيمائية. ومن هذه الإنزيمات: إنزيم الأنفرتاز والإنزيمات البكتينية والإنزيمات المحللة للسليلوز[٧].

التمر غذاء كاف ودواء شاف لكل أمراض العصر:

١ - التمر يقوى الرحم:

يقوى التمر الرحم خاصة عند الولادة، حيث ثبت عن البحوث الحديثة أن له تأثيرا منبها (stimulant) لحركة الرحم وزيادة فترة انقباضه، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى مريم بأن تأكل البلح فيغذيها من جهة، ويزيد من انقباض الرحم بانتظام من جهة أخرى فتضع وليدها بسهولة وبعد مرور أربعة عشر قرنا من الزمان على نزول القرآن الكريم تكشف الأبحاث الطبية أخيرا عن آثار الرطب التى تعادل آثار العقاقير الميسرة لعملية الولادة، والتى تكفل بسلامة الأم والجنين معا، ولانقباض الرحم بعد الولادة، ويعود الرحم إلى حجمه ومكانه الطبيعي قبل الحمل .. حقا إنه الإعجاز العلمي في القرآن[٧، ٨].

٢ - التمر مهدئ للأعصاب:

للتمر تأثير مهدىء للأعصاب، وذلك بتأثيره على الغدة الدرقية، ولذلك ينصح الأطباء بإعطاء الأطفال والكبار العصبيين ثمرات من التمر في الصباح من أجل حالة نفسية أفضل.

وقد أثبتت الدراسات الطبية مدى تأثير الغذاء على سلوك الأطفال، حيث إنه بإعطاء الأطفال ذوى

السلوك العدوانى أطعمة تحتوى على التمر، أحدث ذلك تحسنا كبيرا فى سلوكهم حيث تحولوا تماما من سلوك المشاغبة والعدوان إلى أطفال هادئين ذوى سلوك مهذب.

وقد يرجع التوتر العصبى للأطفال إلى نقص عنصر الحديد في الغذاء مما يسبب نقص بعض الإنزيمات بالمخ، وتوفر عنصر الحديد في البلح أو التمر يساعد على عدم نقص هذه الإنزيمات التى لها علاقة وثيقة بوسائل الإرسال العصبي [٧، ٨].

٣ـ البلح منبه للأمعاء:

البلح مفيد في تقوية العضلات المعوية، حيث يساعد في علاج حالات الإمساك، ويرجع السبب في ذلك إلى احتواء البلح على الألياف النباتية التى تعمل على تنبيه حركة الأمعاء[٧].

٤ـ التمر يعالج فقر الدم (الأنيميا):

نظرا لإحتواء التمر على نسبة عالية من الحديد فإنه يمكن استخدامه في علاج حالات فقر الدم وخاصة عند الأطفال والتى يكون سببها نقص عنصر الحديد. وقد وجد أن منقوع التليو مع عسل البلح مفيد لعلاج حالات الأنيميا[٧، ٨].

٥ـ التمر غذاء للنفساء:

والرطب غني جدا بعنصرى الحديد والكالسيوم، لذلك فضله الله تعالى للنفساء وأمر السيدة مريم العذراء أن تتناوله في فترة النفاس، وكمية عنصرى الحديد والكالسيوم الموجدين بالرطب كافية جدا وهامة لتكوين لبن الرضاعة، وتعويض الأم عما ينقص منها بسبب الولادة أو الرضاعة، والحديد والكالسيوم أيضا عنصران حيويان هامان فى نمو الطفل الرضيع، حيث يعتبران من أهم العناصر الداخلة في تكوين الدم ونخاع العظام[٧، ٨].

٦ـ التمر مع اللبن غذاء الرشاقة:

يستطيع الإنسان أن يعيش على التمر مدة طويلة من الزمن، حيث إنه غني بالمادة السكرية، وهي موجودة في البلح فى صورة سهلة الهضم والامتصاص والتمثيل بالجسم. والاقتصار في الغذاء على البلح يؤدي إلى النحافة، أما إذا تناوله المرء مع قدح من اللبن فإنهما يكونان معا غذاء كاملا من جميع الوجوه، حيث يقوم اللبن بتعويض النقص الموجود في البلح من البروتين والدهون. وكثير من البدو يعيشون على التمر المجفف ولبن الماعز، وصحتهم أجود ما يكون، ونادرا ما يصابون بالأمراض الخبيثة أو المزمنة، وقليلا ما تشاهد البدانة بينهم[٧، ٨].

٧ـ التمر يعالج السعال ونزلات البرد:

المستحضر السابق من منقوع التليو وعسل البلح يفيد أيضا فى علاج السعال المصحوب بتقلصات، كما أن المشروب المحضر من غلي أزهار الزعتر وأوراقه مع البلح يفيد في السعال الديكى ونزلات البرد[٧].

وقد وصف التمر كعلاج للسعال والبلغم والتهاب القصبة الهوائية وذلك بعمل شراب مكون من ٥٠ جراما من التمر، ٥٠ جراما من الزبيب، ٥٠ جراماً من التين المجفف، ٥٠ جراماً من العنب ثم يغلى على النار ويشرب. كما أن عصير الليمون بعسل البلح (الدبس)، مشروب ناجح له أثر فعال فى حالات نزلة البرد[٧].

٨ـ منقوع البلح مدر للبول وملين للأمعاء:

وترجع هذه الخاصية إلى قدرة البلح على تنبيه عضلات المسالك البولية والأمعاء وقد أشاد قدماء المصريين باستخدام البلح فى أمراض المثانة والمعدة والأمعاء[٧].

٩ـ استخدام البلح كمضاد للحموضة:

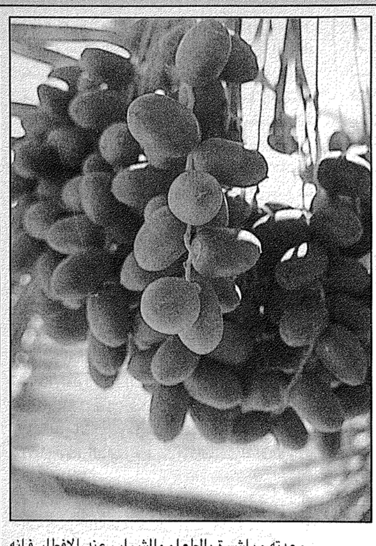
نظرا لأن التمر غني بالأملاح المعدنية القلوية كالكالسيوم والبوتاسيوم فهو خير ما يأكل لمعادلة الحموضة الموجودة بالمعدة، وكذلك لأنه يخلف رماداً قلويا بعد هضمه وتمثيله، وعلى ذلك فإن التمر خير ما يأكل لمعادلة الحموضة التى تتولد من أكل البروتينات المركزة كما هو الحال في السمك والبيض[٧، ٨].

٩ـ التمر يزيد من القدرة الجنسية:

كثيرا ما يوصف التمر لزيادة القدرة الجنسية،

وفي الطب النبوي حيث يقول ابن قيم الجوزية أنه يزيد في الباه ولا سيما مع حب الصنوبر[٥] ويمكن تفسير ذلك بناء على العوامل الآتية:

- يحتوى التمر على الحامض الأمينى الأرجنين وهو من الأحماض الأمينية التى يؤدى نقصها فى طعام الذكور إلى حدوث نقص فى تكوين الحيوانات المنوية.
- يحتوى التمر على فيتامينات (أ) ، (ب) المركب وهي من الفيتامينات الضرورية لتقوية الأعصاب.
- يحتوى التمر على العديد من المعادن مثل الماغنسيوم الذى يعمل على تهدئة الأعصاب، والبوتاسيوم الذى يعمل على تنظيم الإرسال العصبي وإنقباض العضلات[٧].



١١- التمر يقوي البصر والرؤية:

التمر مصدر جيد لفيتامين (أ) (A) لذلك فهو يحفظ رطوبة العين وبريقها، ويقوي البصر والرؤية، ويهدىء الأعصاب[٨].

١٢ - التمر إفطار لطيف للصائم:

كان رسول الله {صلي الله عليه وسلم} يفطر على رطبات قبل أن يصلى، وفي إفطار النبي {صلي الله عليه وسلم} على الرطب أو التمر تدبير لطيف جدا، وذلك لأن الصوم يخلى المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى الأعضاء. ولما كانت المواد السكرية أسرع شيء وصولا إلى الكبد وأحبه إليها، ولا سيما إذا كان رطبا فيشتد قبولها لها، فتنتفع به وتسارع بحرقه وإرسال الطاقة الناتجة عنه إلى الأعضاء والمخ، فالثابت طبيا أن السكر والماء أول ما يحتاج إليهما الصائم بعد فترة الصوم، لأن نقص السكر في الجسم يسبب ضيق الخلق واضطراب الأعصاب، ونقص الماء في الجسم يسبب قلة مقاومته وضعفه، وذلك بعكس الصائم الذى يملأ معدته مباشرة بالطعام والشراب عند الإفطار فإنه يحتاج إلى ثلاث ساعات أو أكثر حتى تمتص أمعاؤه السكر، وعلى هذا تبقى عنده أعراض ذلك النقص ويكون كمن واصل صومه أو كما قال الشاعر العربي القديم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول[٧، ٨]

طلع النخل:

في القرآن الكريم والطب النبوي:

ذكر الله عز وجل الطلع في ثلاث مواضع، الأول فى سورة ق: ١٠ {والنَّخْلَ باسقات لها طلعٌ نضيد}، والثاني فى سورة الشعراء: ١٤٨ حيث يقول سبحانه وتعالى {ونخل طلعها هضيم}، والثالث فى سورة الأنعام: ٩٩ {ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانية}[٦].

وطلع النخل: ما يبدو من ثمرته في أول ظهوره. وقشره يسمى الكفرى و(النضيد): المنضود الذى قد نضد بعضه على بعض. وإنما يقال له نضيد: ما دام في كفراه. فإذا تفتح فليس نضيد. وأما (الهضيم) فهو: المنضم بعضه إلى بعض. فهو كالنضيد. وذلك يكون قبل تشقق الكفرى عنه.

والنخل باسقات: أي طوال شاهقات أما تفسير {ومن النخل من طلعها قنوان دانية} فقنوان جمع قنو مثل صنو وصنوان وهي عذوق الرطب «دانية» أى قريبة من المتناول كما قال على بن أبي طلحة الوالبى عن ابن عباس (قنوان دانية) يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير.

وقد قال امرؤ القيس في ذلك:

فأتت أعاليه وأدت أصوله

ومال بقنوان من البسر أحمرا[٩]

والطلع نوعان: ذكر وأنثى. و(التلقيح) هو: أن يأخذ من الذكر ـ وهو مثل دقيق الحنطة ـ فيجعل فى الأنثى وهو التأبير. فيكون ذلك بمنزلة اللقاح بين الذكر والأنثى.

وقد روى مسلم فى صحيحه، عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: «مررت مع رسول الله {صلي الله عليه وسلم} فى نخل، فرأى قوما يلقحون فقال: ما يصنع هؤلاء؟

قالوا: يأخذون من الذكر، فيجعلونه في الأنثى. قال ما أظن ذلك يغنى شيئا، فبلغهم فتركوه، فلم يصلح. فقال النبي {صلي الله عليه وسلم} إنما هو ظن فإن كان يغنى شيئا فاصنعوه. فإنما أنا بشر مثلكم، وإن الظن يخطيء ويصيب. ولكن: ما قلت لكم عن الله عز وجل، فلن أكذب على الله».

طلع النخل ينفع من الباه، ويزيد في المباضعه، ودقيق طلعه إذا تحملت به المرأة قبل الجماع. أعان على الحمل إعانة بالغة، وهو في البرودة واليبوسة، فى الدرجة الثانية، يقوى المعدة ويجففها، ويسكن ثائرة الدم مع غلظة وبطء هضم.

ولا يحتمله إلا أصحاب الأمزجة الحارة. ومن أكثر منه فإنه ينبغى أن يأخذ عليه شيئا من الجوارشات الحارة. وهو يعقل الطبع، ويقوى الأحشاء والجمار يجرى مجراه، وكذلك البلح والبسر. وإكثار منه يضر بالمعدة والصدر، وربما أورث القولنج وإصلاحه: بالسمن أو بما تقدم ذكره[٥].

في الطب الحديث:

وقد أظهر الطب الحديث أن طلع النخل يحتوى على ١٧٪ من سكر القصب، ٢٢٪ بروتين، ٥٤٪ كالسيوم، بالإضافة إلى وجود نسبة عالية من فيتامينات (ب) ، (ج)، وأملاح الفوسفور والحديد.

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنه مقو للجسم، لوفرة المواد الدسمة فيه كما أنه يحتوى على هرمون (الأيسترون) الذى ينشط المبيض، وينظم دورة الطمث، ويساعد على تكوين البيضة فى الأنثى. كما استطاع العلماء فصل الروتين، التى يتكون منها عقار يقوي الشعيرات الدموية في جسم الإنسان ويحفظها من الإنفجار، وبذلك يمنع النزف الداخلى الذى يصيب مرضى الضغط والسكر[٣].

وما زالت الأبحاث العلمية تجرى لسبر أغوار النخلة المشرفة.. وصدق رسول الله {صلي الله عليه وسلم} حيث قال عنها إنها كالرجل المؤمن: كله خير ظاهره وباطنه[٥].

الهوامش:

(١) أنظر المعجم الوسيط جـ ٢ ط٣ ص ٩٤٦.

(٢) نقلا عن الموسوعة الثقافية ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ مطابع دار الشعب ١٩٧٢.

(٣) أنظر التداوى بالأعشاب والنباتات ـ عبد اللطيف عاشور ـ ص ١٣٧ ، ١٣٨ مكتبة ابن سينا.

(٤) نشرة وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى ـ مركز البحوث الزراعية ـ الإدارة المركزية للارشاد الزراعى نشرة رقم ٧٦ ـ ١٩٨٩، ص ٣ ـ ٨.

(٥) نقلا عن الطب النبوى لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، دار إحياء الكتب القديمة.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الحديث، القاهرة.

(٧) نقلا عن أسرار العلاج بالفواكه والخضروات، د. وفاء عبد العزيز بدوى ص ٤٩ ، ٥٥ ، مكتبة ابن سينا.

(٨) أنظر الأطعمة القرآنية غذاء ودواء ـ د. محمد كمال عبد العزيز ص ٤٧، ٥١ مكتبة القرآن.

(٩) تفسير القرآن العظيم ـ للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى جـ٢ ص ١٥١ ـ دار الجيل ـ بيروت.

(١٠) أنظر تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ـ داود بن عمر الأنطاكى ص ٩٦، دار الفكر للطباعة والنشر.

نداء الشجر

صالحه الزين ـ مكة المكرمة ـ

تحت أضواء القمر الخافتة تجلس أمل بالشرفة تنظر إلى الأفق البعيد، حول الشرفة فروع أشجار تشبثت جذورها بتربة حديقة المنزل، بعض من نسمات تداعب أغصان الأشجار ويصدر عن أوراقها أصوات تُسمع، أمل نداءات وصفية وليست إسمية.. يا وحيدة .. يا وحيدة.

تنفخ رئتيها بالهواء ثم تلفظه من فمها عبر شفتيها أول أكسيد ساخن، تتحسس يدها بحثاً عن ساعة لا وجود لها حول معصم يسراها. تتمتم (حتى لو عرفت كم الساعة ما الفائدة من هذه المعرفة إذا لم تتوج بعمل ينتظرني.. الساعات كلها واحدة)، تسرح، تفكر في ساعات أيامها.

كل يوم تستيقظ، تقوم بواجباتها المنزلية، تعتني بنفسها وابنتها وبيتها تنتظر زوجها، تقطع ساعاتها بالقراءة، تلك القراءة إحدى عدوى زوجها، فهو لا يكره فيها سوى شيئين القراءة والصمت همست في نفسها (متى كانت القراءة مذمة؟ والصمت أليس راحة)؟

فبالصمت تحجب عنه ما قرأت أي أن الفلسفة التي يكرهها الرجال في النساء المثقفات بعيدة عنه. تتذكر أمل أنه دائماً عندما يتحدث إلى ضيف أو بالهاتف تسمعه يقول: (أنا زوجتي مانيكان. فهي من أجمل النساء وأنظفهن؟ مطيعة وهادئة لكن الحياة معها أشبه بالعيش داخل الثلاجة صيفاً وشتاء فهي لا تعرف سوى كلمة نعم، حاضر، طيب، ولا يكون خاطرك إلا زي العسل. بنت ناس ومتربية.

وبالرغم من أنها تغيظني بالنظر في الكتب والقراءة على النظر في وجهي والتحدث إليّ إلا أنها ليست كباقي النسوة اللواتي يفخرن بما تذخر به عقولهن من معرفة وعلم وثقافة.

يبدو لي أنها تدخل ما في الكتب من معلومات إلى عقلها رهينة لا تسمح لها بالخروج إلا بفدية معينة. ولكنها لا تطلبها. ليتني أعرف ما فدية ما بعقلها لفديته.. فقط للتحدث .. وتتعالى ضحكاته مع الطرف الآخر.

وعندما اقترب موعد زواج أخته، كل النساء اكتسين بأحلى الحلل إلا هي، واستعجب وقال لها حينها: دائما أشعر أنني زوج الكمبيوتر .. ولم يحدث يوماً أن كمبيوتراً طلب فستان سهرة ولا حتى قرصاً ممغنطاً (ديسك) ما أغباني أشعر أن شفتيك مشنقة تقع على فوهة ثغرك تشنق الكلمات فور ولادتها.. حالة «وأد» يعني.

يخرج ويتركها ويترك كلماته كسكين يرسم خطوطاً سوداء حول عنقها دونما قتل.

عاودت نسائم الهواء مداعبتها لأوراق الشجر وعاود الشجر نداءاته لها يا وحيدة..

قطع على ورق الشجر تجريح روحها الساهرة صوت طفلتها ـ ماما لم أستطع النوم.

صدمت هذه الطفلة أمها، فهذه الطفلة التي لم تتجاوز العاشرة تأرق.. تباً للأرق.

قالت الطفلة:

ـ ماما بسام إبن الجيران عندما رفضت اللعب معه وفضلت الرسم خبأ علبة الألوان فرسمت بالقلم الرصاص، خطف كراستي وقال لي رسمك أسود كنفسك السوداء.

وضعت الطفلة رأسها على صدر أمها وقالت بصوت كله مرارة وعينان تخنقهما الدموع.

ـ صحيح يا ماما أنا نفسي سوداء.

صُدمت أمل؛ تُرى من علّم بسام بأن الأنفس ألوان. من ذا الذي يفتح مدارك طفل صغير على خبث الدنيا وكيدها.

ظلت أمل تربت على طفلتها. فقد كانت تظن حتى لحظات قلائل. من عُمر الزمن أن الأرق مرض معد يصاب به الإنسان عن طريق الإيحاء.

كانت أمها عندما تعبر عن أرقها تقول (لم أستطع النوم من شدة الغيظ).

تعمق داخل نفسها أن الأرق والقهر والحزن والإحباط توائم أربعة ينامون في مهد الليل ويتغذون بأعصاب البشر ودموعهم كأن أي ندب في بساط الحياة الإنسانية كفيل بتغيير كيمياء الجسم مما يفقد الإنسان القدرة على النوم.

وقد أخفت أرقها عن كل من حولها خوفاً عليهم من العدوى ولكن يبدو أن الأرق مرض وراثي لأن الطفلة أرقتها كلمة فهي ورثت الأرق عن أمها وقد ورثته أمها عن جدتها.

لكن لا ، جدتها لم تكن تأرق كانت تتوهم.

عندما كانوا يجتمعون حول الجدة يتحدثون ويتندرون ويضحكون، كانت الجده تشاطرهم أحاديثهم وهي ممددة على الأريكة.

وبعد دقائق كانوا يسمعون صوتاً أشبه بصوت مضخة الماء التالفة ثم يكتشفون بعد ذلك أن الجدة كانت تشخر.

وبعد نصف ساعة شخير يفاجئون بها تشاركهم أحاديثهم فيظنون أنها قد استيقظت وانتهى نومها.

ثم يسمعون صوتاً أشبه بصوت الخلاط الكهربائي.. نامت الجدة وبعد ثلاث أو أربع ساعات تعتدل على الأريكة وتتنهد بحرقة (آه.. لست أدري ما بي لم أذق للنوم طعماً)، جدتها توهمت وأمها تأصل في نفسها ذلك الوهم حتى اضحى أرقها مرضاً لا تذهبه إلا المهدئات.

أما هي تكابد مع الليالي سهراً وحزناً بدون مهدئات. ولكن ماذا عن طفلتها هل ستسير في نفس الطريق. الذي وضعت قدمها على أوله في هذه الليلة التي تضاعف فيها حزن أمل على نفسها وطفلتها أم ماذا؟.

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٦٨ - أبو عواد:

إن غالبية الذين جربّوا الصدق مع زوجاتهم أجمعوا على أن (الكذب) معهن أفضل!! نتيجة مخالفة للأسف لما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

٨٦٨ - أم عمرو:

لا يمكن أن يكون الكذب أفضل من الصدق بأى حال من الأحوال فى أى ظرف من الظروف. علينا ان نتعلم ونعلم أبناءنا وبناتنا أن الصدق ولا شيء غيره هو السبيل إلى بناء الثقة والحفاظ عليها بين الزوجين. عندما نواجه مشاكلنا بصدق نصبح جزءاً من الحل بدلا من بقائنا جزءاً من المشكلة.

٨٦٩ - أبو عواد:

يُخْطيء من يعتقد أن الطلاق له ضحية واحدة هي المرأة. بسبب أن العصمة بيد الرجل بينما في واقع الحال أن الزوج هو الآخر ضحية للطلاق والسبب هو المرأة التي لم يجد ضالته معها مما اضطره للبحث عن السعادة مع غيرها.

٨٦٩ - أم عمرو:

في الحقيقة ضحية الطلاق ليس الزوج أو الزوجة. بل هم الأولاد الذين ينكسرون مع انكسار الأسرة وتظل الكسور والشروخ معهم طوال حياتهم مهما حاولنا جبرها.

٨٧٠ - أبو عواد:

أعرف أرامل ضربن أروع الأمثلة في الايثار والتضحية حين رفضن الزواج من رجل ثان حتى يتفرغن لابنائهن من الزوج الأول.

وأعرف رجالا تزوجوا من أرامل فكانوا لا يقلون عنهن عطفاً على ابنائهن من الزوج الآخر. لكنني لم أجد من يؤخر زواجه خشية أن يخسر تربية ابنائه كما لم أجد زوجة أيًا كانت رحيمة بابناء زوجها من غيرها وفيما يكون زوج الأم غالباً محل تقدير ابناء امهم.. فان زوجة الأب غالباً لا تكون محل تقدير ابناء أبيهم.

ويصرف النظر عن الحالات الفردية فإن المسألة ظاهرة لا يختلف عليها اثنان.

٨٧٠ - أم عمرو:

إذا بحثنا وراء اسباب تكيف زوج الأم مع ابناء زوجته نجد حكمة حواء التى تعرف كيف تقرب زوجها من ابنائها وتعزز كل سلوك طيب يقوم به الزوج نحو هؤلاء الأبناء. لعل آدم يتعلم هذا الدرس من حواء.

٨٧١ - أبو عواد:

الزوج غالباً ما يعبر عن حبه لزوجه من خلال موقف يقفه معها أو مع أحد أقربائها وليس كلمات جوفاء يضحك بها عليها. لذا أرجو ألا تنتظري مني أن أبادلك الرد على هذا السيل من الاطراء إلا في حدود الشكر على المشاعر النبيلة فيما أنا أعبر عن حبى بطريقتي التي أمهرها بالأعمال لا بالاقوال. المعذرة سيدتي.

٨٧١ - أم عمرو:

التعبير عن الحب والرعاية أفضل بالأعمال منه بالأقوال ولكنى اعتقد انه من الضرورى قرن الأعمال ببعض الأقوال فالكلمة الطيبة نور للعيون ودفء للقلوب وزاد للرحلة الطويله.

٨٧٢ - أبو عواد:

إن مزاحك معي أمام الأولاد أمر لا أحبذه كثيرا، لا بأس من الملاطفة أو الاستظراف الذي يظل في حدود الممكن والمعقول. فعلى طاولة مكتبي لابد أن تبقى بعض الاوراق مكفية تظل حدود الثقة والصراحة بيننا قاصره عن اعطائك الحق في استطلاعها من باب الاحترام

والتقدير بالوقوف عند حد معين لا ينبغي تجاوزه.

٨٧٢ - أم عمرو:

لا توجد حدود لا ينبغى تجاوزها بين الزوج وزوجته فيما يخص أمور الأسرة، الوضوح والصراحة ضرورة حتمية لأمان الأسره وليحلم كل من الزوج والزوجه وحده اذا أراد ليلاً وهو نائم.

٨٧٣ - أبو عواد:

إن أفضل صباح عندي هو الذي استيقظ منه على صوتك وأنت تملئين أرجاء المنزل شدوا كالبلابل الجميلة وقد هيأت ما يلزم من قهوة الصباح وفطور الصغار وكم أشعر بالاحباط عندما أستيقظ وأجد الصغار يعبثون تخريباً وتكسيرا في المنزل وأنت تملئينه شخيرا عقب ليلة أديت فيها كل أنواع السلام الملكي والجمهوري لجميع محطات الإرسال قبل اقفالها.

٨٧٣ - أم عمرو:

المرأة التى تجلس أمام محطات التلفزيون والإذاعه حتى تقفل امرأة تبحث في كلمات المذيع والمذيعة عما يؤنس وحدتها التى غالباً ما تكون ناتجة عن المعيشة مع تمثال اسمه الزوج.

٨٧٤ - أبو عواد:

إن الزوجة التي ياكل زوجها بالمطعم ويطعمها منه ويغسل ملابسه خارج المنزل لا يحق لها من وجهة نظري شغالتين بالمنزل.. والواحدة ربما كانت كثيرة عليها..!!

٨٧٤ - أم عمرو:

ان الحديث عن الزوجة كبديلة للشغالة والعكس حديث قاصر ومضلل وضار. اعمال البيت يجب ان توزع على كل افراد الأسرة كل بحسب حجم وقته وجهده وانشغالاته خارج البيت. لابد ان نعلِّم اولادنا ان الأسرة تنجح اذا عمل افرادها بروح الفريق. واذا بقى بعد ذلك عمل لا نجد من نوزعه عليه هنا ينبغي ان نبحث عن من يساعد فى تأديته.

٨٧٥ - أبو عواد:

احترام الزوجة لأهل زوجها شرط أساسي لحمله على احترام أهلها.. وفي كل الاحوال الزوجة الواعية هي التي تهيم حباً بأهله ليظل دائم التعلق بأهلها.

٨٧٥ - أم عمرو:

عندما يتزوج رجل من امرأة يكتسب كل منهما أسرة جديدة عليه أن يرعاها ويحافظ عليها كما يرعى أسرته الأولى على أن يبدأ الإثنان من نقطة بداية واحدة هي عقد الزواج.

٨٧٦ - أبو عواد:

على الزوجة التي لا ترى في زوجها إلا انتفاخ محفظته أن تعيد النظر في حياتها معه!!

٨٧٦ - أم عمرو:

الزوجة التى لا ترى فى زوجها إلا انتفاخ محفظته، يكون ذلك راجعاً لانتفاخ اوداجه حتى غطت على عقله وقلبه. ولابد ان نتوقع من كل فقاعه انتفخت فوق طاقتها ان تنفجر.

٨٧٧ - أبو عواد:

السيدة العصرية هي السيدة التي تكون انسانية بمعنى الكلمة، وليس من تتفنن في موديلات الفساتين وتسريحات الشعر وصرعات التفاهات بشتى صورها وأشكالها.. فكم من سيدة تبدو عصرية لكنها فى داخلها اكثر من انسانة همجية فالانسانية تنبع من القلب ولا تشع من فصوص الماس أبدا يا سيدتي.

٨٧٧ - أم عمرو:

السيدة العصرية هي التى تحصل على قدر من التعليم والثقافة يجعلها تثق في نفسها كإنسانة بدون زينة او فساتين او مجوهرات. ويصبح رضاها عن نفسها هو معيار صحتها النفسية وليس رضا الآخرين بما فى ذلك الزوج. حيث ان رضا الإنسان عن نفسه هو البداية الصحيحة لرضا الآخرين عنه وليس العكس.

رسالة إلى السيدة الجميلة

من الهمشري

محمد عبد الواحد حجازي
مصر

* هو الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري (يوليو ١٩٠٨ - ١٩٣٨).
* من أعلام شعراء الرومانسية في الشعر العربي الحديث.
* ذرف على شعراء الرومانسية الأوربيين (وردزورث، وكيتس، وشلر).
* كانت رومانسيته ثمرة طبيعية للحضارة المصرية والمجتمع المصري.
* حظى باحترام وتقدير شعراء الرومانسية في العالم العربي.
* نشأ في مدينة السنبلاوين - محافظة الدقهلية، ثم رحل الى القاهرة.
* أحب الحسناء جتًّا، وكانت من مدينته .. كان يطيب له أن يدللها باسم «توحة».

حبيبتي عطر شبابي .. جتًّا:

في آخر ليلة التقينا فيها لم أدر إن كان لقاء وداع أخير، أم لقاءاً على أمل الغد القريب.. أم أن الغد سوف يتمرد علينا .. لقد رأيتك تنظرين إليَّ بنظرات مرتاعة ثكلى شتت خواطري.

أجل، جعلتني أغص برجْز القلق الحاد الذى كاد يفقدني القدرة على الوعى الصائب والإدراك السليم.. قلق ممض من نظرات لك حيرتني وشتت خواطري.. كنت فيها السائل والمجيب .. وكنت أنت فيها الدهشة والمفاجأة ، واليأس والأمل، والشك واليقين.

نعم، في آخر ليلة التقينا فيها كانت لك نظرات ألهبت في وجداني هواجس ما كنت أتصور أن ترد على ظني.. تركتني وحدى والليل يلفني؟ لا .. لا، بل الليل يؤنسني ويحنو علي ويأسى لحالي.. فلم أجد سواه أبثه أشجاني وهواجسي وأوهامي فهمست إليه قائلا:

أيها الليل أتينا نشتكي
فاستمع شكوى الحزانى المتعبين
هدّنا الحزن وأضنانا الأسى
وبرانا الوجد في دنيا الشجون
قد شكوناك وجئنا نشتكي
لك شيئا في خيال الذاهلين
إنني يا ليل أحكي غنوة
فنيت فيك على مر السنين
واستحالت في البلى قبَّرة
تتغنى في دجى وادي المنون
إنني يا ليل أحكي حزمة
من شعاع في سماء الحالمين

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًّا:

وها أنا ذا في رسالتي هذه أسأل بلسانك، لا، بل أسأل بقلبك.. لا، بل أسأل بروحك .. لماذا؟ إحساس غائر في وجداني يخيفني ويفزعني.. كيف أنجو من عذابه؟ فأجبت قائلا: يا حبيبتي جتًّا:

عانقيني في الدجى اقتربي
إنني أفزع مما تفزعين
قربي خدك .. ضمني إلى
صدرك الحاني.. الثمي هذا الجبين
إنما نحن كركب ضل في
تيه صحراء بقوم تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا
وتركنا في غد ما سيكون

حبيبتي
عطر شبابي .. جتًّا:

وكان السؤال الثاني الذى وشت به نظراتك: هل تحب حبي؟ هل يشبه حبي سائر الحب؟

فأجبت قائلا: أما أن أحب حبك فهذا مما لا يحق لك أن تسألى عنه لأنك تعلمينه علم اليقين.. وتنبئك عنه الليالي والسنون. ولا يحق لك أن تسألى عنه لأن فيه سخرية من حبي لك. فكيف أذن لك فؤادك بأن تعبثي بي .. تسألين عن حبك يا «جتًّا»، ما مكانته عندي؟

لقد كان مثل النسيم الخفي
يُخشى ولا يرتئيه البصر

وكان السؤال الثالث الذى وشت به عيناك إيشاء المستنكر الشاك مزاج غريب من الإدلال بالجمال ومزاج غريب من خوف السلوان والهجران لا، لا ياحبيبتي أتمنى ألا تكون تلك الظنون قد مرت ببالك فلو أنها سرت إليك لا قدر الله لكان ذلك هو العذاب الأليم والهم المقيم والشجن الذى لا ينقطع .. لا .. لا .. يا حبيبتي «جتًّا»:

لا نال قلبي مناه
إن كان قلبي سلاكا
أنت الذى تتجنى
معذبا مضناك
فما لقيتك إلا

كـمـا التـقى جـفناك
يـا ذاهـلا عـن غـرامـي
تـدلـلا رحـمـاك
خلفت جـسـمي طـريحـا
لا يسـتطيع حـراكـا
لـكـنـه مـن هـواه
يـطـيـر حين يـراكـا

تسـألني عـيناك: هل أحبك؟ نعم يا حـبيـبـتي.. وتسـألني عـيناك: وهل حبك يشبه حب المحبين؟ لا يا حبيبتي، وهل يحب الناس الدنيا على شاكلة واحدة؟ لكن حبي لك هو حب الدنيا كلها بنورها وسحرها وجمالها.. الدنيا بكل ألوان الحلاوة فيها.. فكوني يا حبيبتي كما تشائين فلا أملك إلا أن أحبك:

فـلـو تحـولـت نـوراً
لكان طرفي احـتـواكـا
ولـو تحـولـت خـمـرا
لكان ثغري احـتـسـاكـا
ولـو تحـولـت روضـا
وقـد نشـرت شـذاكـا
لكنتُ فـيـه فـراشـاً
أرف حـول سـنـاكـا
وكنت قـضـيت عـمـري
أحـسـو رحـيق جناكـا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا :

وسألتني عيناك: هل تعود ليالي الشُهيِّد حيث جنان الرياض الراتعات مع النجيمات في خمائل من الظلمة الساجية؟ .. أجل يا حبيبتي «جتا» لكم أتمنى أن تعود تلك الليالي إلينا أو نعود نحن إليها:

يـالـيـالي بالشُهـيِّد عـودي
مـحسنات كـمـا قـضيت عـذابا
وأريني السـرور منك سـلافـا
وكـمـا كنت فـارجـعي أكـوابا
واملأي الكأس لا تـخـافي عـذولا
وامـزجي بالسـرور فـيـه شـرابا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا :

وسألتني عيناك في التماع دهائي: هل سيعاودك الحنين إلى «نوسا البحر»، أجمل مغاني النيل وكأنه لم يعشق سواها فأسبغ عليها من فيء نعمائه ما تعشقه العين من جنان الطبيعه وهى فى سخائها العبقري.
سألتني عيناك: هل سيعاودك الحنين إلى «نوسا البحر»؟ هل سيعاودك الحنين إلى حبي؟.. أجل يا حبيبتي، قلبي في حنين لهيف إلى حبك..... فى شوق إلى نسمة من عطرك تحيي فيَّ بواعث الحياة .. إيه يا «نوسا» إيه يا «جتًا» .. إيه يا «توحة».

منك الجـمـال ومني الحب يا نوسـا
فـعللي القلب إن القلب قـد يئـسـا
يا حـبـذا نسـمـة من «توحـة» خطرت
أطالت النفسُ من أسـبـابـهـا النفـسـا
أضـمـهـا ضـم مـشـتـاق به خـبـل
قـد رام كـتـم هوى أحـبـابه فنسـا

ولسوف يدعوني جمالك حيثما طوفت بي الآفاق أو شغلتني شواغل الحياة.. فلا تبخلي عليَّ بلمحة منك تسعدني وتريح قلبي وتكفكف من دموعي:

هذا جـمـالك يدعـوني لأعـشـقـه
لكن ثغـرك يا دنيـاي مـانبـسـا
الله يشـهـد أني حين أذكـركم
أبيل دمـعـا على الخدين محـتـبـسـا

حبيبتي، عطر شبابي .. جتًا:

وسألتني عيناك سؤالا محيراً فالإجابة عليه لا نهائية .. إنها في كل ملمح بديع من ملامح الطبيعة والكون والحياة.. فأنت حلم منوَّر .. وأنت عطر مجنَّح .. وأنت كل الحياة..
أجل ،

أنـت حـلـم مـنـوَّر ذهـبـي
طاف فى أفق عـالـم مـسـحـور
وتجلى على غـيـاهـب روحى
بجناح من الضـيـاء البـشـيـر
* * *
أنت عطر مـجـنح شـفـقـي
فـاوح الروح في هـمـود الذهول
قـد سرى في الخـيـال طيب شذاه
من زهور في شـاطـيء مـجـهـول

حبيبتي عطر شبابي .. جتًا:

لو سألتني عما أعانيه الآن لقلت لك خاطر غريب فرغم شبابي وبهجتي واقبالي على الدنيا بكل الشوق والحب إلا أنني أحس كأن وجودي بغير معنى.. فهل هذا إيذان برحيل لا أوبة معه؟
أجل يا دنيا:

أرى صـفـحـة الآمـال قـد ضـاق أفـقـهـا
ولاح علي اليـأس البـعـيـد مـديدا
لقـد عـشت فى دنيـا الخـيـال مُعـنباً
فـيـا ليت شـعـرى هل أموت سـعـيـدا؟



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

أحدث هذا الكتاب عند صدوره رجة علمية، وظلت الصحف اليومية تتحدث عنه بأقلام كتابها بين معارض ومؤيد، لأن مؤلفه الكبير قد تعرض لتفصيل حيوات الأنبياء في حرية علمية، لا تعرف الركون إلى المسلمات المتوارثة عن الحشويين ممن يبالغون في سرد الإسرائيليات، ويحاولون أن يفسروا على ضوئها آيات من كتاب الله وهي منها بمكان بعيد، ثم تمخض النقاش المستطيل عن قوة الباحث المؤلف، وسديد براهينه، وهذا ما نفصله الآن:

كان الأستاذ عبد الوهاب النجار من خيرة الطبقة التى اقتدت بالأستاذ الإمام محمد عبده في مصر، إذ كان مع الأستاذ المراغى والسيد محمد رشيد رضا والأستاذ مصطفى عبد الرازق والشيخ عبد العزيز جاويش من أبرز تلاميذ هذه المدرسة التي تستضيء بنور العقل فيما تكتب وقد أصدر النجار عدة مؤلفات في تاريخ الاسلام إذ كان أستاذا لهذه المادة بالجامعة المصرية القديمة، وقد طبع منها كتابه (الخلفاء الراشدون) عدة طبعات، أما محاضراته الذائعة فى جمعية الشبان المسلمين التى كان وكيلا لها وأما مقالاته المتشعبة المتوالية في الأهرام والبلاغ والمقطم والرسالة ومجلة الشبان المسلمين ومن قبلها المؤيد واللواء والجريدة أيام شبابه الأول فأكثر من أن تحصر وقد اختاره الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى للتدريس بقسم الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين، فجعل من همه أن يبدأ بتحرير قصص الأنبياء في دروسه ، لأنهم أصدق الدعاة، ومثلهم العليا، فألف كتابه عن هؤلاء وفاجأ الناس بتحقيقات لا عهد لهم بها، والرجل صارم الحجة، واضح الدليل في كل ما يكتب وقد صدق الشاعر الكبير الأستاذ على الجارم حين قال في وصفه:

لَه حُجَجٌ يسميها كلاما ... وما هي غير أسياف تُسلّ
إذا فاضت ينابعه خطيبا ... علمت بأن ماء البحر ضحل
يذلّ له شموس القول طوعا ... ويستخذى له المعنى المُدلّ
بيان مشرق اللمحات زاه ... وقول صادق النبرات فصل
وآيات ترى فيها (ابن بحر) ... يصول كما يشاء ويستدل
يفلّ شبا الخصومة حيث كانت ... برأي كالمهنّد لا يُفلّ

* وهذا وصف يغنينى عن سرد ما أعلمه من

قوة الجدل لدى النجار، ومن إحاطته الوافية بكل ما يتعرض له من مسائل الأدب والفقه والتاريخ وابن بحر هو الجاحظ، وهل بعد أن يُشبّه الجارمُ النجار بالجاحظ مزيد لثناء!؟

وحين ظهر هذا الكتاب مطبوعا بأيدى الطلاب ضاق به بعض من يتشددون في اتباع ما ورد بكتب التراث، وكتبوا الى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين راجين أن يوقف تداول الكتاب بين الطلاب فسارع العميد بتأليف لجنة علمية من كبار أساتذة الكلية لدراسة الكتاب، ثم كتابة تقرير مفصل عنه مع الرد على كل ما جاء به من آراء منقودة لا تستقيم، وقامت اللجنة بواجبها العلمى فعكفت عدة أشهر على فحص الكتاب وأعضاؤها بعدُ ممن يرون التمسك بالسائد الذائع دون لجوء إلى التجديد المبتكر، فكتبوا تقريراً يتضمن بعض النقاط التاريخية التي لم تصادف ارتياحهم العلمي، وهم بعد محمودون لأنهم صدروا عن منطق يرونه الصحيح دون سواه، وقد قرأ الأستاذ اللبان تقرير اللجنة، وقدمه إلى المؤلف البحاثة ليرد عليه بما يوضح منحاه، فقام الأستاذ بجهد مشكور في بيان ما اتجه إليه من تفكير يخالف الاتجاه السائد، ولم يحتد في النقاش كما احتد أعضاء اللجنة فى بعض ما كتبوه، وهذا مما يُحمد له، وقد استشهد في هذا المجال بقول الشاعر:

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وهي روح طيبة يجب أن تحتذى من أهل العلم، ومن حظ الدارسين أن النجار أصدر الطبعة الثانية مشتملة لتقرير اللجنة مع تقرير لجنة أخرى قامت بهذا الغرض دون أن يسقط حرفا واحدا، وشفع ذلك بنقده العلمي الصريح، فأصبح الكتاب بهذه الوثائق معرضا رائعا للرأى الحر والنقاش الهادف، وقدّم للقاريء ما يجعله حكما عدلا إن كان من الفاقهين، ولو سلك كل منقود مسلك الأستاذ النجار من ناقديه، لوضح الصواب دون لجاج، بعيدا عن مناحى المهاترات، وبقراءة الكتاب بنقداته وردوده، تعلم أن المؤلف قد سجل ما لحظه من تراكم الاسرائيليات الخاصة بأنبياء الله في كتب المفسرين والمحدثين ورجال التاريخ، مع شيوع هذه الاسرائيليات لدى كثير من الناس وكأنها علم إسلامى أصيل، لأن الذين فسروا القرآن في نطاقها قد أفهموا قراءهم أن هذا التفسير لا يخرج عن محيط المأثور من كلام الله وسنة الرسول، وهذا موضع الخطر العظيم، وكان المؤلف دقيقا كل الدقة حين وضع الأصول المنهجية التى اتبعها في دراسته، وقد حددها في هذا النطاق.

١) إن العقل ركن المعتقدات الأول، فما أوجبه كان واجبا، وما أحاله كان محالا، وما أجازه كان جائزا.

٢) إذا عارض الخبر العقل وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض.

٣) إذا كان رواة الخبر آحادا فلا يصلح أن يكون دليلا على ثبوت الأمور الاعتقادية، لأنها لا تثبت إلا بالدليل القاطع، وخبر الآحاد ظنيٌ لا قطعي.

٤) أن الخبر الوارد عن النبي المعصوم إذا كان قطعي الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه وأما القرآن فلا خلاف على حجيته الصريحة.

٥) ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، وكان منقولا بطريق النقل المتواتر، ويمكن صرفه عن ظاهره، كان بها، وإلا فيحمل على أنه كان قبل البعثة، أما إذا كان النقل بطريق الآحاد فهو مردود.

٦) إنكار المعجزة الثابتة بنص قطعي الثبوت كُفْرٌ، أما الإسرائيليات فلا حَرَج فى مخالفتها وإنكارها.

٧) كتب العهد القديم والجديد يُقبل منها ما كان موافقا للقرآن. وما خالفه باطل، وما كان القرآن

ساكتا عنه فلا نقطع بكذبه أو صدقه، ويجوز الائتناس به.

٨) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه بل هى أوجه يجوز حمل القرآن عليها، أو مخالفتها.

هذه هي الأسس التى ارتكز عليها الأستاذ في تحقيقاته، ولها أصول في كتب السابقين والمحدثين، ولكن بعض زملائه من أساتذة الكلية لا يتفقون على صوابها، ومن هنا دار النقاش! وقد كان من القررات الأساسية لدى من عارضوه أن آراء السلف لا تَقْبَلُ التعديل، وأن مخالفة الأستاذ النجار لبعض هذه الآراء تتطلب التصحيح، وإذا كان النقد قد تشعب حتى شمل ست عشرة نقطة علمية، فإن محاولة تلخيصها نقدا وردا مما لا تتسع له كلمة موجزة عن الكتاب، وكي لا أحْرِمَ القارىء من الوقوف على منهجين متعارضين في التفكير العلمي فإني سأختار مثالا واحدا لقضية علمية دار حولها الجدل بين الأستاذ ومعارضيه، ولعل ذلك يدفع الدارس الجاد إلى استيعاب كل ما دار، بمراجعة الكتاب فيما بعد الطبعة الأولى، وهى مُتعة لذيذة يحرص عليها من يعشقون تصاول الآراء، وتناطح الأفكار.

أما القضية التى اخترتها من بين القضايا المتعددة، فهي ما ذكره الأستاذ النجار عن رحلة إبراهيم عليه السلام الى مصر، إذ تعرض المؤلف إلى ما نقله الرواة من رحلته إلى مصر في عهد ملوك الرعاة المعروفين بالهكسوس، وما كان من طمع الملك الهكسوسي في سارة «زوجة الخليل، وادعائه عليه السلام أنها أخته كي يسلم من شره، وهذا كله جاء في التوراة، نقله الأستاذ ليتولى تفنيده، دون أن يذكر ما دار حول ذلك من روايات الآحاد في كتب الحديث، ليكون التفنيد للمصدر الأول وحده دون أن يمس الكتب الإسلامية في شيء، وهو صنيع يتمشى مع خطة المؤلف، لأنه لا يعتمد الأحاديث المروية عن الآحاد ولم تثبت بنص قطعى متواتر، إذ قرّر في شروطه التى التزم بها عدم الركون إلى أحاديث الآحاد إذا كانت مما يصطدم مع الرأى، ولكن اللجنة الناقدة رأت في تجاهل هذه الأحاديث ذللا خطيرا، وأفاضت فى تسطيرها برواياتها المختلفة، وكان أول ما بدأت به رواية أبي هريرة[١] عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، اثنتين فى ذات الله وهما قوله: إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم، وواحدة فى شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها، إن علم هذا الجبار انك امرأتي غلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختى، لأنك أختى فى الإسلام، ولا أعلم في الأرض مسلما غيرى وغيرك، فلما دخل أرضه علم الجبار بها، فأرسل إليها فأتى بها، فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده عليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: دعي الله أن يُطلق يدى ولا أضرك. ففعلت فأطلقت يده، ودعا الذى جاء بها فقال له: لقد أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضى، وأعطاها هاجر. هذا نص من أحاديث متشابهة في المعنى والمضمون أفاضت لجنة الرد فى سردها، منكرة على المؤلف كل الأنكار أن يترك هذه الأحاديث، ويعتمد الى رواية التوراة، ثم شاءت أن تلتمس له بعض التعليل فرأت الأمر لا يخرج عن أربعة احتمالات هي:

١ - أن يكون المؤلف لم يقف عليها، وذلك مستبعد من أستاذ فاضل يدرِّس في كلية أصول الدين لطلبة الوعظ والإرشاد.

٢ - أن يكون المؤلف قد وقف عليها، ورأى فيها مطعنا يخرج بها عن دائرة الاحتجاج، ولو صح ذلك لوجب عليه فى رأى اللجنة أن يذكر مطعنه بأدلته.

٣ - أن يكون قد وقف عليها ولم يعلم فيها مطعنا، غير أنه لا يراها مما يتخذ مصدرا للأحداث التاريخية.

٤ ـ أن يكون قد وقف عليها، ولم يعلم فيها مطعنا غير أنه سها عن ذكرها.

وهذه احتمالات عقلية افتراضية فحسب، لأن المؤكد أن المؤلف الكبير قد درس جل ما جاء في التراث عن ابراهيم، وفي مقدمته ما جاء في الأحاديث، لذلك سارع بالرد الجهير قائلا: إنه يعرف هذه الأحاديث ويعلم أنها تسند الكذب الى نبيّ كريم، وهو أمر يمس العقيدة، وقد قال صاحب الفتح جـ ٨ ص ٤٣١، إن الأحاديث إن كانت في مسائل علمية يكفى في الأخذ بها بعد صحتها إفادتها الظن أما إذا كانت في العقائد فلا يكفى فيها إلا ما يفيد القطع متناً وإسنادا، وعلى ذلك فلا تصلح تلك الأحاديث أداة لتقرير كذب إبراهيم عليه السلام، لوجوه كثيرة استطرد النجار في ذكرها ناقلا ما يدل على صدقه من مثل قول الله عز وجل {واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا} (مريم/٤١) ومثل قوله تعالى: {إن إبراهيم كان أمّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم} (النحل/ ١١٩ ـ ١٢٠) ومعقبا على ذلك بآراء الثّقات من المفسرين، ثم انتقل الى القاعدة العلمية التى توجب رد الحديث إذا كانت روايته آحادا، وفيه نسبة العامى أو الكذب للأنبياء مسجلا ما قرره العصام فى شرح العقائد النسفية بعد أن ذكر وجوب اتصاف الأنبياء بالصدق حيث قال: إذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية، فما كان منقولا بطريق الآحاد مردود وإلا فمحمول على ترك الأولى أو قبل البعثة.

ثم نقل نصوصا أخرى تُعَضِّدُ رأى العصام، وجاء بالفلج الواضح حين انتهى إلى قول الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الشهير عن ابراهيم عليه السلام: «وأما قوله عن سارة إنها أختى، فالمراد أخته في الدين وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام، فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا زنديق» ثم جهر الفخر الرازى برد الحديث ونسبته الى بعض الحشوية ممن يخبطون في الرواية خبط عشواء، وكأن الأستاذ عبد الوهاب النجار قد اغتبط بمظاهرة الفخر إياه فقال تعقيبا على رأيه فى رد الحديث ما نصه[٢]: «إن لى سلفاً في رد الأحاديث الناطقة بكذب إبراهيم ـ نزهه الله على ذلك ـ وهو الفخر الرازى، وقد حاول حضراتهم ـ يريد أعضاء لجنة المناقشة الحط من هذا القول، لأنهم متى زيفوا كلام الرازى فقد زيفوا رأيي، وأكبر ظني أنهم لو لم يجدوا كلام الرازى مطابقا لما أوردته، ما خطر ببالهم هذا الخاطر، وآية ذلك أنهم يعلمون أن الفخر الرازى قال بذلك قبل أن أكتب كتابي ولم ينشط أحد منهم للرد عليه كيلا تضل الأمة». هذا مثال للنقاش الجاد حَوْل كل الاعتراضات التى تقدمت بها اللجنة الناقدة وذلك يعنى أن الأستاذ النجار قد فتح بابا جديدا في كتابه التاريخ النبوي لرسل الله، وقام بمعوله هادماً ما تراكم من الاسرائيليات حول هؤلاء! وكان الظن بمثل هذا الكتاب القيم أن يقابل بالترحيب، وإذا كان من نقد فلابد أن يحاط بالتقدير والاحتفال، ولكن الله أراد بهذه الضجة أن تخدم سير المرسلين، فقد أورثت الكتاب ذيوعاً وانتشارا، وأصبح المرجع الأول في سير الأنبياء، وقد رجع إليه كل من ألفوا في تاريخ النبوات من بعده، وهذا يدل على أن المنطق الصحيح يشق طريقه للعقول مهما اعترضته العقبات، وإذا كانت للأستاذ النجار مؤلفات أخرى ذات تحقيق وبحث فإنها لم تبلغ من الذيوع مبلغ كتابه عن الأنبياء، مما يجعلنا نتساءل ألا يمكن أن ينتشر الكتاب الجيد بين القراء دون ضجيج! لقد عرفت من المؤلفين من يحث بعض أصدقائه على تجريح مؤلفه ليعقبه الرد فالرد. فيترك ذلك صدى كبيرا، وهو مسلك لا أرتضيه.

الهوامش:

(١) قصص الأنبياء ـ الطبعة الرابعة ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) قصص الأنبياء ـ الطبعة الرابعة ص ٩٢.

من المناقشة ينبثق النور:

مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر (٣-٥)



بقلم:
أحمد سالم باعطب
- جـدة -

خطوات المنهج:

عند قراءتي لهذا الكتاب لم أعثر على خطوات مكتوبة حددها المؤلف ليسير على ضوئها حتى يبلغ هدفه، لا مسلسلة تسلسلا عدديًا ١، ٢، ٣، ٤ أو تسلسلا أبجديًا أ - ب - ج - د ، لكنني لن أهضم الدكتور حقه، فقد نثر عقد هذه الخطوات بين سطور الصفحات الأولى غير عابيء بنظمها في سلك الأعداد أو خيط الحروف الأبجدية.

فقد ترك للقارىء أن يجمع شتاتها إن شاء بالكيفية التي يراها مناسبة إذا رغب في ذلك، وكأنّي به يرى أن علم العروض علم دسم لا يسهل هضمه في عصرنا الحاضر، لأنه من العلوم التي لا تستطيع المدارك أن تستوعبها بسهولة ويسر، ولنا في الأقدمين أمثلة على ذلك.

ومن الأمثلة التي حملتها بطون كتب التراث ما يلي:

المثال الأول: في كتاب ابن القطاع المسمّى «البارع» تحقيق الدكتور أحمد محمد عبد الدائم بالصفحة التاسعة من الطبعة الأولى ورد «أنّ الأصمعي أراد أن يتعلم العروض على يد الخليل بن أحمد فتعذر ذلك عليه فقال له الخليل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

المثال الثاني: وفي «الكافي» للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله بالصفحة الخامسة بالسطر الحادي عشر ورد ما يلي: «غفر الله للجاحظ تصريحه بأنّ العروض علم مستبرد»

المثال الثالث: قال ابراهيم بن سيار بن هانيء البصري أبو اسحاق النظام: «إنّ دوائر الخليل لا يحتاج إليها غيره»، ورد هذا القول في الصفحة الخامسة من كتاب «الكافي» للخطيب التبريزي بالسطر السادس عشر.

وكل هذه الأقوال لا تقلل من منزلة الخليل بن أحمد، ولا تنقص من قيمة العروض شيئا ويمكن للقاريء اللبيب أن يتعرف على خطوات منهج الدكتور كلها أو بعضها من خلال قراءة متأنية لما ورد في الصفحات الأولى من كتابه، فقد بين في سياق حديثه أنه سيكون «منصفا في معالجة القصائد التي وصفها البعض بالشذوذ أو الاضطراب في الوزن، وأنه لن ينتصر لعروضي دون آخر، ولن يؤيد توجها ويرفض آخر».

وقد عرج الدكتور في الصفحة السابعة عشرة من كتابه إلى معنى الشذوذ عند العروضيين،

والشذوذ كمصطلح لغوي فقال: «إنَّ الشاذ عند العروضيين يختلف تماما عن الشاذ عند النحويين، فهما مصطلحان مختلفان في المعنى، فـ «الشاذ» في العروض ليس ضد القاعدة المتسقة، وإنما معناه - فيما أحسب - عدم اضطراده وشيوعه، فلندرته حكم عليه بالشاذ، ولو استعمل العروضيون مصطلح «الندرة» لكان أقرب إلى عدم توسع المتلقي في تفسير معنى «الشذوذ» الذي قد يتجه إلى كونه «وزنا مضطربا، وهذا ما لم يقصده العروضيون فيما أخال».

ولقد سبق أن أشرت في مقال لي نُشر بملحق الأربعاء الصادر يوم ٣٠ ربيع الأول عام ١٤١٧هـ بالصفحة الحادية والعشرين بالسطر السابع من العمود الرابع إلى كلمة «الشذوذ» في العروض فقلت: «إنَّ كلمة الشذوذ كلمة نابية، يجب أن نغلق أمامها الأبواب حتى لا تلج رياض الأدب فتفسد نقاء هوائها».

إنَّ اقتراح الدكتور القحطاني باستخدام كلمة الندرة بدل الشذوذ اقتراح سديد ينمُّ عن حسٍ أدبيٍ رفيع، وليت الذين يهتمون بعلم العروض أن يحاولوا إقناع الغير بالعمل على أن يأخذ هذا الاقتراح مكانه في الذيوع والانتشار.

في نهاية الصفحة السابعة عشرة تحدث الدكتور عن مفاهيم الشذوذ الخمسة كما يراها عند دارسي العروض فقال: «غير أنه - أي الشاذ - مصطلح لم يستقر عند دارسي العروض فتناولوه على خمسة مفاهيم» ثم بيَّن تلك المفاهيم بالتفصيل.

مناقشة النصوص:

بدأ الدكتور القحطاني مناقشة النصوص التي رصدها من قبل، وتعهد بأن يناقشها حسب عدد الأبيات، وأشار في مستهل حديثه أنه سيبدأ بمناقشة البيت ثم البيتين ثم الثلاثة، ثم المقطوعات فالقصائد ، ولقد صدق وأوفى بما وعد، فبدأ بمناقشة ثلاثة أبيات من بحر المتدارك جاءت متناثرة في كتب العروض، وهي أبيات لم يُعرفْ قائلوها، وإنما أوردها العروضيون ضمن مؤلفاتهم للاستشهاد بها وقد تكون من نظم العروضيين أنفسهم نظموها ليحققوا بها تأسيس قاعدة.

أول هذه الأبيات:

جاءنا عامر سالما صالحا
... بعد ما كان ما كان من عامر

وثانيها:

إن الدنيا قد غرتنا .
.. واستهوتنا واستلهتنا

وثالثها:

أبكيت على طلل طرباً
... فشجاك وأحزنك الطَّلَلُ

فالبيت الأول للاستشهاد به على المتدارك السالم، والبيت الثاني للاستشهاد به على المقطوع ضربا وعروضا وحشوا من المتدارك التام، والبيت الثالث للاستشهاد به على المتدارك المخبون ضربا وعروضا وحشوا.

وقد أشير إليها في بعض الكتب أنها من نظم الخليل بن أحمد وعند مناقشة الدكتور لاختلاف نغمات القوافي نتيجة ما يطرأ عليها من العيوب ذكر أن العروضيين استكرهوا من تلك العيوب «السناد» وفسر السناد بقوله «اختلاف حروف أو حركات ما قبل حروف الروي» وهذا القول على إطلاقه لا يشمل جميع أنواع السناد وهي : سناد الاشباع، وسناد الردف، وسناد التأسيس، وسناد التوجيه، وسناد الحذو. «يراجع الكافي للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله صفحة ١٦٤» وعلل الدكتور سبب اعتبار السناد عيبا من عيوب القافية بقوله: «محافظة على المقطع الصوتي» وهذا قول صحيح لأن اختلاف الحركات غير المتناسقة كالضمة والفتحة، أو الكسرة والفتحة تسبب خلخلة في النغمات الموسيقية مما يشعر القاريء باضطراب في الوزن. وضرب الدكتور مثلا للسناد بسناد الاشباع وهو تغير حركة

«الدخيل» والدخيل حرف «يأتي بين الروي والتأسيس» والتأسيس ألف يأتي قبل حرف الروي بحرف صحيح والمثال الذي ضربه لسناد الإشباع سليم. على أن هناك خلافا بين العروضيين في جواز بعض أنواع السناد.

وسلامة نية سعادة الدكتور عبد المحسن تجعله يحسن الظن بكل شيء إلى درجة أنه يضع ثقته فيه، ويسلمه أمره، ومن ذلك أنني عند قراءتي لكتيبه في طبعته الأولى وقعت عيني على بعض الأخطاء ودونتها، وتوقعت أن يكون الدكتور قد قام بتصحيحها في الطبعة الجديدة، ولكنه لم يفعل خشية أن يثير غضب المصححين فتركها على علاتها. ولنقرأ من تلك الأخطاء قوله في الصفحة الحادية والعشرين بداية من السطر السابع: «وآخر يكون حرف الدخيل واوا في بيت ، وياء في بيت، فيشعرُ القاريء أن الحركة اختلفت تبعا للحرف مع أنه ساكن في كليهما «خمُوشا» و«قُرَيْشا».

وهذا القول من بدايته إن لم يكن خطأ مطبعيا فهو قولٌ جانبه الصواب، فحرف الدخيل لا يكون واوا ولا ياء ولا ألفا وإنما يكون حرفا متحركا، لكن حروف المد الثلاثة الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها تصلح أن تأتي إردافا، والردف هو حرف المد الذي يأتي قبل الروى، كما أن الواو الساكنة المفتوح ما قبلها، أو الياء الساكنة المفتوح ما قبلها يعتبر كل منهما «ردفا» لأنهما «حرْفا لين» وحرفا اللين يعتبران حرفي مد ولكن هناك فرق تُبيِّنه أحكام المد الطبيعي واللين في علم التجويد، والدكتور أعلم بذلك مني في هذه النقطة.

وأما البيتان اللذان استشهد بهما الدكتور وهما:

عبد شمس أبي فإن كنت غضبى
فاملئي وجهك المليح خمُوشا
نحن كنّا سكانها من قريش
وبنا سميت قريشُ قُرَيْشا

* وكذلك البيتان اللذان وردا في مطلع الصفحة الثانية والعشرين لعبيد بن الأبرص وهما:

فإن يكُ فاتني ومضى شبابي
وأصبح عارضي مثل اللُّجيْن
فقد ألجُ الخباء على عذارى
كأنَّ عيونهُنَّ عيونُ عِينِ

* فإن البيتين الأولين والبيتين الأخيرين يمثلان سناداً واحداً هو سناد الحذو و«الحذو» هو حركة الحرف الذي يأتي قبل الردف كما مثل لذلك الدكتور.

ثم تطرق الباحث إلى سناد الردف وأصاب في اعطاء المثال الصحيح، ولكنه رجع بنا القهقرى إلى العصور الأولى عصور النوابغ والأفذاذ الذين يفهمون الكلمة ومعناها وهي «طائرة» أي قبل أن تطرق أسماعهم، في حين أننا نعيش اليوم في زمن لا نستطيع فيه أن نتقبل الكلمة قبل أن نبحث عن معناها إلا إذا جيء بها في طبق به من المقبلات والمشهيات والمتبلات حتى نقبل عليها ونتذوقها حرفا حرفا، فماذا نصنع إذا قدم لنا الدكتور هذه الجملة «فالجمع بين «تُوصه» و«تَعْصه» ضمٌ يؤول إلى واو وفتح بعده حرف ساكن»، وأخشى أن تكون هذه الجملة من مخزونات الدكتور وجاء بها ليختبر مداركنا ومعارفنا ونحن نعيش في الزمن الرديء كما قال شاعرنا «عمر أبو ريشه» ـ رحمه الله ـ في أحد أبياته ما يمثل هذا المعنى.

وكان يكفي الدكتور أن يعلِّمنا أنَّ سناد الردف هو: أن يأتي بيت به ردف ثم يأتى بعده بيت لا ردف به.

والدكتور بهذه العبارة يذكرني ببيت الفرزدق الذي عجزنا معشر طلاب الثانوية حينما كان أستاذنا في البلاغة والنصوص يدرسنا التعقيد المعنوي في الشعر، والبيت:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكا
أبو أمِّه حيٌّ أبوه يُقَاربه

* فلم يستطع أي منا أن يتوصل إلى المعنى الحقيقي.

والبيتان اللذان أثارا هذه المشكلة هما:

**إذا كنت في حاجة مُرسلا
فأرسل حكيماً ولا تُوصه
وإن باب أمر عليك التوى
فشاور لبيباً ولا تَعْصه**

* وقد تنازع نسبتهما إليه أكثر من شاعر فابن رشيق في العمدة الجزء الأول صفحة ١٦٨ ينسبهما إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه، وفي الكافي ذكر أن البيتين ينسبان إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر أو لصالح بن عبد القدوس، وفي الوافي وهو نسخة طبق الأصل من الكافي للخطيب التبريزي غير أن الوافي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، بينما الكافي تحقيق الدكتور الحساني حسن عبد الله، وقد أضاف الوافي إلى عبد الله بن معاوية وصالح بن عبد القدوس شاعرا ثالثا ينتسب إليه البيتان وهو الزبير بن عبد المطلب.

وترك الدكتور الحديث عن سناد التأسيس وسناد التوجيه ولو قام الدكتور بشرح سناد التأسيس لكان في ذلك خير لأن سناد التأسيس أشبه بسناد الردف. وبعد أن استوفى الباحث معالجة السناد كعيب من عيوب القافية يحدث خلخلة في النغمات، تحدَّث عن البحور المتشابهة، وخلال حديثه عنها تطرق إلى الدوائر التي تجمع بينها. وبعد أن قام الدكتور بمناقشة آحاديات الأبيات أو ثنائياتها أصدر حكمه عليها بقوله في السطر العاشر من الصفحة التاسعة والعشرين: «لذا ظلت هذه الأبيات تشكل استقلالية لنفسها لكنها لا تلتئم مع نص شعري متعدد الأبيات».

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى دراسة عدد من القصائد التي دارت حول صلاحيتها الشكوك، وابتدأ بقصيدة امرئ القيس اللامية ومطلعها:

**عيناك دمعهما سجال
كأن شأنيهما أوشال**

والواقع أن هذه القصائد وقعت في بداية حياتها في قبضة الرفض والشذوذ ثم ما لبثت أن رأت بصيصاً من ضوء الانفتاح عليها، فقد هيأ الله لها قضاة من نقاد الشعر حريصين على البحث والتقصي لاظهار الحقيقة جلية واضحة، وكان من بين أولئك صاحب هذا الكتاب الدكتور عبد المحسن فراج القحطاني الذي صرف جهدا كبيرا في ترصد هذه القصائد ومتابعتها حتى استطاع أن يقف على كثير من الجوانب التي سهلت إلحاقها بالبحور القريبة، وكانت بائية امرئ القيس أولى تلك القصائد، وهي قصيدة أبياتها سبعة عشر بيتا قام بتقطيعها عروضيا الدكتور فتبين له أن عشر أعاريض منها مقطوعة مخبونة إذا اعتبرنا أن الأبيات جميعها من مجزوء البسيط وأن عروضين مطويتان، وثلاث أعاريض مقطوعة وأن عروضا واحدة تامة وأخرى مقطوعة مخبونة محذوفة، وهكذا نجد أن أعاريض القصيدة تشكلت، لكن غالبيتها جاءت مقطوعة مخبونة على وزن «فعولن» وبيَّن الدكتور عند معالجته هذه القصيدة آراء عدد من النقاد حولها ومنهم الدكتور حسين نصار والدكتور شوقي ضيف والدكتور هملّ.

أما أضرب هذه القصيدة فكانت أكثر وحدة فجاءت على وزنين أحدهما ضرب مقطوع «مفعولن» وعدد الأبيات التي جاءت أضربها مقطوعة ستة أبيات، وجاءت أضرب أحد عشر بيتا على وزن «فعولن» مخبونة مقطوعة.

وأشار المؤلف أن لامية امرئ القيس تشبه إلى حد كبير بائية عبيد بن الأبرص والتي مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيَّاتُ فالذنوبُ

* ولما كانت أبيات قصيدة عبيد بن الأبرص تبلغ ما يزيد على خمسين بيتا فقد آثر الدكتور أن يعد لها بحثا مستقلا ضمه فيما بعد إلى بحثه السابق وأصدر هذا الكتيب، وسأحاول المرور به لأقف على ما فيه من فوائد علمية وعروضية، وفي الحلقة القادمة، سيتناول المقال مناقشة الدكتور لقصائد أخرى تدخل دائرة القصائد المشرَّدة».

«الدراسة موصولة»



د. أبو حسام - المنصورة -

٢٠٩ - شاعر محسود:

كان صاعد بن الحسن البغدادي قد رحل من العراق الى الأندلس، وحظى بمودة المنصور بن أبي عامر سيد البلاد وحاكمها المطاع، فحسده بعض أدباء الحاشية وأرادوا الوقيعة به، فصادف أن جلس المنصور في ساعة صفو، بين ندمائه ومستشاريه، فقدمت إليه وردة في غير أوقات الورد، ولم يستتم فتح أكمامها، فقال صاعد بن الحسن مرتجلا:

أتتك أبا عامر وردة
يُذكّركَ المسكُ أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ
فغطت بأكمامها راسها

* فسرَّ بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضرا، فحسده، وقال: هذان البيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين لنفسه بمصر، وهما عندى فى ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور اذهب وائت به، فخرج ابن العريف وركب مسرعا حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن زمانه بديهة، فوصف له ما جرى، فقال لساعته هذه الأبيات، ودس فيها بيتي صاعد:

غدوت إلى قصر عبّاسة
وقد جدّل النوم حرّاسها
فألفيتها وهى في خدرها
وقد صرع السكر أنّاسها
فقالت أسار على هجعة
فقلت بلى، فرمتْ كاسها
ومدّت يديها إلى وردة
يُحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها راسها

* فسار ابن العريف بها، وكتبها على ظهر كتاب بخط مصري، ومداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فاشتد غيظه على صاعد، وقال للحاضرين! غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد، ولم يبق في مكان لى عليه سلطان.

فلما أصبح دعا به، وأحضر طبقا عظيما صُوِّرت فيه رسوم مختلفة من الورود والجواري، ومن فوق الرسوم سقائف تحمل بعض التحف، ومن تحتها بركة فيها ماء قد ألقيت فيها اللالىء مكان الحصباء، وفي البركة ثعبان يسبح، وطلب منه أن يصف الطبق بما فيه، وساعدت البديهة صاعداً، فوصف الطبق بما فيه وصفاً رائعا كان محل الدهشة والاستغراب، فعَظُم مكانه في عين المنصور، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له في كل شهر ثلاثين دينارا، وكمد حاسده ففارق مجلس المنصور حزينا، قاتل الله الحسد!

٢١٠ - مع البحتري:

قال البحتري: دخلتُ مجلس أبي سعيد محمد بن يوسف ومدحته بقصيدتي التي مطلعها:

أأفـاق صبٌ من هوى فـأفـيـقـا
أم خـان عـهـدا أم أطاع شـفـيـقـا
إن السلوّ كـمـا علمتُ لراحـة
لو كـان قلبي للسلوّ مُطيـقـاً

* فسرَّ أبو سعيد بالقصيدة وقال: أحسنت والله يا فتى، وكان في مجلسه رجل رفيعُ القدر عند أبي سعيد، وهو ذو ذاكرة حادة تحفظ القصيدة من سماعها لمرة واحدة، فأراد أن يكبت البحتري فقال له: أما تستحي مني يا فتى؟ هذا شعر لي تنتحله وتنشده في حضرتي، فقال له أبو سعيد: أحقا ما تقول، قال نعم، وقد يكون سمعه فسبقني به إليك وزاد فيه، ثم اندفع الرجل يروى كثيرا من أبيات القصيدة، فسكتُ متحيرا لا أدرى ماذا أقول، وسمعتُ أبا سعيد يقول: يا فتى، قد كان في قرابتك وودّك ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي، وما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه ولا انتحلته، فلم يُصدقني، وقُطع بي حتى تمنيت لو ساخت بي الأرض، وقمت منكسر البال أجُرُّ رجلي، فما جاوزت المنزل حتى خرج غلمان أبي سعيد ينادونني فردوني، فأقبل عليّ الرجل، وقال الشعر لك يا بني، ما قلته وما سمعته إلا منك، ولكني ظننت أنك تهاونت موضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتي في مجلس أبي سعيد، وأنا شاعره المفضّل، وكان عليك أن تستأذني قبل الإنشاد. ولكنك لم تفعل، وأنا رجل أحفظ الشعر بمجرد إنشاده فرأيت أن أعلمك كيف احترامك للكبير! ثم ضمّني وعانقني وأقبل يقرظني، ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به.

ولي تعليق، حيث تنسب بعض الروايات الحادثة لأبي تمام، على أنه هو الذي أحرج البحترى كما جاء في الأغاني وأنا أستبعد هذا، لأن لقاء البحترى لأبي تمام لأول مرة كان بحمص وقد أوصى به، وكتب إلى أهل معرة النعمان يُزكّيه، فكان لتوصية أبي تمام فعلها في إكرام البحترى .. فلا يرجح أنه فعل ذلك بمجلس أبي سعيد ببغداد.

٢١١ - مقلب مهجري:

روى الأستاذ ميخائيل نعيمه الأديب المهجرى الكبير هذه الأطروفه في كتابه عن جبران خليل جبران، قال ما فحواه: عزمتْ جريدة السائح المهجرية أن تصدر عددا ممتازا يضم أقلام البارزين من أدباء المهجر واحتشدت لذلك احتشاداً كبيرا، وقد تلقت فيما تلقت قصيدة رائعة للشاعر المهجري الشهير رشيد أيوب وقد أعجب بها رئيس التحرير، وقرأها لميخائيل نعيمه فصادفت تقديره، وأسمعها بالتليفون لجبران فقرظها تقريظا كبيرا..

وتصادف أن جاءت من دمشق جريدة ألف باء السورية، وبها حيّز أبيض لم يُطبع فيه كلام، حيث حذفت الرقابة أيام الحرب العالمية الأولى ما كان مكتوبا في هذا الحيّز فبقى مكانه فارغا، وقرأ الأستاذ نعيمه الجريدة الدمشقية ورأى المكان الفارغ، فأوعز للأستاذ عبد المسيح حداد رئيس تحرير جريدة السائح، أن يطبع في هذا الحيز قصيدة رشيد أيوب، بنوع من أنواع الحبر المناسب للجريدة السورية، حتى كأن القصيدة قد نشرت من قبل في الجريدة على أن يكون التوقيع باسم شاعر آخر، ثم يفاجأ الشاعر رشيد أيوب بهذه التهمة التي تلحقه، إذ يُعتبر سارقاً لا محالة.

يقول الأستاذ نعيمه بعد أن شرح المكيدة بالتفصيل الوافي، يقول ببعض التصرف:

«وما دخل رشيد أيوب، واحتل كرسيّه، وسند رأسه بكفه، حتى بدا مساعد السائح ومعه العدد السوريّ، وأخذ يقرأ ما بها من الشعر، فهب رشيد

أيوب عن كرسيه، وبالرغم من سنيه الخمسين وثب وثبة واحدة، واختطف الجريدة من القارىء ، فما وقعت عينه على العمود الذى يحمل أبياته حتى جمد في مكانه وقد جحظت عيناه، وامتقع لونه، واستولت الدهشة على كل عضلاته، وكانت لحظة لا توصف، لكنها لحظة اشرقت بعدها أسرّة رشيد أيوب، وعادت نظّارته إلى عينه من فوق جبهته، ومشى الدم فى عروق وجهه، والتفت إلى عبد المسيح مقهقها وقال: آه يا ثعلبان، هذا دبَكُ! هذا احتيال لقد بلغت فى فنّك مبلغا هو العبقرية بعينها» والدّبك عند المهجريين هو المقلب الكيدي!.

ثم جاء جبران، فأخبره نعيمة بالحادث على أنه سرقة، لا احتيال مدبر، فجعل يضرب كفا بكف وقال مندهشا: عجباً يا أخى كيف ينتحل رشيد أيوب مثل هذه الأبيات، وقد نظم فى حياته ما هو أحسن منها بكثير، أيمكن أن يكون قد نظمها من قبل، وبعث بها إلى جريدة ألف باء السورية فقال له نعيمه: مستحيل يا جبران، اذ لا علاقة بين رشيد وجريدة ألف باء؛ فقال جبران: أيصل توارد الخواطر الى هذا الحد؟ فقال نعيمه مستحيل.

وبعد أيام ظهرت الحقيقة، واعترف ميخائيل نعيمه وعبد المسيح بالمكيدة معتذرين لرشيد أيوب.

٢١٢ ـ مقلب مصري:

طرحت بعض المجلات الأدبية ، على الشعراء مسابقة أدبية ذات جوائز مادية مغرية، وتقدم للمسابقة الشاعر المتواضع الأستاذ فرحات عبد الخالق، وأخذ يترقب النتيجة أملا في الفوز، وعلم بذلك صديقه الشاعر الأستاذ محمود غنيم وكان زميله بدار العلوم ثم فى التدريس بإحدى المدارس الابتدائية حينئذ، فأعمل حيلته فى خديعة الأستاذ فرحات، بأن أحضر ورقة تحمل اسم المجلة فى أعلاها، وكانت لديه من قبل، وكتب بها خطابا هذا نصه:

بعد التحية، فيسر المجلة أن تبشركم بالفوز فى مضمار المسابقة، وتهنئكم بهذه المناسبة، وترجو أن ترسلوا صورتكم الشمسية لتصدّر بها قصيدتكم التى ستنشر فى العدد القادم، وتقبلوا فائق الاحترام، ثم عمل الأستاذ غنيم على أن يكون الخطاب صادراً من القاهرة، وعليه الختم البريدي الذى يدل على ذلك، فأعطاه لمن أرسله من العاصمة.

وجاء الخطاب الى الشاعر المسكين يحمل اسم المجلة مطبوعا فى صدره، وفي إيجازه الدقيق ما يدل على جدّية الموضوع، وكلّ الدلائل تُوحي بالتصديق، فطار فرحا لزملائه بالمدرسة، وأخذوا يهنئونه بالسبق، واقترح الأستاذ محمود غنيم أن يقيم لهم الشاعر الفائز مأدبة غذاء تحدثاً بنعمة الله عليه، فوافق عن سماح، وعجّل بالدعوة في اليوم التالى، فهرع إليه نفر من خاصته، وكلهم فرح مستبشر بما نال الشاعر من فوز أدبى يفوق المكسب المادي، وفيهم من ألقى كلمة بهذه المناسبة تلتها كلمات، وتعجل فرحات الشاعر المصور ليسرع فى مهمته فيُعجّل بإرسال الصورة للمجلة، وجال بذهنه أن يذهب شخصيا للقاهرة كي يسلم الصورة، وربما كانت مناسبة سارة لقبض المكافأة المالية، وأصبح الأمر جدا لا يحتمل المزاح، وكان الشهر شهر أبريل، فتقدم إليه من يخبره أن المسألة لا تخرج عن المزاح وأن السبب يرجع إلى مزاولة الكذبة المعهودة فى إبريل، واضطرب الشاعر مغيظا، وقاطع الأستاذ غنيم أمدا طويلا، ثم التأمت الجراح بعد أمد!

٢١٣ ـ من شعر ابن الرومى:

لك مكرٌ يدبّ فى القوم أخفى
من دبيب البغضاء فى الأحشاء
أو مسير القضاء في ظلم الغيب
إلى من يريده بالتواء
أو من السرّ فى ضمير محبّ
أدبته عقوبة الإفشاء

آخر الكلام

كلمات للحياة

** تعجبت لذلك الخائب قاصر النظر الذي آثر أن يعرِّج على مشعوذ يشتكي له سقمه.. وعلى مقربة منه أرقى المصحات وانجحها علاجاً.
الخائب هنا يتمثل في أولئك الذين نزعوا الى سنّ قوانين وضعية تحكم تصرفات مجتمعاتهم.. وحركات حياتهم بدلا عن الدساتير الشرعية التي جاءت بها الرسالات السماوية.. وجاء من أجلها الرسل نهجاً للحياة.. وعقيدة للسلوك.. وروحاً للعمل وإذكاء للأمل.. وهي التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصتها..
إنهم تماماً أشبه بذلك الخائب المفلس في تفكيره الذي اختار سبيل الشعوذة على يقين العقل.. فلم يبرأ له سقم.. ولم تسلم له شكوى.. أيا كانت الوصفات.. وأيا جاءت الصفات لأنه حاد عن جادة الصواب والحق.. والحق أحق ان يُتبع.

** (التنبلة) قنبلة تهدد حركة السعي. أي سعي بالتراجع والضمور..
أخطر أسبابها ما يعمد إليه البعض من الآباء الأثرياء وقد أغدقوا وأغرقوا أبناءهم بصنوف من العطايا دون جهد منهم يبذل ولا سعي يشعرهم بأن العطاء حتى ولو جاء منهم إنما يأتي على قدر العمل.
إن اتكالية مغرقة في بلادة حسها.. وتحجراً في ارادة في الطموح تنشأ عن ذلك يتحول معها الفرد الى عالة مرفوضة اجتماعياً.. بل وعائق مفروض بغباء أمام دولاب البناء.. والعطاء.
ليس عيباً أبداً أن نفهم أبناءنا.. أن نلجم فيهم شهوة النزعة الى الكسل والتراخي إمساكا للعصا من وسطها فلا نمنحهم إلا الضرورة عند الضرورة.. دافعين من خلال التوازن المدروس بطاقة شبابهم نحو معترك العمل حتى ولو كانوا في غنى عن أية محصلة مادية بناء على ما يملكه الآباء.
المهم إيقاظ روح الرغبة الفاعلة لديهم.. وطرد خرافة ان العمل المتواضع الشريف بموقعه أو بمرتبه لا يتناسب ووضعهم الاجتماعي أو الأسري الأكبر شهرة.
العصاميون هم الذين يشقون طريقهم.. ويحققون نواتهم من خلال السعي الدؤوب.. ويخطون سطور حياتهم بالعرق والجهد الذاتي المتواصل دون الاعتماد على محصلة الغير.
أما العظاميون فهم (التنابلة) الذين لا روح لديهم.. ولا ريح لهم.. إنهم أشبه بالفقاعات أو الزبد الذي ما إن يطفو على السطح حتى يختفي دون أن يحس به أحد. أو يأسى عليه أحد.
[فأما الزَّبد فيذهبُ جُفاء.. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض].

** جاء السؤال على النحو التالي:
- إلى متى نظل نحن العرب والمسلمين لقمة سائغة.. هينة لينة في فم قوى



بقلم:
سعد البواردي

الاستكبار والاستعمار التي تحكم هذا العالم.. وتتحكم في مصائر شعوبه؟!
وجاء الجواب على النحو التالي:
- بعد خراب «البصرة» - يا حسره - أطبقت المأساة بكل ثقلها .. وأوشكت ان تسدل الستار على ما تبقى لنا من قيمة.. حتى مجرد انعقاد مؤتمر قمة عربي لم يعد في الامكان من اجل تدارك ما يمكن تداركه.
الصومال تحترق - افغانستان تحتضر - لبنان تحصد عناقيد الغضب - الباكستان تتفجر - الشيشان تنزف - البوسنة بعد النزيف تخويف وتسويف - ليبيا محاصره - اطفال الرافدين يموتون - السودان يتمزق - الجزائر على فوهة بركان - سوريا تطوّق - كشمير تنهشها حراب الهندوس - نيجيريا فتحت عليها النيران - الكيان الفلسطيني الموعود مهزوز معزول - مصر لم تبرأ بَعْدُ من جراح صدماتها وصداماتها المؤسفة .. لقد قلمت أظفارنا نحن العرب.. ولا أقول انيابنا إذ ليس لنا انياب.. جميعاً نتعرض للاهتزاز والابتزاز حتى تلك الدول التي مدت لها جسوراً واهنة مع تل ابيب لن تبرأ من عضة الافعى السامة.. انها ايضا هدف للتركيع. والتطويع.. والإذلال.. طال الزمن أو قصر..
قال شاعرنا الحكيم:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسراً
وإذا انفردن تكسرت آحادا

ولأن عصيّنا لم تجتمع تكسرت واحدة بعد الأخرى..
قال الحكيم ايضا:

من حُلقت لحية جار له
فليسكب الماء على لحيته

أكثر من لحية واحدة حُلقت.. وأكثر من لحية سوف تحلق لتلحق بسابقتها إن لم نستيقظ.. (أحداث قديمة إلا أنها متجددة).
** أروع مشهد تتكحل به عيناي في عالم مهموم بمشاكله .. مكلوم باحباطاته.. إنه صورة ابتسامة عذبة بريئة على وجه طفل لم يرضع بعد لبان الخديعة.. والمكر.
** في كلمات ثلاث يمكن اختصار مأساة «قانا»
- المعركة اسرائيلية - السلاح والمكافأة امريكيان - الضحايا لبنانيون أبرياء.
مقبرة المجزرة في قانا شاهد واضح فاضح على جريمة العصر للنازية الجديدة.
** بالعقل وحده نملك أن تكون لنا صفات ملائكة.. دون عقل يمسك بزمام العاطفة ويلجمها يتحول البشر الى ما يشبه الحيوانات المتصارعة داخل أسوار الغابة.
** حين لا نرضع الحب لبانا. ونسقيه لأطفالنا ولغيرنا فإن ثدي الحقد والكراهية سوف يفتح صنابيره ليحرقنا ويغرقنا معاً..
** أسعد الناس حياة أكثرهم خشية من الموت.
** اللهم اذا كانت قوتي مصدر ضعف لإرادتي. وشك ليقيني .. وانهزامية لشجاعتي على مقاومة الباطل فانزعها مني لأنني غير جدير بتلك القوة.

أرامكو السعودية تهنئ الأطفال الفائزين

يسر أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة ان تقدم تهانيها الحارة الى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية الثامنة عشر لرسوم الأطفال ، وتتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجعهم وحثهم على المشاركة في هذة المسابقة . وكان ما يربو على ستة الآف لوحة قد تلقيناها من مختلف أنحاء المملكة . والشركة إذ تكرر شكرها وتهانيها للفائزين . يسعد ها أن توجه الدعوة مرة اخرى إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها قريباً ان شاء الله . وفيما يلي اسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة لهذا العام :

أحمد الشيخ أحمد	متوسطة سعيد بن المسيب	عرعر
أحمد جميل مسلم باخشوين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أحمد حجاج العروي	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
أحمد متولي محمد الغنام	مدرسة قيس بن عاصم المنقري الإبتدائية	الطائف
أحمد محمد يحيى الغامدي	مدارس دار الفكر	جدة
أحمد هادي أحمد علي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
أحمد وليد شحادة	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
أسامة عبد الحميد الشناوي	متوسطة الإمام أبي حنيفة	عرعر
أسامة عبد الوهاب الحواج	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
أشرف خيري عابدين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أفنان مشاري سليمان بلغنيم	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
الجازي نبيل حمد الشميمري	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
الحسن يحيى النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
أماني عبد الرحمن منيع الغفيلي	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
أمل محمد مسفر الشهراني	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أمل نبيل فياض	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أنس سمير البيات	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
أية زهير غيدو الحكيم	مدارس الرياض للبنات	الرياض
أية صلاح محمد القريوتي	مدارس الفيصلية الأهلية الإسلامية	الخبر
باسل نزار علي العوامي	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
بدر عبد الرحمن محمد الناصر	مدارس الرياض للبنين	الرياض
بسمة حسن علي اللهيبي	معهد الأمل	مكة المكرمة
بشاير حمد موسى آل موسى	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
بندر أحمد النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود الإبتدائية	رجال ألمع
بهاء أبو غنيم		الرياض
تركي عبد الله أحمد بجاد	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
جابر هلال المبارك	النابغة الذبياني	سيهاد
جمال زيني الساعاتي	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
جمال عبد الستار إبراهيم	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
حسام إبراهيم كتب خانة	مدارس البراعم الإبتدائية	ينبع الصناعية
حلا مازن الطباع	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
حمدي خالد إسكندر	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
حمود فرحان الصليبي	مدرسة عمر بن عبد العزيز	طريف
حميد شاهر عباس الرويلي	أسامة بن زيد الإبتدائية	عرعر
خالد أحمد يحيى	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
خالد تركي الحربي	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
خالد سعيد العبد الجبار	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
خالد سهل عبد الجواد	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
خالد عبد الرحمن آل حميدان	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
خالد عبد الناصر المحمود	مدارس روضة جدة النموذجية	جدة
خلود محمد سالم باخشوين	مدارس دار الفكر	جدة
خليفة محمد آل هزاع	مدارس التهذيب الأهلية	سيهات
خليل سلمان أحمد بزرون	مدارس التهذيب الأهلية	سيهات
دانية صلاح عبد الجواد القريوتي	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
راشد حمد راشد الفزيع	مدرسة العيون الإبتدائية	العيون
رحاب ياسر عثمان	المدرسة الأولى الإبتدائية	ينبع
رحمة إبراهيم الزهراني	معهد الأمل	مكة المكرمة
ريان محمد حسن حجي	روضة جدة	جدة
ريم زياد بيرقدار	مدارس اليمامة الأهلية	الرياض
ريم عبد العزيز الذكير	مدارس الرياض للبنات	الرياض
ريم فهد عبد العزيز السدحان	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
رنا إسماعيل محمد طلبه	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
سارة مساعد عساف العساف	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
سعيد محمد سعد الدين المغربي	مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن الكريم	ينبع الصناعية
سلطان تركي عبد الله التركي	مدارس الرياض/روضة	الرياض
سلطان خالد أحمد	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
سلطان سمير العنزي	الفارق المتوسطة	عرعر
سلطان علي محمد الشارخ	مدارس الرياض للبنين	الرياض
سلطانه مبارك عبد الله المبارك	مدارس الرياض للبنات	الرياض
شروق أحمد محمد بكر	مدرسة الزهور	الخفجي
طارق إبراهيم حمود العنزي	إدارة التعليم بعرعر	عرعر
طارق محمد عبد الرحمن العثمان	الإبتدائية الثانية	الحريق
طارق محمد عودة	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
طلال فايع أحمد عسيري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
عادل سالم بن زفر	مدرسة عبد الله بن مسعود الإبتدائية	جدة
عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن	متوسطة الملك فهد	الطائف
عبد الرزاق حسن قحطان الرويلي	متوسطة عثمان بن عفان	عرعر
عبد العزيز خالد محمد القحطاني	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد العزيز عبد الرحيم شاهين	واحة المعرفة الأهلية	عرعر

(PRS - 8 - 97)

بمسابقة رسوم الأطفال السنوية

للعام 18 على التوالي

عبد العزيز محمد المويبس	مدرسة الخالدية/الجمعة	الجمعة
عبد الله أحمد محمد النملة	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد الله خالد عبد الله الملحم	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد الله طاهر مرزا	أكاديمية رحيمة	الظهران
عبد الله عبد المحسن عبد الله التويجري	مدارس جامعة فهد للبترول والمعادن	الظهران
عبد الله عبد المعين آل عبد الحي	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عبد الله علي العامري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
عبد الله فاروق محمد كونش	مدارس الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
عبد الله مجدي عبد الغزيز الباجوري	مدارس الرياض للبنين	الرياض
عبد المجيد حمود مضيان الرويلي	مدرسة أحمد بن حنبل	طريف
عبد المحسن سعد الغانم	مدرسة الجزيرة الإبتدائية	الجبيل الصناعية
عبد الوهاب أحمد محمد معرف	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
عساف صالح محمد العساف	مدارس الرياض للبنين	الرياض
علاء مصطفى المدني	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
عماد إبراهيم ناصر الشاوي	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عمر أحمد محمد الزيات	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
عمر عبد الله الفلاح	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
عمر معن مريود	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
عيسى محمد أحمد عسيري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
فارس عبد الله عثمان الفارس	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
فارس محمد فهيد الشمري	مدرسة الأبناء الإبتدائية السابعة	تبوك
فاطمه عيسى أحمد العيسى	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
فاطمه حسين القحطاني	مركز سمو الأمير سعود بن نايف لتأهيل الإناث	الدمام
فجر سليمان عبد الله الخراشي	مدارس الرياض للبنات	الرياض
فهد بن نايف بن عبد العزيز آل سعود	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فهد حمد إبراهيم الحرقان	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فهد عبد اللطيف الزبير	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
فهدة خالد ناصر الشتري	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
فيصل خالد الحايك ناجي	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
فيصل خالد محمد الرشيد	مدارس الرياض للبنين	الرياض
فيصل عثمان الجربوع	مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
كفاح غسان عبد الفتاح عودة	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
لمى جمال جوهر الجوهر	مدارس الرود الاهلية	الرياض
لولوة إبراهيم عمر المواش	المدرسة الثالثة	الأفلاج
ماجد أحمد هلال الحديدي	المتوسطة الدار الحمراء/بني سعد	الطائف
ماجد علي محمد حجوري	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
محمد بادي حوبان الرويلي	أحمد بن حنبل الإبتدائية	طريف
محمد جمال البحيى	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
محمد حسن أحمد بارقيل	مدرسة عقيل بن أبي طالب	الرياض
محمد حسن النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد حسن محمد الكبس	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القران الكريم	رجال ألمع
محمد حسين الهزاع	مدرسة الحريق الثامنة	الحريق
محمد درويش شهدا	النموذجية الأهلية للبنين	الدمام
محمد رجب محمد أحمد	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد عادل النعيم	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
محمد عبد الحميد الأنصاري	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
محمد عبد العزيز التركي	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
محمد عبد الكريم فوزي موسى	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
محمد عبد الله الفلاح	مدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بالهفوف	الأحساء
محمد عبد الله حمد الراشد	مدارس الرياض للبنين	الرياض
محمد علي السماعيل	مدرسة فلسطين الإبتدائية	الدمام
محمد فهد محمد بن معمر	مدارس الرياض للبنين	الرياض
مشاعل مقبل الشمري	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
معاذ برهان عبده قاسم	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
منال حسن الجويد	مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع	الخبر
منصور سعدالهاجري	مدارس السعد الأهلية	الخبر
منيرة محمد عبد العزيز النافع	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
مي سليمان محمد السعيد	مدارس الرواد الأهلية	الرياض
نايف البطين	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
نايف سالم صالح الحازمي	عمرين عبد العزيز الإبتدائية	طريف
نبيلة متولي محمد الغنام	بواسطة والدها:مركز ومدرسة سلاح الإشارة	الطايف
نجد خالد عبد الله الدهيس	مدارس الرياض / روضة	الرياض
نداء عبد الرحيم صالح منصوري	مناهل أبها الأهلية	أبها
نوال محمد عبد الله المنتشيري	معهد الأمل	مكة المكرمة
هادي تركي إبراهيم الرفيدي	متوسطة مدرالعوص	رجال ألمع
هاني محمد طه عيسى	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
هبة الله أحمد محمد محرم	مدرسة أروى بنت عبد المطلب	المبرز
هدى عبد اللطيف محمد بحيري	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
هديل شيبه أحمد حسن	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
هيفاء عبد الرحمن سعود العجاجي	مدارس الرياض للبنات	الرياض
هيفاء عزالدين ساوي علي	مدارس التربية الإسلامية	الرياض
وائل محمد حسن الشيخ	مدارس الظهران الأهلية	الظهران
ولاء سمير عبد الظاهر الغثيمي	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
وليد عبد العزيز كرم	مدرسة الملك خالد الإبتدائية	ينبع البحر
وليد علي أحمد جيلان	متوسطة مدر العوص	رجال ألمع
وليد محمد مربع القحطاني	مدرسة الأبناء الإبتدائية	تبوك
ياسر سعيد القحطاني	مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	الظهران
ياسمين مازن أحمد الخالد	مدارس الفيصلية الإسلامية الأهلية	الخبر
يحيى أحمد النعمي	مدرسة عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم	رجال ألمع
يزيد ثامرمحمد الشبيلي	مدارس الرياض للبنين	الرياض
يزيد عبد الكريم السليم	مدرسة الحسن بن هيثم الإبتدائية	عرعر